الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

Mngool.com

غير مخصص للبيع

ISSUE 105 - NINTH YEAR - NOV./DEC. 1985.

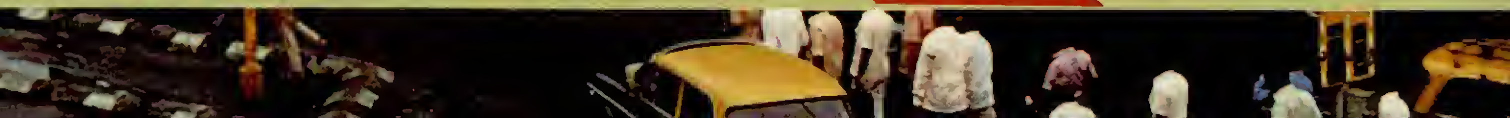
العدد (١٠٥) ـ ربيع الأول ١٤٠٦ هـ ـ السنة التاسعة ـ تشرين الثاني (نوفبر) / كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥ م .





بومباي

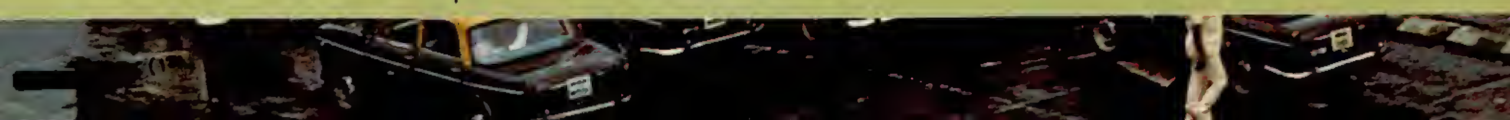
مدينة وتاريخ



★ محطة قطارات فيكتوريا ببومباي ، يمر بها حوالي ٩٠٠ قطار يومياً قد بنيت عام ١٨٨٨ م ★

مدينة المهاجرين

بقلم : د . أحمد عبدالقادر المهندس



خضم من الوجوه السمراء القمحية تتزاحم أمام الأبواب الزجاجية في مداخل العمارات . ماذا تنتظر؟ ماذا تريد ؟ . وفي الطريق تتكرر مشاهد لا نهائية من الضواحي الضيقة والقذرة ، مستعمرات تنمو كالسرطان في كل مكان . ويخيم اللون القاتم على المباني السكنية ، وقد ظهر التآكل والتقادم على جدرانها . حوانيت ضيقة تصطف ، وملصقات لأفلام تصطدم بالعيون . شعور طاغ بأعداد هائلة من البشر يتدفقون من كل مكان . من الأرصفة المزدحمة إلى الشوارع المزدحمة . وعندما تقف السيارات عند إشارات المرور يندفع المتسولون إلى نوافذ السيارات وهم يلهجون بالدعاء والابتهالات مقابل دراهم معدودة من الركاب ، وهم يدعمون دعاءهم وابتهالاتهم بالإشارة إلى بطونهم وأفواههم ، وإلى أطفالهم الذين يضعون أسمالا متنافرة على أجسادهم .

إنك تحتاج إلى وقت طويل لتعرف القليل عن هذه المدينة ، ووقت أطول لكي تفهم سوء المظهر والسواد الذي يخيم على بعض المباني السكنية . إن هذه المباني هي مساكن الطبقة المتوسطة من الناس ، لكن الإهمال حوّلها إلى هذا المنظر البائس . وأنت في حاجة إلى التأمل في الأكواخ الحقيرة التي بنيت بالقوة على الأرصفة ، وهي تحتوي على أجهزة راديو ترانزستور ومواقد تعمل بالغاز . ويسكن هذه الأكواخ موظفون نظاميون يكسبون ما بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ روبية (حوالي ٤٠ دولاراً) في الشهر ، وهو مرتب جيد بالمقارنة إلى مرتبات الموظفين بالهند . ولا تعرف هذه المدينة هدوءً ولا سكينة خلال لحظات النهار وأوائل الليل . وعندما تنام العيون ، فإن سلاماً وسكينة يخيمان على المدينة ، وتنطفئُ الأنوار وتختفي السيارات من الطرقات وتصطف الأجساد المغطاة على الأرصفة ، وتأخذ أوضاعاً تدل على نوم عميق . وإذا كنت تحب السير في أعماق الليل فإنه يمكنك أن تسمع صوت الأمواج وهي ترتطم على الشاطئ الصخري ، وتهمس الريح في أذن الليل أن جاء زمان الهدوء . وبالرغم من هذا فإن **الفئران والصراصير** ، تمارس رحلة العمل في هذه المدينة الكبيرة خلال فترات الهدوء .

يحدثونك عن بومباي

هي **عاصمة ولاية «مهاراشترا» بالهند** ، وهي أهم مركز تجاري ومالي ، كما أنها **الميناء الرئيسي للهند على البحر العربي** (انظر الخريطة) . **وهي سابع أكبر مدينة في العالم** ، حيث **يبلغ عدد سكانها ما يقرب من ثمانية ملايين نسمة** ، وهي أيضاً من أكثر المدن ازدحاماً ، حيث يتراكم سكانها في مساحة لا تزيد عن ٦٠٠ كيلومتر مربع . وقد أخذت المدينة اسمها من اسم آلهة مزعومة قديمة في العقيدة الهندوسية اسمها (**ممبا MUMBA**) ، التي يوجد معبدها في جنوب شرقي بومباي .



★ بومباي على الخارطة تقع فوق سبع جزر متصلة اصطناعياً ★

ويقطن المدينة جماعات من مختلف الجنسيات واللغات في الهند ، ولذلك **فهي** تضم أكبر المجموعات الأجنبية التي تعيش على أرضها .

تاريخ المدينة

تدل الأدوات الحجرية القديمة التي وجدت في **«كانديفلي»** في بومباي ، على أن هذه المدينة كانت مأهولة **منذ العصر الحجري** . ولعل **أقدم من سكن هذه المدينة هي قبيلة كوليز KOLIS وهي قبيلة من صيادي الأسماك** . وقد دخلت هذه المدينة تحت الحكم الهندي من **عهد موريا** (٣٢١ ـ ١٨٥ ق . م) ، إلى **عهد كالوكيا** (٦ ـ ٨ ب . م) .

في عام ١٢٩٧ م ، ذهب **المسلمون** إلى **«جوجارات»** شمال بومباي ، وفي عام ١٣٤٨ م ، افتتح المسلمون مدينة بومباي وأصبحت جزءً من مملكة جوجارات . وفي عام ١٥٣٤ م ، استعمر **البرتغاليون** بومباي وسموها الثغر الجميل . **وفي عام ١٦٦١م ، تحولت بومباي إلى بريطانيا بموجب معاهدة الزواج بين الملك تشارلس والأميرة كاترين أخت ملك البرتغال** ، وأصبحت جزءً من ممتلكات الإمبراطورية البريطانية في عام ١٦٦٤ م .

وفي عام ١٦٦٨ م ، سلمت بريطانيا بومباي إلى **شركة الهند الشرقية** . واستطاعت الشركة أن تنظم المدينة من الناحية القانونية ، وأن تعزز وسائل الدفاع فيها ، وأن تؤمن الحرية التجارية للجميع . ونتيجة لهذا ازداد عدد سكان المدينة إلى خمسين ألف نسمة ، وأنشئت مدينة بومباي الحديثة . وقد نمت المدينة بشكل مستمر خلال القرن الثامن عشر الميلادي ، وتطورت المواصلات والخدمات بين المدينة والهند وأوروبا . **وفي عام ١٨٦٠م ، أصبحت بومباي أكبر سوق لإنتاج القطن بالنسبة للهند والعالم الغربي** ، وما بين عامي ١٨٦١ ـ ١٨٦٥ م ، ونتيجة للحرب الأهلية في الولايات المتحدة الأميركية ، فإن عدم تصدير القطن إلى بريطانيا سبب ازدياداً كبيراً في تصدير منتجات بومباي القطنية لها ولسائر العالم . وعند



★ إنهم يتامون على قارعة الطريق !! ★

فتح قناة السويس في عام ١٨٦٩ م ، ازدهرت بومباي وازداد عدد سكانها وازدادت مشاكلها الصحية ، وانتشر داء **الطاعون** بها في عام ١٨٩٦ م . وفي عام ١٩٢٤ م ، بني **باب الهند** الشهير بها . وفي عام ١٩٦٠ م ، قسمت ولاية بومباي إلى ولايتين هما : جوجارات ، وماهاراشترا ، وأصبحت بومباي عاصمة ماهاراشترا ، وفي عام ١٩٧٣ م ، بدئ في بناء المدينة التوأم لبومباي ، التي تقع إلى الشرق منها .

بومباي المعاصرة

تحتل مدينة بومباي **مجموعة من الجزر** ، تقع على شاطئ كونكان KONKAN ، وتتحد بواسطة حواجز المياه والطرق المعبدة المعروفة بجزيرة بومباي ، وتتصل شمالا بجزيرة كبيرة هي **جزيرة سالسيت** التي تتصل بالهند إلى الشرق .

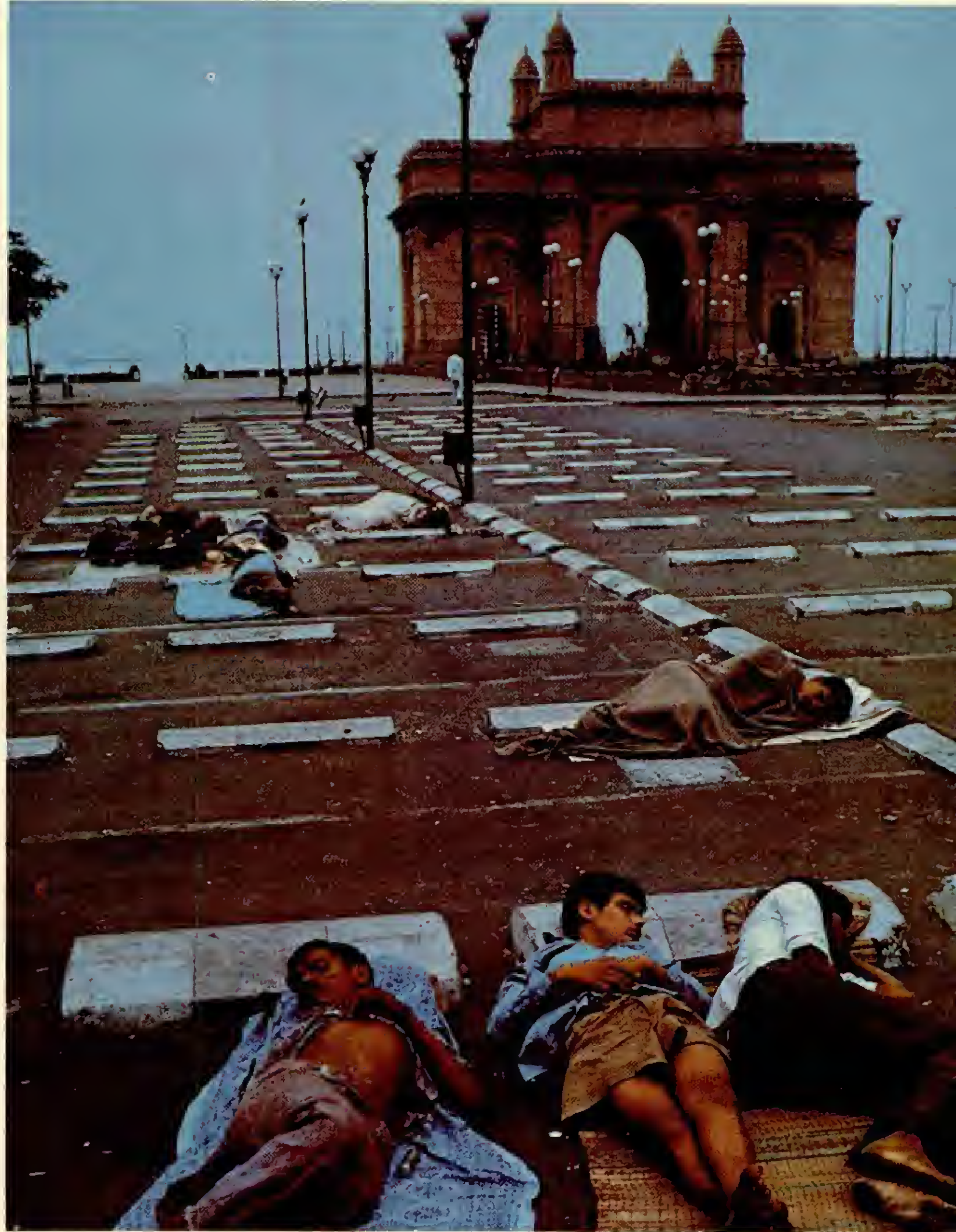
وتتكون جزيرة بومباي ذات الشكل شبه المنحرف من سهل منخفض ، ويغطي البحر ربع الجزيرة ، ويوجد في شرق وغرب هذا السهل المنخفض سلسلة متوازية من التلال المنخفضة . وفي عام ١٩٧٠ م ، أنشئ جسر بين **خليج ثانا** يصل بين جزيرة بومباي والبر الرئيسي ، وقرر أن تبنى المدينة التوأم على البر الهندي لتخفف الازدحام عن الجزيرة .

لقد كان عدد سكان مدينة بومباي حوالي ستة ملايين نسمة عام ١٩٧١ م ، ويقدر اليوم عدد سكانها بحوالي ثمانية ملايين نسمة ، وبمعدلات التزايد الحالية فإن **عدد سكانها سيصلون إلى حوالي عشرة ملايين نسمة في عام ١٩٩٠ م** ، وحوالي **سبعة عشر مليون نسمة في نهاية القرن العشرين** .

وتزدحم المدينة بشكل كبير ، وفي أثناء أوقات الذروة من الزحام ، فإن حشوداً بشرية تنطلق من كل حدب وصوب داخلة وخارجة من **محطة فيكتوريا** ، ونتيجة لذلك فإن عدداً من الركاب يقتلون أو يشوهون أو تبتر بعض أعضائهم بواسطة القطارات المتتابعة .

بيئة المدينة

إن جمال بومباي الطبيعي لا يمكن أن يقارن بأي جمال آخر في أي مدينة في تلك المنطقة . والمدخل إلى ميناء بومباي من البحر يبرز أجمل بانوراما طبيعية ، وذلك من خلال الجبال التي تطل على الجزيرة من البر الرئيسي ، وترصع



★ متشردون أمام البوابة الشهيرة ★

الميناء مجموعة من الجزر الصغيرة التي تخفق فيها الأشرعة البيضاء ، والطائرات التي تجعل الميناء مكاناً آمناً للسفن ، لا سيا عندما تبدأ العواصف في ضرب الشاطئ بقسوة أحياناً ، وبلطف يتبعه تكسر الأمواج واضطرامها أحياناً أخرى .

ويتميز المناخ في بومباي بالحرارة والرطوبة . وتوجد أربعة فصول تقريباً ، حيث يبدأ **الشتاء القارس** في شهري ديسمبر (كانون الأول) ويناير (كانون الثاني) ، أما **الطقس الحار** فيمتد من مارس (آذار) حتى مايو (أيار) ، أما **الفصل المطير** ، الذي يأتي نتيجة للرياح الموسمية ، فيستمر من يونيو (حزيران) حتى سبتمبر (أيلول) ، أما الفصل الذي يبدأ بعد هذا ، وعندما يعود الطقس حاراً مرة أخرى فإنه يستمر خلال شهري أكتوبر (تشرين الأول) ونوفمبر (تشرين الثاني) . وتختلف درجات الحرارة الشهرية من ٣٣° مئوية في شهر مايو (أيار) وتصل إلى ١٩° مئوية في شهر يناير (كانون الثاني) . ويبلغ معدل سقوط المطر حوالي ٧١ بوصة في العام ، أما معدل سقوط المطر فيبلغ ٢٤ بوصة في شهر يوليو (تموز) لوحده . وتوجد مجموعة من الأشجار في مدينة بومباي أهمها أشجار الجوز ، والمانجو ، وأشجار التمر الهندي ، وأشجار تين البنغال ، وتوجد معظم الحيوانات الأليفة مثل البقر والجواميس والماعز والغنم في المدينة بالإضافة إلى بعض الحيوانات والطيور المتنوعة .

ويوجد ازدحام كبير في المدينة ، والكثافة السكانية عالية جداً حيث إن **حوالي ٣٥٣٠٠ شخص يعيشون في ميل مربع واحد من المدينة** ، أما في المناطق القديمة من المدينة ، فإن الكثافة السكانية تبلغ حوالي ١١٦٠٠٠ في الميل المربع . وتزدحم المساكن بشكل رهيب وهي نادرة ، وتوجد بعض المساكن الحكومية التي بنتها الحكومة الهندية أو من خلال مشاريع البلدية .

وتشكو مدينة بومباي من شح المياه وتصريف المجاري ، وثلث السكان ليس لديهم منافع صحية ، كما أن مئات الآلاف من السكان مصابون بآلام معدية وإسهال وسواها من الأمراض . كما أن **الفئران تعيث في المدينة فساداً وتأكل ما تلقاه في طريقها . ويعتقد بوجود حوالي سبعين مليون فأر في بومباي بنسبة عشرة فئران لكل فرد واحد تقريباً** ، كما تظهر أسراب من الصراصير حول بوابة الهند الشهيرة حيث تتجول بحرية على حدود شاطئ وورلي الصخري .

النواحي الاقتصادية والصناعية

تعد بومباي من أهم المراكز الاقتصادية والصناعية في الهند . ويوضح التركيب الاقتصادي والصناعي لها قبول الهند للعصر الذري وعبادة البقر . ويوجد في المدينة **مؤسسة الطاقة الذرية** ، وتشتمل على المفاعلات النووية وأجهزة فصل عنصر البلوتونيوم ، على الرغم من أنه توجد في جميع الأماكن من المدينة مصادر الوقود البدائية التي ما زالت تستعمل .

ويوجد في بومباي أهم البنوك في الهند، مثل بنك الهند، ومؤسسة التأمين على الحياة، ودار سك العملات، والخطوط الجوية الهندية، بالإضافة إلى كثير من البيوت التجارية.

ولا تزال صناعة الأنسجة القطنية ذات أهمية كبيرة. وتهتم بعض المنشآت بالطباعة والنواحي الهندسية العامة، وإنتاج السيارات والكيمياويات والطلاء والبويات والمخصبات والمنتجات الغذائية والحرير والألياف الصناعية والزيوت والصابون والفلزات والبلاستيك.

وفي عام ١٩٦٨ م، كان هناك حوالي ٤٥٠٠ مصنع كانت تستخدم أكثر من نصف مليون عامل.

الرعاية الصحية

يوجد في المدينة أكثر من ١٠٠ مستشفى حكومي وغير حكومي، كما توجد بعض العيادات الخاصة، وبيوت التمريض. **ويوجد عدد من المعاهد التي تعالج أمراض السرطان والسل**، وأيضاً عيادات للنساء الحوامل، ومراكز رعاية الأطفال، ومراكز تنظيم النسل. كما يوجد في بومباي مركز الأبحاث البكتريولوجية لدراسة الأمراض المتعلقة بالمناطق الحارة والاستوائية.

التربية والتعليم

تعد الأمية عالية في مدينة بومباي، حيث تصل إلى حوالي ٦٤٪، إذا ما قورنت بمعدل الأمية في الهند، التي تصل إلى حوالي ٢٩٪. والتعليم الابتدائي مجاني وإلزامي. ويعطى التعليم بواسطة المدارس الخاصة والعامة. كما توجد بعض المعاهد المهنية والصناعية، التي تمنح الدبلوم في الهندسة الكيميائية والميكانيكية.

ويقع مقر **المعهد الهندي للتكنولوجيا** في بومباي. وقد أنشئت **جامعة بومباي** في عام ١٨٥٧ م، وتحتوي على ٧٠ كلية و ١٦ قسماً للدراسات العليا، وفيها حوالي ٩٦ ألف طالب حسب إحصائيات عام ١٩٧٠ م.



★ منازل.. وزحام.. وحر.. ورطوبة ★

الحياة الثقافية والرياضية

تعكس الحياة لبومباي تعدد مناحي الحياة فيها لازدحامها بالسكان. ويوجد في المدينة عدد من **المتاحف والمكتبات**، وبعض المعاهد الثقافية والأدبية وصالات عرض الفنون والمسارح. وربما لا يوجد في الهند مدينة أخرى يمكن أن تبز بومباي في تعدد مصادر الثقافة والتسلية ووسائلها وأنواعها. وبومباي هي مدينة الهند السينمائية، هي **هوليود الشرق**، أو مدينة الصناعة السينمائية فهي تنتج حوالي مائتي فيلم سنوياً. والسينما في بومباي هي إحدى المخدرات النفسية للتكتل البشري الكثيف فيها. وتحتوي بومباي على بعض المسارح المفتوحة في الهواء الطلق.

ويحتوي أحد المتاحف وهو **متحف أمير ويلز** على ثلاثة أقسام هي قسم للفنون، وقسم للآثار القديمة، وقسم للتاريخ الطبيعي.

وتعد بومباي أهم مركز في الهند لصناعة **الطباعة**، وفيها أهم المطابع، وتطبع خمس

صحف يومية صباحاً ، واثنتين بعد الظهر بالإنجليزية ، بالإضافة إلى صحيفتين بالهندية ، وخمس جوجاراتية ، وعشر ماراثية ، وواحدة سندية ، وتسع أوردية كل يوم . وهناك عدد من المجلات الأسبوعية والشهرية . وتوجد محطات راديو الهند في بومباي ، أما الخدمات التليفزيونية ، فقد بدأت في المدينة عام ١٩٧٢ م .

ويوجد في المدينة ستاد رياضي يسع حوالي ٣٥٠٠٠ نسمة ، لمشاهدة ألعاب الكريكيت ، وكرة القدم ، والهوكي .. وغيرها .

الحياة الاجتماعية

يمكنك في بومباي أن تراقب العائلات التي تلبس بعناية وذوق ثياباً للاستعراض .. استعراض ثري للأنسجة المحلاة بالجواهر . ويمكنك أن تنطلق في الشرفات الطويلة لتشاهد الأبراج والقباب التابعة **للعصر الفيكتوري** ... ورويداً رويداً سوف تشعر بأن بومباي ليست كأي مدينة هندية أخرى ، سوف تشعر بسحر المدينة وبالحياة التي تنبض داخلها .

إن بومباي لا تنتمي لأي تكتل بشري من نوع معين ، لكن الجميع من كل الأجناس والأديان ينتمون لها ، وكل منهم يلعب دوراً في الحياة التي تضطرم فيها . وتعد بومباي موطناً أصلياً لفئة قليلة جداً من سكانها . وإذا أخبرك أحد القاطنين في بومباي بأنه لا يعرف له موطناً سوى بومباي ، فهذا يعني أنه لا يعرف من أين أتى ، لكن سحر المدينة المغناطيسي جذب الكثير من المهاجرين من كل أجزاء القارة الهندية .

بيد أن بومباي ما تزال قطعة من الهند ، وكل شخص يمكن أن ينتمي إلى بومباي بطريقته الخاصة سواء كان من **الزرادشت** ، **جوجراتي** ، **بهرا** ، **مارثا** ، **تاميل** ، أو من **السنود** . ذلك لأن المدينة تضم اتحاداً مفكك الأوصال لطوائف متفرقة تسعى لرعاية شؤونها والقيام بدورها . وتجد الزرادشت يديرون مدارسهم ومستشفياتهم مثلهم مثل بقية الطوائف الأخرى . ويتبع حوالي نصف السكان بمدينة بومباي العقيدة الهندوسية ، وتوجد بعض المجموعات الدينية المختلفة مثل المسلمين والمسيحيين والبوذيين والسيخ واليهود .. إلخ . ومعظم اللغات الهندية واللغات الأجنبية يمكن أن تسمعها في بومباي . **وتعد لغة مراثي MARATHI هي اللغة الهندية السائدة** ، وتتبعها لغة جوجارات والهندي . أما اللغات الأخرى فتشمل البنغالية ، الأفغانية ، الكابلية ، الباشتو العربية ، الصينية ، الإنجليزية ، الكاتشية ، الكونكانية ، النيبالية ، البارسية ، البنجابية ، السندية ، التاميلية والأوردية .

وبالرغم من أن الطبقات العليا من مجتمع بومباي تهتم بتلوث البيئة ومشاكل الازدحام في المدينة ، إلا أنها لا تهتم بمشاكل المشردين الذين ينوف عددهم على ١٠٠,٠٠٠ متشرد . ويزدحم شرق مدينة بومباي بالمستعمرات التي تتميز بالأكواخ المتراصة في حيز ضيق . وعندما تتجاوز هذه الضاحية ترتفع مداخن مصانع المنسوجات حيث تنفث دخانها الذي يملأ السماء تلوثاً .

ويعمل مئات الآلاف من البشر بصناعة النسيج في بومباي ، ومعظم هؤلاء العمال من الطبقة المتوسطة . وبين كل من العمال فإن واحداً يصاب بالسل في خلال ست سنوات تقريباً نتيجة للرطوبة العالية ، وغبار القطن الذي يلوث جو المصانع ، كما أن العمال يعيشون في مبان تحتوي على عدد كبير من الشقق التي تنتشر حول مصانع النسيج وتكتظ بالسكان . ويصل أجر العامل في هذه المصانع إلى حوالي **٥٥** دولاراً في الشهر ، وهو أجر جيد يخلق تنافساً على هذه المصانع . وقد جلبت هذه المصانع الرواج الصناعي لبومباي مع بداية الانفجار السكاني في النصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي .

ولتلخيص الحياة الاجتماعية لعائلة فقيرة ، فإننا سنعيش في السطور القادمة حياة عائلة تعيش على الرصيف . إن هذه العائلة تسعى لملجأ يقيها حر النهار ، والراحة في الليل ، وتبنيه من البلاستيك الخفيف (البولي إيثيلين) وقطع من الورق المقوى ، وبعض قطع الخشب . لقد هاجرت هذه العائلة من سنوات ثلاث من **قرية بونا** ، التي تبعد حوالي ١٦٠ كيلومتراً عن بومباي ، وقد قطعت الطريق سيراً على الأقدام . لقد طاف الأب والأم وأطفالهما شوارع المدينة وجمعوا الثياب المهلهلة ، والأوراق ، وأعقاب السجائر ، وأي شيء يمكنهم من مواصلة الحياة . وكل ما يلتقطونه في اليوم يضمن لهم ما بين سبع إلى ثمان روبيات . وكان هذا غير ممكن في قريتهم التي نزحوا عنها .

إن بومباي تعطي كل شخص فرصة لكي يعيش . فإذا مشيت على أحد الأرصفة الممتدة فسوف تجد مئات من التخصصات الوظيفية الدقيقة ، ومئات من أساليب المعيشة المختلفة ، ويمكنك أن تشتري أي شيء : الماء ، اللوز ، الأقلام الرخيصة ، لعب الأطفال ، ريش الطاووس ، التماثيل الصغيرة ، زهور البلاستيك ، أدوية الشعوذة ، تذاكر اليانصيب ، قصص الحظ التعيس ، الثعابين ، الطيور الملونة .. إلخ .

إن هذه المدينة الديناميكية التي تعمل كمغناطيس ضخم يمكن أن تجمع الناس فرادى وجماعات ليعيشوا وينتزعوا وسائل الحياة من خلال قنواتها اللانهائية .

ويبدو أن هذه المدينة لا تود أن تلفظ المهاجرين إليها ، لأنها تدين بانتمائهم جميعاً إليها دون أن تنتمي هي إلى أي منهم .

بعض المراجع المختارة

1 – National Geographic, Vol. 160, No. 1, July 1981.

2 – Boman – Behram, B.K., 1969. The de Cline of Bombay.

3 – GEO – The Earth Diary, Vol. 3, September, 1981.

4 – Encyclopaedia Britannica, 1974.

5 – Jal Bulsara, 1970. Patterns of Social Life in metropolitan areas, With particular reference to Greater Bombay.



★ نموذج من مساكن
بعض سكان بومباي ★



من عادات الشعوب

المصورون المتجولون في "جواتيمالا"

الحفاظ على التقاليد الشعبية الفولكلورية في العديد من دول أمريكا اللاتينية أبقى على مهنة المصورين المتجولين الذين يرجع وجودهم إلى بدايات عهود التصوير الأولى ، بل جعلها مهنة رابحة مزدهرة .

والحرّاس الذين حموا هذا التقليد النمطي وأبقوا عليه كتراث شعبي متداول رغم اختفائه من كل أنحاء العالم ، هم فئة قليلة من المصورين المتنقلين الذين يلاحقون الأسواق الموسمية



للمزارعين والمعارض العامة من قرية إلى قرية في ريف بلدان أمريكا الجنوبية .

والتجهيزات التي يستخدمها هؤلاء المصورون في أعمالهم ما زالت هي نفسها التي كان يستخدمها الآباء والأجداد منذ عهود بعيدة مضت ، وتشمل هذه المعدات مجموعة قابلة للحمل على الظهر سهلة التحميل والتنزيل ، وهي عبارة عن آلة تصوير (كاميرا) قديمة الطراز ، والغرفة المظلمة ، ومنصب خشبي ثلاثي القوائم ، وستارة خلفية كبيرة الحجم نوعاً ما ملونة وعليها رسوم شتى مختلفة الأهداف والمرامي والغايات ، وبضع دعامات وسنّادات ، وبعض الأثاث والملابس والستائر التي يستعينون بها على خلق الجو الملائم لأي لقطة تصويرية يهواها الزبون ، إضافة لكرسي المصور البسيط القابل للطي الذي يرتاح عليه ، وهو يستعمل مقعداً للزبون عند تصويره .

وقد اختفى المصورون المتجولون تقريباً من معظم بلدان العالم بسبب أن مصوريهم قد باتوا يستخدمون التقنيات الحديثة في التصوير ، وبسبب رخص أثمان آلات التصوير الحديثة ممّا جعل أمر اقتنائها سهلاً للجميع ، وهذا قلّل بالتالي كثيراً





من فرص العمل المتاحة أمام هؤلاء المصورين الذين اضطروا إلى اعتزال هذه المهنة الشاقة . . باستثناء دول أمريكا الجنوبية والوسطى من دون العالم كلّه ما زال لهم وجود أساسي مؤثر ، ويوجد منهم المئات الذين يتجولون على الطرق المغبّرة في الأرياف ، متنقلين من قرية إلى قرية باحثين عن أرزاقهم ومبرهنين للجميع على أن التقنية الحديثة ليست هي الأفضل دائماً .

وجمهورية **(جواتيمالا)** هي الدولة الاستثناء من بين كل دول العالم التي يعمل بها المصورون المتجولون كضرورة وكأساس لا بد منه ، وخاصة لأهل القرى والأرياف الذين ما زالوا يعتمدون عليهم اعتماداً كلياً في التقاط الصور ، بل ولا يعرفون غيرهم من المصورين الحديثين . . ولكن كم من الوقت سيمرّ إلى أن ينتهي دور هذه المهنة كحاجة أساسية وكتقليد شعبي في (جواتيمالا) ؟ .

لعلّ هذا يقرره مدى تحسن الأحوال المعيشية والاقتصادية في المستقبل لقرى وريف هذا البلد ، ذلك أنه بمقدور أهل المدن والناس الأثرياء شراء آلات التصوير الحديثة لأخذ اللقطات التصويرية التي يريدونها ، كما أنه بمقدورهم تحمل نفقات تكاليف استوديوهات التصوير لمناسباتهم الرسمية والخاصة .

ويوجد المصورون المتجولون في (جواتيمالا) في كل مكان وبين مختلف الأوساط ، كما أنهم دائمو التجوال في الأرياف ، وبين

القرى ، وفي الأماكن النائية البعيدة ، وهم يحضرون جميع الاحتفالات في البلاد حيث يكثر الطلب عليهم لالتقاط الصور كذكرى للمشاركين في هذه الاحتفالات .

ويعمل في (جواتيمالا) حالياً حوالي **(٣٠٠) مصور** مهني محترف ، نصفهم يعملون كمصورين متجولين ، وهؤلاء يتوزعون على مجموعتين أساسيتين بحسب الموقع الجغرافي للبلاد ، فالمصورون الذين يعيشون في غربي البلاد يعملون بصورة رئيسية في الأراضي الجبلية ، والعديد منهم يعيش في **منطقة (كويزيل تينانجو)** وما حولها ، وأكثريتهم يتبعون أسر معيّنة قليلة تمتلك هذه الصنعة ويتوارثها أبناؤها جيلاً من بعد جيل ، والمجموعة الثانية تعمل في شرقي البلاد ، ويتواجدون بكثافة **في منطقة (زاكابا)** ، ويغطي نشاطهم الأسواق الموسمية والمعارض في الأراضي المنخفضة شرقي جواتيمالا ، كما يوجد حوالي **(٤٠) مصوراً** آخر يعملون في الشوارع والحدائق العامة ويقيمون في العاصمة (جواتيمالا) ، وأحياناً يغادرون العاصمة إلى الأسواق والمعارض في كلا الاتجاهين الشرقي والغربي .

مهنة .. بالوراثة

وغالباً يكون المصورون المتجولون أعضاء في أسرة واحدة يتوارثون العمل التصويري من بعضهم ، ويحدث كثيراً أن يوجد في مكان واحد الآباء والأبناء والإخوة وأولاد العم أو الخال أو الخالة ، ويتمرّن الصبي مع والده أو أحد أقاربه ثم يستلم العمل لوحده ، وهو إما يعمل على تركيب آلة تصوير بنفسه ، أو يشتري واحدة من مصور آخر ، والستارة الخلفية الأولى له تكون عبارة عن قماش عادي وعليها رسوم وزخارف بسيطة ،

وسيظل يعمل بها عدة سنوات إلى أن يقدم على عمل ستارة خلفية ملونة عليها رسوم منوعة خيالية ، وينصب المبتدئ في العمل آلة تصويره بجانب أحد أقربائه ليستعين به إذا ما اعترضه أي عارض فني ، وأيضاً ليعلّمه أصول المهنة ، وعادة يستلم الشاب العمل بعد انتهائه من تأدية خدمة العلم ، ويُقبل في مجتمع المصورين بدون أي احتفالات أو مراسيم .

والتقاط الصور من قبل الجمهور يكون عادة لرغبات عاطفية أو للهو والافتخار ، أو لتسجيل ذكرى حضور الاحتفالات العامة الدينية والقومية والشعبية والاجتماعية ، أو لضرورات قانونية رسمية ، كالحصول على بطاقة الهوية الشخصية أو بطاقة السواقة أو غير ذلك .

في الأسواق

والمجتمعات ذات المستوى الاقتصادي المنخفض ، ومنها مجتمع دولة (جواتيمالا) ، يكون لها أسواق أسبوعية ذات أهمية كبيرة في حياة ومعاش الأفراد من أهل المدن والأرياف ، حيث تتم فيها أعمال التجارة والمقايضة بتبادل المنتجات الريفية والمدنية ، ويحتشد في هذه الأسواق الكثير من الناس الذين يكون معظمهم من الهنود الذين ينزلون من قراهم مبكّرين حيث يصلون المدن مع حمولاتهم الكبيرة قبل الفجر ، ولتبلغ عمليات المقايضة ذروتها أثناء الصباح وما قبل الظهر ، وتشمل عمليات المقايضة مختلف السلع ، وتبادل الفواكه الموسمية والخضروات ، والصناعات اليدوية مثل الفخار والخزف ، والثياب والأقمشة والأدوات المعدنية والحبوب والحطب والدجاج والديوك الرومية والبيض والأزهار ومختلف أنواع الحيوانات ، وأي شيء آخر من ضروريات الحياة .

وحالما ينفضّ السوق يتدفّق الهنود وأهالي الأرياف على



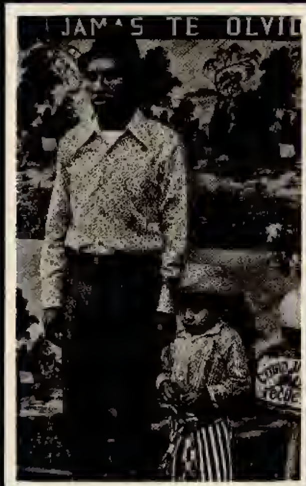
المصورين المتجولين وهم في ملابسهم التقليدية لأخذ الصور التذكارية وليصرفوا بعض المال الذي حصلوا عليه بمشقة بالغة، ويكون المصورون قد نصبوا آلات التصوير في صفوف منسّقة، كما بسطوا الستائر الخلفية الملونة التي رسمت عليها مختلف أنواع الرسوم التي تمثّل قمّة الإغراء والجذب المبهرج، وعادة تكون الستائر الخلفية قطع متصلة من «**الكنفا**» التي طرّزت بدقة وعناية، ويرسم على الستائر مشاهد متقنة تمثّل بعض ما يجري في الحياة اليومية من أحداث، والتلوين يكون دائماً بألوان زاهية لمّاعة، وأحياناً تعبّر بعض الرسوم عن أشياء خيالية وهمية منفذة ببراعة تامة وتكون بنوعية الرسم المنظوري الذي يوحي بأبعاد إضافية للصورة المرسومة، وهذا يدخل البهجة والسعادة على كل من يشاهدها.

وتصنّف هذه الستائر الخلفية حسب نوعيات رسومها في أربع مجموعات رئيسية، وتكون أهمها الرسوم التي تمثل المعالم والأحداث الهامة في حياة البلد، ورسوم الأماكن الدينية المقدسة التاريخية والمعاصرة ودور العبادة، ورسوم القصر القومي في جواتيمالا، ورسوم طبيعية للغابات والحدائق العامة الكبيرة، وأهم ما يقبل عليه أهل القرى والأرياف، هي الرسوم التي تمثل المشاهد المعاصرة للأبنية الشاهقة، والساحات العامة، والشوارع الكبيرة في العاصمة جواتيمالا، والمدن الكبيرة في أميركا اللاتينية عموماً مثل مدن (**ساوباولو، ليما، سانتياجو، برازيليا**، وغيرها)، ولعلّ هذا يمثل لأهل الأرياف أحلاماً كبيرة يتمنون تحقيقها عن طريق الصورة التي تشعرهم، ولو بالخيال، أنهم فعلاً قد زاروا هذه العواصم الكبيرة التي يسمعون عنها، وساروا في شوارعها الكبيرة وبين أهلها المدنيين، وهناك ستائر خلفية ملونة نقشت عليها رسوم تمثل مشاهد خيالية جامحة كالتي ترويها الحكايات الشعبية والقصص الأسطورية ورسوم مدهشة، كما أن هناك رسوماً كثيرة تمثل **طير (الكورتيزال)** شعار جواتيمالا القومي، وهو يحلّق عالياً في السماء ضمن أطر لرسوم تمثل مناظر طبيعية خلّابة.



والمصورون المتجولون يستعينون إضافة لذلك بأثاث وملابس خاصة للتصوير تمثل مختلف أشكال الشخصيات التي يطلبها الزبون ، وهي قابلة للحمل والنقل وأهم ما فيها أن تكون لافتة للنظر ، وكل مصوّر يمتلك كرسياً ملوناً بلون زاه وأزهار بلاستيكية منسّقة في إبريق فخاري تكون أحياناً كجزء من الستارة الخلفية .

والمصور المتجول يعمل بفاعلية كبيرة .. في لحظة يغيّر من هيئة الزبون ، ويقلب حاله من إنسان قروي إلى إنسان مدني ، كرجل أعمال أو موظف رسمي ، وذلك بعد أن يلبسه المعطف المناسب وربطة العنق اللائقة ، ويفضّل القرويون عادة الوقفات المدنية الرسمية أمام مناظر تمثل الشوارع والساحات العامة في المدن ، والنساء القرويات يغيّرن من هيئاتهن ويلبسن قبعات الرأس التزيينية والبلوزات والسترات المدنية الحديثة فوق قمصانهن القروية ، ويكون طبيعياً جداً أن يحمل القرويون بأيديهم ، عند التقاط الصور ، بعض الأشياء المدنية والقروية كالمذياع والسلال والحبال والأحجار والدجاج والديوك الرومية ، والذي يزور هذه البلاد يلحظ بوضوح أنه ما زال لآلة التصوير القديمة هذه سحرها وتأثيرها القوي على أهالي هذه البلاد ، وذلك كما كانت في أول عهدها في الأقطار التي تخلت عنها ، ولا يزال هؤلاء المغامرون الجسورون يحملون أمتعتهم الكثيرة على ظهورهم ، ويجوبون القرى والبلاد والمواسم والمعارض ليقدموا مقابل المال القليل أو الحاجيات البسيطة صوراً لذكريات تبقى على مرّ الأيام .. وبعض اللافتات التي يعلّقونها أمام ستائرهم تقول : (ذكريات اليوم وكل يوم) .. و (إذا ذهبت بعيداً .. تذكّرني) .





الشرق .. في عيون الغرب

«حصان عربي» An Arab Stallion

ادريان جونز ● المدرسة الإنجليزية ● رسم بالزيت على كنفا ● ١٨٤٥م - ١٩٣٨م

لمن يدق القلب..؟

شعر: محمد عبدالقادر فقيه

عَلامَ تَدُقُّ يا قلبي | وتملأ بالأسى جنبي
لأيام خلت ومضت | وكان جمالُها يصبي
لأحبابٍ ألفتهمو | وغاير دربهم دربي
سلاني جُلّهم ونَسَوا | ولا ينساهمو قلبي
فما أقوى حفيظتهم | على ماضيهمو العذبِ

علام تدق يا قلبي؟

على حلم شغفتُ به | زمان الدرس والكتبِ
قطعت العمرَ أطلبه | وأنصب أيّما نصبِ
وأرقب كلَّ بارقةٍ | وأتبعُ مُرعِد السُحُبِ
عداني سيبه ومضى | يروّي مجدب التربِ

علام تدق يا قلبي؟

لطفلٍ في لفائفه | يطوّف حوله حبي
إذا ما صَاحَ من ألم | فَوَا شَجَني ويا كَرْبي
وإن بسمت ثنيته | رأيتُ السَّعْدَ في قربي
أراني في مخائله | فاعجب أيّما عَجَبِ
وأشفق أن يكيدَ له | زمانٌ دأبه دأبي
عزائي لو سَلَوتُ به | عن الخلاّنِ والصُّحْبِ

ديوان «أطياف من الماضي»

المدينة

من الصعب وضع تعريف واضح يفرق بين المدينة والقرية ، فالبعض يقول إن الفرق في عدد السكان (الولايات المتحدة ، الهند ، باكستان) والبعض الآخر يشير إلى أن الفرق في نوع المهنة أو الأساس الاقتصادي للوحدة السكانية (إيطاليا) ، كما يشير بعض ثالث إلى أن الفرق في المستوى الإداري أو المظهر العمراني (السويد ، بولندة ، رومانيا) . . . إلخ .

ومختصر القول إن مشكلة تعريف المدينة وتفريقها عن الريف ليست سهلة ، ومما يزيد المشكلة تعقيداً أن أجزاء المدينة الواحدة أو المجموعة الحضرية (المدينة وضواحيها) ، تختلف في كثير من الأحيان في مظاهر التحضر البادية فيها . . فبعض الأجزاء تكون أقرب إلى القرى بينما تمعن باقي الأجزاء في التحضر .

هذا ، وقد اتفقت الهيئات الدولية « الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة » على اعتبار كل تجمع سكاني يزيد عن ٢٠,٠٠٠ نسمة مدينة وذلك لتسهيل المقارنات الدولية[١] .

ويتفق كثير من الاجتماعيين على أن المدينة هي تجمعات سكانية كبيرة وغير متجانسة تعيش على قطعة أرض محدودة نسبياً . ويضيف البعض إلى ذلك أن هذه الوحدة السكانية تمتاز باعتمادها على الصناعة أو التجارة . . . أو عليهما معاً ، كما تمتاز بالتخصص وبتعدد النظام السياسي والاجتماعي ، على أن **الدكتور عبد المنعم شوقي** يتردد في اعتبار هذه الإضافات جزءاً من التعريف ، لأنها لا تنطبق على كثير من المدن المختلفة اقتصادياً[٢] .

ويوضح **لويس ممفورد** أن المدينة هي المكان الذي تلتقي فيه كافة موجات الحياة المنتشرة والكثيرة ، وتظهر فيه فاعليتها الاجتماعية وقيمتها ففيها تتعدد وجوه الإنتاج الحضاري كما تتحول بداخلها الخبرة والتجارب الإنسانية إلى إشارات رموز حية وأنماط للسلوك وقواعد للنظام[٣] .

والمدينة تعد في المقام الأول مجموعة من الجماعات الأولية والترابطات الهدفية مثل الأسرة وجماعة الجوار . . . وإذا كان هذان الشكلان سائدين في كل المجتمعات ، فإن الشكل الثاني وهو الترابطات الهدفية يعد سمة لحياة المدينة على وجه الخصوص ، ويرى ممفورد أن هذه الجماعات والترابطات المؤلفة للمدينة تترابط فيما بينها بفعل قيام تنظيمات وهيئات اقتصادية كبيرة وصغيرة تخضع لمجموعة من التشريعات المحددة ، ويعد تقسيم العمل الاجتماعي البعد السوسيولوجي للمدينة على حين يتمثل بعدها المادي في مخازنها وأماكن الاجتماعات بداخلها إلى غير ذلك[٤] .

النظرة الفلسفية

نالت المدينة كظاهرة اجتماعية حضارية اهتمام المفكرين والعلماء منذ بداية الفكر الإنساني من حيث دراسة الحياة في المدينة وما يتصل بها[٥] . وقد اختلفت الآراء حول ظاهرة المدينة . . فمنهم من نظر إليها باعتبارها من أعظم منجزات الإنسان ، ومنهم من اعتبرها غير ذلك تماماً ، ومنهم من تأرجح رأيه بين وجهتي النظر هاتين .

وعلى سبيل المثال ، نجد أن « **ليونارد ريسمان** » يعتبر المدينة من أعظم منجزات الإنسان ، كما أرجع نشأتها إلى خمسة آلاف سنة من عمر الحضارة البشرية ، وأن الإنسان توصل إلى نشأة المدينة عندما توافرت له القدرة على تهذيب بيئته الطبيعية والاجتماعية ، واستشهد على صحة رأيه بآراء « **جوردن تشيلد** » التي تؤكد حدوث ثورة حضارية في الألف الثالثة قبل الميلاد ، ممثلة في نشأة ثلاثة مدن يتراوح عدد سكان كل منها بين اثني عشر ألفاً وأربعة وعشرين ألفاً من السكان[٦] .

وقد عرفت المدينة في الحضارة المصرية القديمة ، وفي الحضارات الكلاسيكية التقليدية من البابلية حتى الرومانية بمدنها ذات الشهرة التاريخية .

وتعد محاولة أفلاطون من المحاولات المبكرة التي تعكس بوضوح اتجاه الفكر اليوناني القديم بصدد المدينة فحاول وضع صورة لمجتمع مثالي . . مجتمع الكمال حيث يصبح القانون والنظام عادة وفطرة[٧] .

وكذلك محاولة أرسطو عن المدينة التي نسجها على غرار أستاذه أفلاطون وأرسى مجموعة من القواعد يراها كفيلة لقيام المدينة الفاضلة التي يستطيع أن يعمل فيها كل مواطن وفق القوانين ويكفل لنفسه فيها أكبر قسط من السعادة . . وقد اعتبر أرسطو المدينة أرقى صور الحياة السياسية ، فهي مكان يسكنه الناس متجاورين بهدف تحقيق غاية نبيلة .

وتعد من أبرز المحاولات لتناول المدينة ، تلك المحاولة التي قام بها ابن خلدون حيث عدّها تشير إلى حالة الحضارة التي تأتي عنده في المرحلة الثالثة من قانون تطور العمران البشري ، وقد حمل على هذه المرحلة حملة شديدة وعدها بداية الانحلال والطريق إليه ، فحالة الحضارة حالة استقرارية يرسخ فيها الملك ويقوى فيها الترف ، ويقبل الناس على التأنق في العيش سواء كان ذلك في المسكن والملبس والمأكل والمشرب وإشباع الشهوات بأنواعها ، وتؤدي هذه إلى حالة من السكون ويدعه ينسى فيها الناس عاداتهم القبلية وتسقط عنهم العصبية وتذهب الشجاعة وتلين طباعهم وينسون الحماية والمدافعة ويحتاجون إلى من يدافع عنهم[٨] .

ويرى ابن خلدون أن أهل الحضر لكثرة ما ينعمون فيه من فنون الملاذ

والتحضر

بقلم : د. عواطف فيصل بياري

وعوائد الترف والإقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلوثت أنفسهم بكثير من مزعومات الخلق وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه[9] .

ولقد لقيت المدنية اهتماماً كبيراً من المفكرين الأوروبيين وبخاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، حتى أوائل القرن العشرين الميلادي ، ويمكن للمتتبع للخطوط الفكرية الفلسفية العريضة التي صاغها هؤلاء المفكرين إبان تلك الحقبة من قرون التحول الاجتماعي أن يميز بوضوح بين ثلاثة اتجاهات متباينة : المدنية بوصفها فضيلة ــ والمدنية بوصفها رذيلة ــ والمدنية بين الفضيلة والرذيلة .

فهناك من يرى أن المدنية تمثل إطاراً للانحلال والفساد والجريمة والفقر والشذوذ والإبهام والاكتظاظ ، على أساس أنها تتكون من أجناس بشرية ونسق غير مألوف ، والخط الغالب يمثل تلك المدن هو أنها مركز للصناعة والأعمال المختلفة[10] .

وهناك من يرى أن المدنية مركز للصحة والتعليم والترفيه وما إلى ذلك من مغريات الحياة التي يتفاخر الناس بالاستمتاع بها ، وإن بدا ذلك بصورة نسبية تبعاً لتباين كل منها من جهة ، وتبعاً لمدى وعي الفرد ودرجة إدراكه للمدنية التي يعيش فيها بالمقارنة مع المدن الأخرى من جهة ثانية[11] .

وقد ظهرت الاتجاهات المتباينة تلك لتناول المدنية على نحو تتابعي زمني . . فكرة المدنية كفضيلة تعد نتيجة لفلسفة الاستنارة العقلية التي برزت إبان القرن التاسع عشر الميلادي ، على حين أن مفهوم المدنية كرذيلة قد ظهر نتيجة لحركة التصنيع التي شهدها أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، ثم ظهر بعد ذلك مفهوم المدنية بين الفضيلة والرذيلة ، ورغم التباين الواضح بين تلك الاتجاهات الثلاثة فإن أحداً منها لم يستطع أن يقضي على الآخر بل ظلت جميعها بمثابة خيوط فكرية أساسية ارتبطت بالمدنية . ومن ثم أخذت دراسة المدن تتجه حول محورين هما[12] :

١ ــ سيطرة الصناعة والتكنولوجيا باعتبارها المهنة الحضرية الأولى .

٢ ــ ازدياد عدد المدن مع ازدياد المشاكل الاجتماعية المرتبطة باتساعها .

الفروق الريفية الحضرية

هناك بعض المحكات التي قد يؤخذ بها للتفرقة بين القرية والمدينة ، فقد يؤخذ بالكثافة السكانية ، كما يؤخذ بالمهنة أو درجة التخصص المهني ، إلا أن محك الكثافة السكانية يرتكز على أساس أن المهنة في الريف « الزراعة » تتطلب مساحة ضخمة ، بينما المهنة في الحضر قد لا تحتاج إلى أكثر من بضعة أمتار ، وهنا يشير **ويلكوكس** إلى أن المنطقة التي يقيم بها أكثر من ألف شخص في الميل المربع يمكن اعتبارها حضراً ، بينما التي يقل عدد الأشخاص فيها عن مائة شخص يمكن اعتبارها ريفاً ، والمناطق التي تقع بين هذين الحدين يمكن اعتبارها من القرى الهامشية أي تلك التي تجمع بين عناصر ريفية وأخرى حضرية[13] .

ويوضح كلًا من « **تايلور وجونز** » بعض المتغيرات للتفرقة بين القرية والمدينة هي كما يلي[14] :

المتغير	القريـــة	المدينـــة
المهنة	غالبية السكان يعملون بالزراعة ، الأقلية يعملون في حرف تخدم الزراعة .	غالبية السكان يعملون في الصناعة والتجارة والحرف الصغيرة وفي المهن المختلفة والأعمال الحكومية .
البيئة	يرتبط الإنسان بالبيئة ارتباطاً وظيفياً وغالباً يخضع للعوامل البيئية والظروف المناخية .	يرتبط الإنسان بها ارتباطاً ثانوياً من أجل الاستمتاع بها ويمكنه التغيير في بعض خصائصها لكي تتفق مع ما يريد .
حجم المجتمع	يرتبط بطاقة الأرض الزراعية ضيقاً واتساعاً	يرتبط بطاقة المهن والحرف والوظائف والأعمال المتاحة .
كثافة السكان	كثافة سكانية قليلة والارتباط بينها وبين القروية ارتباطاً سلبياً .	كثافة سكانية عالية ــ والارتباط بينها وبين الحضارية إيجابياً .
التجانس السكاني	تتميز بتجانس سكانها من الناحية الفيزيواجتماعية .	تتميز بعدم تجانس سكانها .
التباين والتدرج الاجتماعي	ينخفض التباين والتدرج في القرية ، وفي حالة وجوده فإنه يرتبط بالملكية الزراعية	توجد علاقة إيجابية بين درجة التحضر وبين التباين و التدرج الاجتماعيين .
الحراك الاجتماعي	يوجد الحراك الأفقي ويكاد ينعدم الحراك الرأسي .	تتميز المدينة بزيادة الحراك الرأسي على الحراك الأفقي .
نموذج	يقوم التفاعل الاجتماعي على	التفاعل الاجتماعي يقوم في

التفاعل الاجتماعي	أساس المواجهة والعلاقة المباشرة .	الغالب على علاقات غير مباشرة أو عرضية .

ويرى « **شنيدر** » أن المجتمع الحضري الصناعي يختلف معناه الفني عن المجتمع التقليدي حيث ينقص وجود نسق عام من القيمة الاجتماعية وتقل فيه درجة الترابط الاجتماعي بين الأفراد ، ودرجة الانتاء الاجتماعي بمعنى أن المجتمع الحضري الحديث تشوبه خصائص متعددة من عدم التوازن الحضري وعدم التوازن . هذا يرجع إلى ارتفاع معدلات الجريمة وانحراف الأحداث ، وما يترتب على الاكتظاظ السكاني الحضري من مساوئ أخلاقية[١٥] .

وقد مهد **ردفيلد** الطريق لتلك الدراسة المتعلقة بالمتصل الريفي الحضري حيث يرى أن السمات التي تميّز مجتمع القرية أو المجتمع الشعبي هي[١٦] :

١ ـ عدم وضوح ظاهرة تقسيم العمل باستثناء تحديد عمل كل من المرأة والرجل .

٢ ـ يخلو مجتمع القرية من المؤسسات الاجتماعية ، وكذلك الهيئات الأخرى باستثناء الأسر والعائلات باعتبارها من أقدم أشكال الترابط الاجتماعي .

٣ ـ كل فرد في القرية يعرف باقي أفرادها من كل الوجوه .

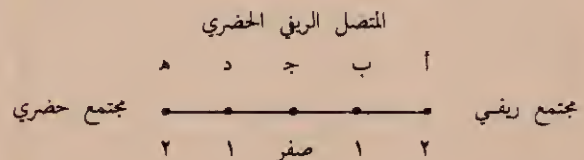
٤ ـ يستند الضبط الاجتماعي في القرية على السنن الاجتماعية .

٥ ـ يتميّز هذا المجتمع الشعبي بقوة الإحساس بالوحدة الاجتماعية .

٦ ـ يعتمد الاقتصاد في هذا المجتمع الشعبي على الاكتفاء الذاتي .

وكلما زاد الاحتكاك بين المجتمع الشعبي والمجتمع الحضري في المدينة ، أدى ذلك إلى إتاحة الفرصة للتحول من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحضري . . وهذا يمثل الشكل التالي المتصل الريفي الحضري الذي وضعه « ردفيلد » من أجل التفرقة بين القرية والمدينة أو بين المجتمع الشعبي والمجتمع الحضري .

المتصل الريفي الحضري



وتشكل النقطة (أ) من هذا القياس نوعية المجتمع الشعبي ، كما تشكل النقطة الأخيرة (هـ) نوعية المجتمع الحضري ، والنقاط التي تقع بين هاتين النقطتين تعبّر عن آثار التغير الثقافي سواء كان ناتجاً عن النمو الحضري أو التغير الحضري ، ذلك أن المجتمع الريفي تنتقل إليه الثقافة عن طريق الاحتكاك ، ويظل يتطور إلى أن يصل إلى نقطة الصفر حيث يصعب تحديد نوعيته « ريفية أو حضرية » ، ثم يبدأ بعد ذلك التطور إلى مستوى حضري متميّز إلى أن يصل إلى المستوى الحضري السائد . وقد اتخذ « ردفيلد » من هذا البناء العقلي أداة تحليلية تمكنه من المقارنة بين المجتمعات القائمة وبعضها البعض باستخدام هذا المقياس ، لا سيا في تحديد حالة التجانس السائدة في المجتمع الشعبي وحالة اللاتجانس السائدة في المجتمع الحضري[١٧] .

وقد حدد « ردفيلد » خصائص المجتمع الشعبي في أنه صغير ، منعزل ، خال من التعلم ، متجانس ، الإحساس بالتضامن هو الذي يربط بين أعضائه ، وقواعد السلوك تعتمد على الاعتبارات الشخصية وكذلك الاعتبارات التلقائية والتقليدية[١٨] .

وبالرغم من كل الدراسات حول ثنائية « ريفي ـ حضري » فإن الحقيقة الأساسية التي يلتزم بها كل من علماء الاجتماع الريفي والحضري على السواء ، هي أن هذه الفروق بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري فروق في الدرجة وليست في النوع ، ذلك أن كل فرد وكل شعب وكل أمة وكل حضارة تعد إطاراً بشرياً يتضمن كل منها قدراً كبيراً أو متميزاً من السمات المشتركة على حين أن الاختلاف يكون في مدى أو درجة وضوح هذه السمات أو بعضها عندما تقارن بغيرها من السمات[١٩] .

المدنية والتحضر

تعد مصطلحات المدنية التحضر من المصطلحات التي حظيت باهتمام جانب كبير من علماء الاجتماع وبخاصة علماء الاجتماع الحضري على الرغم مما يكتنف هذه المصطلحات شأنها شأن غيرها من المصطلحات المستخدمة في العلوم الإنسانية عامة والعلوم الاجتماعية خاصة من غموض وتداخل وخلط ، فإن هذا جهداً بذل لتحديدها والمتتبع لمجموع التعريفات التي تناولت على وجه الخصوص ظاهرة التحضر يمكن أن ينتهي إلى تقرير أن الاتجاه العام الذي يجمع بينها هو الربط بين التحضر وبين التغير والتحول البنائي ، بل إن بعضاً منهم يذهب في تصوره إلى أن مصطلحي التحضر والتغير مصطلحان مترادفان ، ومعنى الربط بين التحضر والتغير أن التحضر ظاهرة ديناميكية فعالة تؤثر في تنظيم المدينة ونظمها .

ويرى **Bergel** أن السكنى في المناطق الحضرية توفر أسلوباً للحياة هو أسلوب الحياة الحضرية Urbanism ، وعنده أن أسلوب الحياة الحضرية لا يعني فقط اتجاهات وحالة عقلية ، بل إنه مرحلة من المدنية ، لأن كل الحضارات نبعت من مدن لأن الحياة الاجتماعية في المدينة توفر تخصصاً في العمل وهو شرط أساسي لنمو وازدهار العلوم والفنون واستخدامها[٢٠] .

والتحضر Urbanisation يعني نسبة السكان الذين يقطنون المدن إلى مجموع سكان وطن ما ويعبر عنه بالمعادلة U + Pc/Pr حيث U يرمز إلى التحضر، Pc لسكان المدن، Pr لسكان الريف[٢١].

ويصف **ليبوكس وولنسكي** أسلوب الحياة الحضري بأنه يتسم بانتشار العلاقات الاجتماعية الثانوية (غير العميقة الهادفة إلى المنفعة وغير طويلة الأمد) والحراك الاجتماعي المتزايد والاتصالات السطحية، وعدم المبالاة، وتفكك روابط الجماعات الأولية وازدياد أهمية القواعد السلوكية في المنظمات الاجتماعية، والضبط الاجتماعي المتصل بها، وازدياد عدد المنظمات الكبيرة الحجم والجماعات التطوعية بجانب الفردية[٢٢].

خصائص التحضر

اتجه عدد كبير من العلماء إلى الاهتمام بتحديد خصائص التحضر، ومن بين هؤلاء العلماء تأتي محاولات كل من «**جورج سمبل وسوركين وزمرمان وروبرت بارك ولويس ويرث**» وغيرهم من الباحثين، ونذكر في هذا المجال اتجاه **لويس ويرث** في كتابه التحضر الذي حدد فيه خصائص التحضر وحصرها فيما يأتي[٢٣]:

١ ـ تقسيم العمل مع وجود بناء مهني معقد.

٢ ـ وجود درجة عالية من الحراك البيئي والاجتماعي.

٣ ـ شيوع ظاهرة الاعتماد الوظيفي المتبادل بين السكان.

٤ ـ شيوع ظاهرة الإبهام في الاتصالات الشخصية، وكذلك شيوع قطاعية الأدوار.

٥ ـ الاعتماد على أساليب غير مباشرة في الضبط الاجتماعي.

٦ ـ وضوح صور الانحراف عن المعايير القائمة.

ويضيف د. **محمد خيري** إلى ما تقدم ظواهر اللاتجانس المادي واللامادي وشيوع العلاقات الثانوية ووضوح اللوائح والهيئات وارتباط التحضر بدرجة كبيرة من التسامح الاجتماعي المتمثل في حرية العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتعدد الصور السلوكية والمذاهب والاهتمامات[٢٤].

ونتبين من هذه المحاولات لتحديد خصائص التحضر أن هناك اتجاهاً نحو ربط ظاهرة التحضر بأبعاد تكشف عن الاتجاه إلى التغير.. ويؤكد ذلك «**ولنسكي وليوكسي**». «Wilensky & Lebeaux» إذ يقولا إن علماء الاجتماع انحصر اهتمامهم في بداية الأمر في تناولهم لظاهرة التحضر في البعد الديموجرافي في المدنية أي تناولها من حيث حجم السكان وكثافتهم وعدم تجانسهم، وكان مقودهم في ذلك أن التحضر يرتبط بمعيشة وتكاثف السكان، بيد أنهم سرعان ما تبينوا أن حجم السكان وكثافتهم وعدم تجانسهم، رغم أهمية كل هذه العناصر، لا تصنع كل شيء خاصة إذا ما اعتبرنا المدنية تعد نسقاً اجتماعياً أهم أبعاده العلاقات الكائنة وانتهوا إلى أن المدنية تمثل المجتمع وتعكس كل ظواهره وخصائصه، وعلى هذا الأساس جاء اهتمامهم بالتحضر بوصفه أسلوباً للحياة متغيراً دائماً.

ويتميّز هذا الأسلوب بظهور أنماط واتجاهات جديدة لاستمرارها كاتجاهات الموضة والاستهلاك والترفيه والعلوم والفنون[٢٥].

ومهما يكن من أمر هذه المحاولات في تحديد خصائص ظاهرة التحضر التي تبين منها مدى الاتفاق الواضح بين العلماء في عدد من الخصائص الأساسية، فإن كل من هذه المحاولات قد حاولت أن تقف على الأبعاد الأساسية والعناصر الجزئية التي تشكل الحياة الحضرية ومن ثم فلم يغلب على محاولاتهم الصفة العلمية في التصنيف بقدر ما غلبت عليهم صفة العمومية.

ونحن نتفق في هذا البحث مع التصنيف الذي وضعه «**بيترمان**» في دراسته للتحضر كظاهرة تقوم داخل نسق محدود، ومن ثم فإنها تتشعب تبعاً لتباين هذا النسق، وليس معنى الأخذ باتجاه «بيترمان» إنكار قيمة المحاولات السابقة، ونظرة على اتجاه «بيترمان» نجده يقرر أنه يمكن أن ننظر إلى التحضر من منطلقات ثلاثة ينبغي الجمع بينهم:

الأول: العلاقات القائمة بين الإنسان وبيئته الطبيعية، وفي هذا المجال يظهر البعد الأيكولوجي في دراسة التحضر.

الثاني: دراسة التنظيم الاجتماعي القائم داخل المكان وهنا يظهر البعد السوسيولوجي.

الثالث: دراسة طرق التفكير التي تطبع الحياة الحضرية.

ويتفق مع «بيترمان» «**لويس ويرث**» حيث يقول إن التحضر له بعدٌ بنائي فيزيقي يشمل السكان والتكنولوجيا ونسقاً أيكولوجياً ونسقاً من التنظيم الاجتماعي له سمات محددة[٢٦].

مما تقدم تبين أن هناك اتجاهات ثلاثة في دراسة البناء الحضري للمدنية هي الاتجاهات الديموجرافية والأيكولوجية والسوسيولوجية، وقد أسفرت آراء الباحثين إلى أن البعد الديموجرافي لا يمكن أن يستقيم كاتجاه مستقل بذاته في دراسة البناء الحضاري للمدينة، وذلك لتباين الاتجاهات المتصلة بتحديد الحجم السكاني الذي يمكن أن تقرر، بناء عليه، ما إذا كان الشكل المورفولوجي القائم حضرياً أم غير ذلك، كذلك الحال بالنسبة للبعد الأيكولوجي الذي يهتم بدراسة وتحليل علاقة الإنسان بالمكان والعلاقات المكانية إذ هو بعد أساسه ثقافي وسوسيولوجي، ونخلص من ذلك أن البعد السوسيولوجي هو المنطلق الأساسي في الدراسات والبحوث الحضرية وهو بعد

يلتزم ويأخذ بالاتجاهات الديموجرافية والعمرانية باعتبارها اتجاهات بشرية إطارها المجتمع العام.

خاتمة

يرجع الاختلاف في تحديد مفهوم المدنية وتفرقتها عن الريف إلى:

● اختلاف طبيعة النشاط من مجتمع لآخر، نجد أن هناك مجتمعات تكون الحرفة الأساسية فيها في المناطق الريفية هي الزراعة. وهنا يمكن التفرقة بين الريف والحضر على أساس الحرفة، بينما نجد أن مجتمعات أخرى لا يمثل اختلاف المهنة أو النشاط الاقتصادي متغيراً أساسياً في التفرقة، فنجد البحث عن أسلوب آخر للتفرقة بين الريف والحضر مثل عدد السكان، وهنا أيضاً نجد أن عدد السكان ليس معياراً ثابتاً لكل المجتمعات في التفرقة بين الريف والحضر، وبالتالي نجد البحث عن متغير آخر للتفرقة بين الريف والحضر مثل التقسيم الإداري.. وهكذا فإننا **نجد أن صعوبة التفرقة بين الريف والحضر ترجع بشكل أساسي إلى التمايز بين المجتمعات من ناحية واختلاف درجة التطور من مجتمع لآخر**، حيث نجد مظاهر التحضر تجتاح الريف بإدخال التكنولوجيا في بعض البلدان، بينما نجد سيادة الطابع الزراعي في بلدان أخرى مما يزيد من مظاهر الاختلاف بين المجتمعات.

● أن الدقة في تحديد المفهوم ترتبط بالعمومية في سمات التحضر أو الريفية ونظراً للتباين بين المجتمعات، كان من الصعب الاتفاق على معيار واحد يمكن على أساسه التفرقة بين الريف والمدينة.

من هنا كان الاتجاه إلى تحديد العديد من الخصائص التي يمكن من خلالها التميّز بين الريف والحضر والتي ارتبطت بفكرة المتصل الريفي الحضري الذي يوضح البعدين الأساسيين الريف والحضر من خلال تلك الخصائص التي أشرنا إليها للتفرقة في ضوئها بين الريف والحضر على درجات المتصل، تلك الخصائص التي ترتبط بالمجتمع الشعبي.

وكما أشرنا إلى سمات المجتمع الشعبي أو الريفي فقد أشرنا في تناولنا للمدنية والتحضر لسمات المجتمع الحضري... مع الأخذ في الاعتبار كما أشرنا إلى أن الاختلافات بين الريف والمدينة هي اختلافات في الدرجة، وهي ترتبط بمدى الأخذ بالحضرية كأسلوب للحياة.

الهوامش

(١) د. عبد المنعم شوقي، مجتمع المدينة، الاجتماع الحضري، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٠م، ص ص ٢٣ ـ ٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧.

(٣) Lewis Mumford, The Culture of Cities, (N.Y.), Har court brace & Co. Inc., 1936. P.223.

(٤) د. أحمد النكلاوي، القاهرة، دراسة في علم الاجتماع الحضري، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٢م، ص ٢٣.

(٥) Geddes, P., The survy of Cities in sociological Review Manchester No. 1, 1964, P. 74.

(٦) Reissman, H. The Urban process, The free press of Glencone, N.Y., 1964, P. 2.

(٧) راجع: د. مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الأول، القاهرة، الدائرة القومية ١٩٦٦م.

(٨) عبد العزيز عزت، فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ص ٣٧ ـ ٣٨، ٤٧ ـ ٤٨.

(٩) علي عبد الواحد وافي، مقدمة ابن خلدون، الجزء الثاني، القاهرة، لجنة البيان العربي، ١٩٥٨م، ص ٤١٣.

(١٠) Whyte, W.H., The Exploding Metropolis, Double day and Co., Inc., Garden City, (N.Y.) 1958, P. 1.

(١١) Thorondike, E.L., Your City, Harcourt, Brace & Co., (N.Y.) 1934, P. 7.

(١٢) Gulick, J., Old values and New institution in alebanese Arab, in Human organization, Rand, Cornell University Vol. 24, Number 1, (N.Y.), 1956, PP. 49 - 50.

(١٣) Quinn, J.A. Urban Sociology, American brock Co., (N.Y.), 1955, P. 17.

(١٤) Taylor, L. & Jones, A.R., Rural Life and urbanized society, Oxford University Press Inc., (N.Y.), 1964 PP. 49 - 50.

(١٥) Schneider, E.V., Industrial Sociology, The Social relations of industry and Community; Mc Graw - Hill book Co., (N.Y.), 1957 PP. 366 - 369.

(١٦) Wilson, L. & Kolb, W.L., Sociological Analysis (N.Y.), 1949 PP. 346 - 349.

(١٧) Redfield, R., The Folk Society, American Journal of Sociology Vol. 52 No. 4, 1947, PP. 13 - 15.

(١٨) Ibid, PP. 293 - 308.

(١٩) Redfiled, R., The Little Community and Peasant society and culture, Chicago, 1956, P. 1.

(٢٠) Bergel, E., Urban sociology, Macgrow - Hill book Co., (N.Y.), 1955 P. 14.

(٢١) Davis, K & Golden, H., Urbanization and the Development of pre - industrial areas in paulk Hatt & Albert J. (Ed.), Cites and Society the free press, (N.Y.), 1957, P. 121.

(٢٢) Wilensky, H. & Lebeanx C., Industrial Society and Social welfare, Free Press Paper, (N.Y.), 1965 P. 120.

(٢٣) Dictionary of Social Sciences, The free Press of Glencoe, (N.Y.), 1964.

(٢٤) د. محمد خيري محمد علي، الريف والتحضر، وظاهرة الجريمة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٤٣.

(٢٥) Uilensky & Lebeaux, Industrial Sociology and Society Welfare, Russell Sage foundation, (N.Y.), 1958 PP. 116 - 118.

(٢٦) Mann. P., An Approach To urban Sociology, London, 1966, PP. 71 - 72.



وسائل التغيير النصي للتوراة حسب التصور القرآني

بقلم: د. محمد خليفة حسن أحمد

لقد كان القرآن الكريم دليلاً للعلماء المسلمين في جهودهم الخاصة بنقد التوراة حيث قدم القرآن الكريم أول صورة نقدية إسلامية للتوارة، وأعطى أصولا علمية منهجية لنقدها تمكن علماء تاريخ الأديان المسلمون عن طريقها من الوصول إلى نتائج باهرة في هذا المجال تضاهي نتائج حركة نقد التوراة في عصرنا الحالي.

ويحتاج التراث الإسلامي في نقد الكتابات المقدسة عند اليهود والمسيحيين إلى عناية كبيرة من الدارسين المسلمين لتوضيح منهجه واتجاهاته النقدية.. وهذا النوع من الدراسات لا يهتم به المستشرقون كثيراً ولا يودون نشره أو ترجمته نظراً لما فيه من نقد علمي صريح للتوراة والأناجيل. ولهذا فمهمة الخروج بهذا التراث إلى دائرة الضوء تقع على عاتق المسلمين. ولا يجب أن نكتفي ببحث هذا التراث باللغة العربية فقط، ولكن يجب ترجمته وتقديم أبحاث فيه باللغات الأوروبية لما في ذلك من فائدة للإسلام والدعوة إليه، وتوضيح منجزات المسلمين الأوئل في الدراسات النقدية الدينية، التي سبقت جهود الغربيين بعدد من القرون.

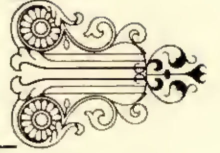
الموقف الإسلامي من التوراة

الموقف الإسلامي من التوراة الحالية واضح وصريح. ويقوم هذا الموقف على عدد من المبادئ النقدية الأولية التي لا تقبل أي تغيير، من أهمها:

●● **أولا**: الاعتراف بوجود توراة أصلية موحى بها من عند الله سبحانه وتعالى وتلقاها النبي **موسى عليه السلام**، وإن هذه التوراة اختلف فيها وتعرضت للكثير من ألوان التغيير والتبديل في نصوصها استناداً إلى قوله تعالى **﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب ﴾** (سورة هود، الآية ١١٠).

●● **ثانياً**: إن هذه التوراة الأصلية لا وجود لها فقد تعرض نصها لكثير من التعديلات التي ضيعت ملامحه الرئيسية استناداً إلى التحدي الإلهي الذي أعلنه القرآن الكريم على النحو التالي **﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين. فمن افترى على الله الكذب بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ﴾** (سورة آل عمران، الآيتان ٩٣، ٩٤). وكذلك قوله تعالى **﴿ وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾** (سورة آل عمران، الآية ٧٨).

●● **ثالثاً**: عدم الاعتراف بوجود نسخ متعددة للتوراة **كالنسخة السامرية** أو غيرها، كما هو الحال في رفض **الأناجيل** المتعددة والاعتراف بوجود إنجيل واحد أصلي.



●● **رابعاً :** الاعتراف بوجود مصادر إنسانية عرفت طريقها إلى نص التوراة واختلطت بالمصدر الإلهي لها استناداً إلى قوله تعالى ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٧٩) . وكذلك قوله تعالى ﴿ **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٥٩) . وكذلك أيضاً قوله تعالى ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٧٥) .

●● **خامساً :** إن دخول المصادر الإنسانية إلى نص التوراة هو السبب الأول والأخير للاختلاف فيها . وهذا المبدأ النقدي قد أقره القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾ (سورة النساء ، الآية ٨٢) .

وسائل التغيير النصي للتوراة

كما سبق القول ، أكد **القرآن الكريم** على تدخل اليد الإنسانية في نص التوراة الأصلي الموحى بها من عند الله سبحانه وتعالى . وقد عكف علماء نقد التوراة المسلمون ــ قديماً وحديثاً ــ على دراسة نص التوراة الحالي من أجل الوصول إلى تحديد هذا المصدر الإنساني . وقد اتخذ هؤلاء العلماء من القرآن الكريم دليلهم النقدي الأول ، والمقياس النقدي الذي يمكن عن طريقه معرفة ما هو من الوحي وما هو من غير الوحي في نص التوراة . وساعد على ذلك أن القرآن الكريم قدم للناقد المسلم أشكالا متعددة لإمكانية تطبيق النقد النصي المصدري على التوراة ، وأعطى وسائل كثيرة لإحداث التغيير في نص التوراة ، نذكر منها على سبيل المثال التحريف والتبديل والنسيان والإخفاء والظن إلى غير ذلك من وسائل التغيير في النص المقصود وغير المقصود . ولا شك في أن هذه الوسائل تختلف في درجة ما تحدثه في النص من تغيير . ولعل أقواها وأكثرها تلاعباً بالنص وتغييراً في معناه ما ذكره القرآن الكريم باسم التحريف والتبديل . والتحريف عملية تجري على النص من أجل تغيير معناه وذلك عن طريق نقل كلمات من أماكنها كما تشير إلى ذلك الآية ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾ (سورة المائدة ، الآية ١٣) ، وكذلك قوله تعالى ﴿ **يحرفون الكلم من بعد مواضعه** ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٤١) .

أما التبديل فهو تبديل معنى بمعنى آخر أو تبديل قول بقول كما يتضح من قوله تعالى ﴿ **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٥٩) ، وكذلك قوله تعالى ﴿ **فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٨١) . **وكما قلنا فالتحريف والتبديل من أخطر أنواع التغيير التي تحدث للنص** ، ففي حالة نص التوراة يتحول النص بفعل التحريف والتبديل إلى نص إنساني أو ، على أقل تقدير ، يصبح نصاً مختلطاً ، اختلط فيه النص الأصلي الإلهي الموحى به بالعنصر الإنساني الدخيل عليه فغير من ملامحه ومعناه تغييراً ملحوظاً .

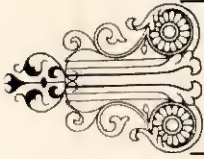
وإلى جانب التحريف والتبديل ، هناك وسائل أخرى ذكرها القرآن الكريم لا تقل خطورة في تأثيرها عن التحريف والتبديل وإن كانت لا ترتفع إلى درجة التحريف والتبديل فيما يتعلق بما تحدثه بالنص من تغيير . فأصحاب هذه الوسائل آثروا عدم التلاعب بالنص أو الاقتراب منه بالتغيير فيه ، ولكنهم اكتشفوا وسائل أخرى تحقق الغرض المنشود دون إلحاق أي تغيير في النص الأصلي . ومن هذه الوسائل يذكر القرآن الكريم ما يلي :

(١) الإخفاء : كما يبدو من قوله تعالى ﴿ **تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً** ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ٩١) . وكذلك قوله تعالى ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير** ﴾ (سورة المائدة ، الآية ١٥) .

(٢) الكتمان : كما يتضح في قوله تعالى ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٤٦) . وكذلك قوله تعالى ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون** ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٨٧) .

(٣) إلباس الحق بالباطل : كما في قوله تعالى ﴿ **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ٧١) . وكذلك قوله تعالى ﴿ **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٤٢) .

(٤) الكذب والتكذيب : كما يتضح في قوله تعالى ﴿ **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون** ﴾ (سورة آل عمران ، الآيتان ٩٣ ، ٩٤) . ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ **ويقولون**



على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ٧٨) .

(٥) لوي الألسنة بالكتاب : في قوله تعالى ﴿ **وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ٧٨) .

(٦) التعطيل : المقصود تعطيل أحكام التوراة وعدم إقامتها كما يتضح في قوله تعالى ﴿ **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون** ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٦٦) . وكذلك قوله تعالى ﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ (سورة الجمعة ، الآية ٥) . وقوله تعالى ﴿ **قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم** ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٦٨) .

(٧) الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض : كما يتضح في قوله تعالى ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٨٥) .

(٨) الإهمال : كما يتضح في قوله تعالى ﴿ **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٠١) . وكذلك قوله تعالى ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون** ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٨٧) .

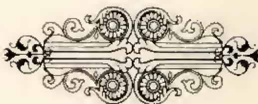
(٩) الظن : كما يتضح في قوله تعالى ﴿ **ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾ (سورة البقرة ، الآيتان ٧٨ ، ٧٩) .

(١٠) النسيان : ويتضح في قوله تعالى ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به** ﴾ (سورة المائدة ، الآية ١٣) .

وتوضح هذه الوسائل مجتمعة الطرق التي تحولت بها التوراة من نص إلهي إلى نص إنساني خطه رجال الدين واليهود بأيديهم . ويجب أن نذكر هنا أن هذه الإشارات النقدية القرآنية ، تقر بتعدد مصادر التوراة ، وأنها في شكلها الحالي لم تعد تمثل الوحي الأصلي بسبب تدخل اليد الإنسانية في بنائها . وقد وصلت حركة نقد التوراة في الغرب أخيراً إلى هذه النتيجة التي أقرها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً . ولا نعجب إذا عرفنا أن معظم المصطلحات النقدية القرآنية ووسائل التغيير النصي التي ذكرناها سابقاً ، أصبحت من مقومات المنهج النقدي للتوراة الذي تبناه علماء نقد الكتاب المقدس (**العهدين القديم والجديد**) منذ القرن التاسع عشر الميلادي . ويحتاج الأمر إلى دراسة مدى تأثير الدراسات القرآنية والإسلامية على التفكير النقدي الغربي خلال القرنين الماضيين ، فنحن نعتقد أن كثيراً من المستشرقين قد ساهم في تعريف علماء نقد الكتاب المقدس بالتصور النقدي القرآني والمنهج الذي طوره القرآن الكريم في نقد الكتابات اليهودية والمسيحية .

هذا بالإضافة إلى أن بعض كبار علماء نقد الكتاب المقدس كانوا أنفسهم من المستشرقين المهتمين بالدراسات الإسلامية ، ولا شك في أنهم تأثروا إلى درجة كبيرة بحركة النقد الإسلامية للكتابات اليهودية والمسيحية . ولا نريد أن ندخل في عملية إحصاء لهؤلاء المستشرقين ، ولكن يجب أن نكتفي بذكر أن مؤسس حركة النقد الحديثة وواضع أسسها ومكتشف ومطور نظرية مصادر التوراة **يوليوس فلهاوزن** هو أحد كبار المستشرقين المتخصصين في الدراسات العربية القديمة والدراسات الإسلامية .

وفلهاوزن هو الذي وجه حركة نقد الكتاب المقدس ، وتركت نظرياته وأفكاره أثرها الدائم والعميق في كل ما أنتجته هذه الحركة من فكر حتى وقتنا الحالي . ونرى ضرورة أن يهتم الباحثون المسلمون بتوضيح أثر منهج النقد القرآني للكتابات اليهودية والمسيحية ، وأثر كتابات العلماء المسلمين النقدية في هذا المجال على علماء الغرب من المستشرقين الذين تأثروا بطريق مباشر ، وغير المستشرقين من النقاد الذين وصلهم التأثير بوسائل غير مباشرة . ولعل هذا الجانب من الدراسات يلقي الضوء على صفحة مجهولة من صفحات تأثير الفكر الإسلامي على الفكر الديني الغربي في عصر طغت فيه أفكار الغرب ونظرياته على تفكير المسلمين .



حزن

«فقد الشاعر ولده وبكر أبنائه محمد، وله من العمر ٣٥ سنة إثر عملية جراحية خاطئة ظل جرحها ينزف سبعة أشهر انتقل بعدها إلى رحمة الله».

بغمضة عينيه استضاءت حقيقتي ... وبالصمت دوّت في دمي ألف صرخة
فلا تلبسوا الأشياء غير ثيابها ... فلا الدرع بالواقي ولا القوس بالتي
خلعت رداء الزيف عني فلم أعد ... أرى غير قبض الريح في كل قبضة
وليدي، وما قولي وليدي، بهيّن ... أليس وجودي فيك، سر البنوّة؟
ثلاثون عاماً، بل ثلاثون عالماً ... أضيئت وغامت، ثم زيدت بخمسة
صحبتك فيها منذ أن كنت فكرة ... تطلّ فتدنو منك بالغيب شرفتي
وإذ أنت ملء العين تهفو لك المنى ... وتتبعك الآمال في كل خطوة
أجل تلك أحلامي، وهذي رغائبي ... وتلك أغاريدي، وهذي فتوّتي
وتكبر في عيني، فتمتد رؤيتي ... إلى حيث ألق فيك زهواً رجولتي
وتختلف الأيام يسراً وشدة ... وتمضي سراعاً بين نوم ويقظة
وإذ أنت في ناب السقام فريسة ... تقوم – ولا تدري – مقام الضحيَّة
وإذ أنت تهزا بالجراح وباللظى ... وأنت بقاب، من لقاء المنيّة
وإذ أنت في حضني أحسُّك نائماً ... وأنت من الأخرى على باب هوّة
وإذ بك تصحو، ثم ترتد ساكناً ... كأن المنايا قَدْ وَنَتْ... فاستُحثت



أبي

شعر: عبد العليم القباني

وإذ بي أنادي صخرة في مفازة
(من العصم إن ترقى لها الطير زلت)
وعدت إلى نفسي، وبي صعقة الذي
لَوَتْ ركنه الأسرار، لمّا تجلَّت
أناديك مقهورَ الكيانِ كأنما
على كاهلي ألقوا بوزر الخليقة
أخي ووليدي وابن عمري وساعدي
وأول إحساسي بعزّ الأبوّة
وما هزة للقلب والكون ساكن
وما الأنس والدنيا سمادير جنة
كذلك كنت النجم لي في دجنتي
وأمني إذا ما الخوف طاف بغرفتي
ألست أراك الغرس والزهر والجنى
وهبَّة أنسام الربيع الندية؟
وأنك بعدي لي امتداد إذا انطوى
وجودي وغابت في رمادي حقيقتي
وعدت إلى أوراقي الصفر والتي
جمعتُ بها شعري وسوَّدتُ صفحتي
وأغلقتُ كتبي، وانتعلتُ مشاعري
أبرُّ عليها من سراب بقيعة
أضعتُ بها عمري كما ضاع كل من
تشامخ قبلي ثم أضحى بحفرة
ويا ولدي إن فاتك الشعر راثياً
تململ فيه الدمع في كل شطرة
فإنك تدري الآن أي فجيعة
بفقدك طافت بالمعاني فجفّت
وما خفقان القلب ما أنت سامع
ولكنها الآمال هانت فدُكّت



البشير بن سلامة

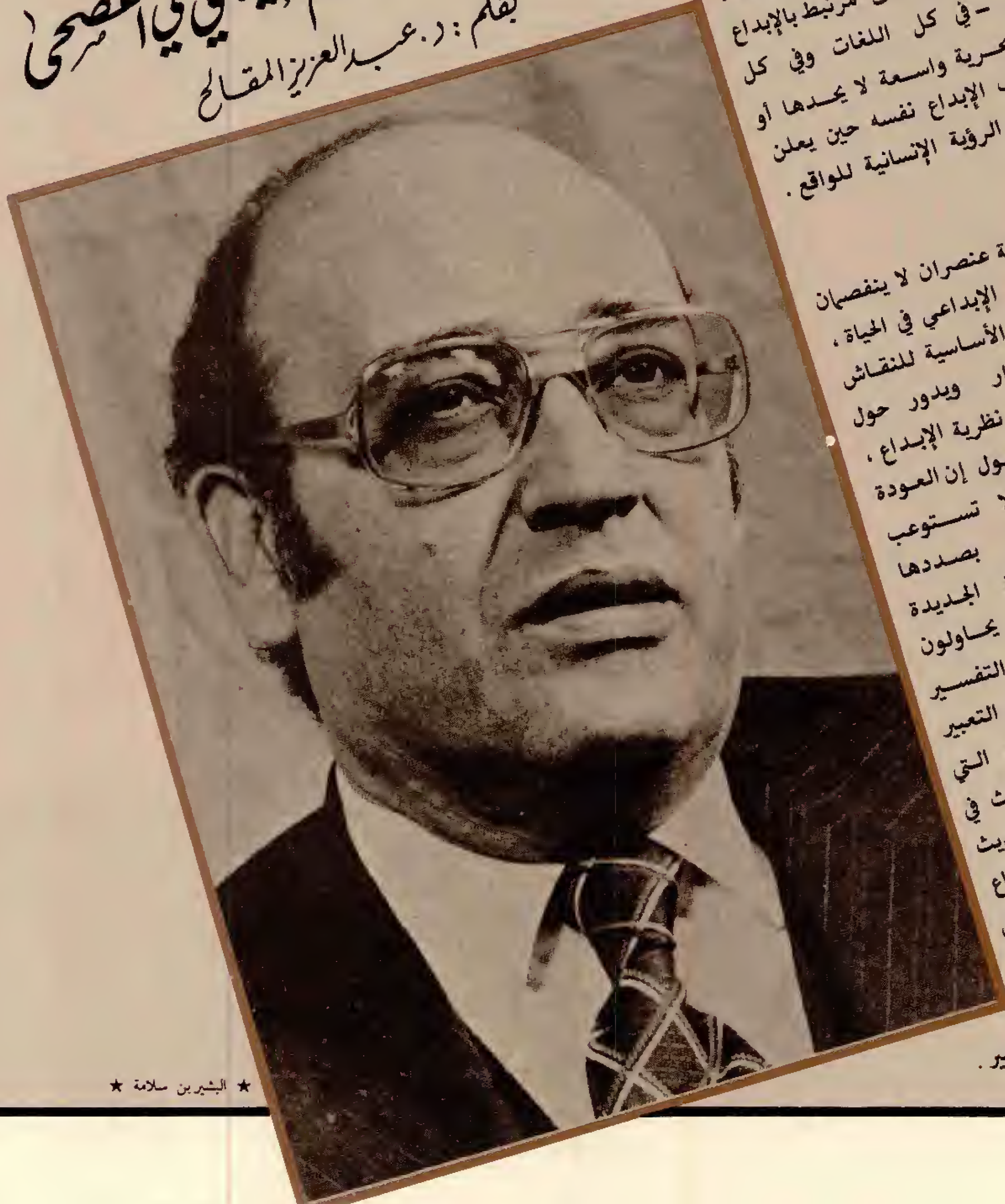
.. ونظرية التطعيم الإيقاعي في الفصحى

بقلم: د. عبد العزيز المقالح

ربما كانت أهم ميزة تثير الانتباه في الدراسات الأدبية مقارنة بغيرها من الدراسات الصادرة في مجال العلوم الإنسانية، أنها قابلة لكل أنواع الافتراضات، وأن هذه الافتراضات مهما اشتطت في أحكامها لا يترتب عليها أي تأثير يسيء إلى جوهر النص الأدبي أو يشوه مناخه ودلالاته، ربما لأن هذا النوع من الدراسات مرتبط بالإبداع الأدبي، والإبداع -في كل اللغات وفي كل العصور- يتمتع بحرية واسعة لا يحدها أو يجمدها سوى ضعف الإبداع نفسه حين يعلن عجزه عن تشكيل الرؤية الإنسانية للواقع.

والإبداع

والدراسة الإبداعية عنصران لا ينفصلان عن حركة النمو الإبداعي في الحياة، والعودة إلى الوقائع الأساسية للنقاش العقيم الذي دار ويدور حول أيهما أسبق الإبداع أم نظرية الإبداع، الأدب أم النقد؟ أقول إن العودة إلى تلك الوقائع لا تستوعب القضية التي نحن بصددها ولا تعكس الصورة الجديدة لهموم النقاد الذين يحاولون البحث في صميم التفسير التقليدي عن أبعاد التعبير الفني بنفس الحماسة التي يحاولون بها البحث في سلسلة التفسير الحديث عن الرؤية والإيقاع وبقية ما تطرحه الأعمال الأدبية القديمة منها والمعاصر من إشكالات ووسائل تعبير.



★ البشير بن سلامة ★

ولا تكتمل الإشارة إلى الميزة السابقة ـ ميزة تقبل الافتراضات المختلفة في قراءة النص الأدبي ـ إلا إذا تمت الإشارة إلى ميزة أخرى مؤداها أن قواعد الدراسات الإبداعية ومعاييرها قد ظلت مفتوحة المجال لاستيعاب كل الاحتمالات، وأن النص بمقولاته اللغوية والدلالية والإشارية لا يكف ولن يكف عن طرح الإشكالات وإثارة التساؤل إثر التساؤل والحوار إثر الحوار، **ولعل أهم ما ظفرنا به في عصرنا من خاصية اللقاء المختار أو المجبر مع الآخرين من حولنا هو هذا النصيب الوافر من الدراسات اللغوية التي مكنت النقّاد العرب في العقود الأخيرة من القرن العشرين أن يكتشفوا طرائق وأساليب جديدة للتعامل مع النص الأدبي، منها الألسني الأسلوبي، ومنها البنيوي التركيبي.**

ولا يمكن للباحث المتابع لظواهر هذه المستجدات النظرية وما أسفرت عنه من معطيات ومن مفاهيم في الفوارق بين اللغة والتفكير، بين لغة المشافهة ولغة الكتابة، بين اللغة بوصفها نظاماً، واللغة بوصفها استعمالا إلى آخر هذه الاصطلاحات، لا يمكن إلا أن يتجاوز برؤيته للنص الأدبي مستوى التعبير التقليدي الذي حققه النقد الأدبي إلى وقت قريب، وهذا ما بدأت تبشر به عشرات الدراسات التي يتفاوت حظها من النجاح والإخفاق، وعندما وقع في يدي كتاب (**نظرية التطعيم الإيقاعي في الفصحى**) للأستاذ **البشير بن سلامة**، أدركت أنه واحد من هذه الكتب الكثيرة التي تحاول في هذه المرحلة من التطور في المناهج الأسلوبية أن تشق مجرى جديداً في النهر القديم، وأن تتمثل مفاهيم قد تبدو للوهلة الأولى غامضة وغريبة، ولكنها لن تلبث أن تتضح أبعادها وينتهي بها الأمر إلى الاستقرار شأن كثير من النظريات والمفاهيم التي استوعبت حركة الزمن الأدبي وأشكاله وقفزت معه وبه من مرحلة التعارض والاحتمال إلى مرحلة التطابق. وقد أثبتت التجارب المعاصرة في مجال الآداب بخاصة ـ وما أكثرها في القرن العشرين الميلادي ـ أن الظواهر بمقدار ما تبدو غير مألوفة وغير نمطية تكون أكثر استهواء للإنسان وتجعله يعيد حساباته معها وفقاً لنظام المتغيرات في الحياة، وحينئذ تبدو له مألوفة ولا تلبث أن تتحول إلى مألوف نمطي يندمج في الوظيفة الاجتماعية ويتحرك في دائرة الواقع الجديد.

يختتم البشير بن سلامة كتابه بالفقرة التالية (هذه لمحات أولى عن نظرية التطعيم الإيقاعي في الفصحى وهي افتراض بطبيعة الحال يحتاج إلى أدلة أوفى مما ذكرت ولكنني أعتقد أن الماضي في هذا الاتجاه يفتح لنا أبواباً من البحث، ويكشف عن أسرار ما زالت اللغة العربية تخبئها عنا، وأكثر من هذا فإنه يفضي إلى نتائج جد خطيرة لها ارتباط بمسلمات ما زال يتعلق بها كثيرون ويكبلون من جرائها لغتهم وتطور حياتهم أيضاً) ص ١٠١.

وقد قفزت بالقارئ فجأة إلى نهاية الكتاب لا لكي نشارك الكاتب النتيجة التي توصل إليها في بحثه الجديد، وإنما لندرك مدى التواضع الذي تحلى به، فهو لا يقرر نظرية مفروغاً منها، ولكنه يلفت الانتباه إلى وجهة نظر أو بعبارة أخرى إلى افتراضية أسلوبية قد نجد من خلال النظر والبحث المتواصل ما يثبت صحتها وقد يكون العكس، ومن هنا يظهر خطأ الاستقبال الرافض لهذه النظرية موضوع البحث التي ما تزال في حكم الافتراض وإن كانت ـ من وجهة نظري الخاصة ـ قد أوشكت أن تأخذ ملامحها النظرية المستوفاة، وما ينقصها قدر أكبر من التطبيق ومن الاستعانة بالوسائل المعملية التي صارت تستخدم بكثرة من خلال ما يسمى بالمخبريات الصوتية.

القضية .. والمكونات

ولنكتف بهذا القدر من الحديث العام عن الكتاب لننظر في كيفية وضعه للقضية التي يحاول التنظير لها، ما هي وكيف يطرحها للقارئ المتخصص؟ ويفيدنا بداية أن ننظر إلى عناوين فصول الكتاب وهي بالترتيب:

★ **أولا: تطور الجملة العربية عند المولدين.**

★ **ثانياً: الكلام واللغة.**

★ **ثالثاً: الحد من التفاوت بين الفصحى والعامية.**

★ **رابعاً: العوامل الباعثة للغة طه حسين ـ نثر طه حسين.**

★ **خامساً: تطور الجملة العربية في الأدب الإفريقي.**

★ **سادساً: نظرية التطعيم الإيقاعي في الفصحى.**

ويمكن اعتبار الفصول الخمسة الأولى تمهيداً وصفياً وتاريخياً للفصل الأخير ومقدمة لا بد منها لتأسيس الأصول العامة لنظرية التطعيم الإيقاعي، ولأن فهم النظرية يتوقف على فهم التمهيد الذي أوحى بها ودفع إلى ظهورها، فإننا ـ قبل أن نتابع الفصل الأخير لنتعرف على مجمل النظرية ـ سنتوقف عند بعض الفصول السابقة ننظر إلى مصادر المكونات أو المؤثرات الأساسية التي أوحت بالنظرية وشجعت الكاتب على صياغتها ثم إعلانها، وأولى هذه المكونات هي تلك التي حدثنا عنها في الفصل الأول الخاص بتطور الجملة العربية عند **المولدين** حيث خرج زمان الجملة العربية بفضلهم من صورته البسيطة الموضوعية إلى صيغ فيها ألوان من تصور الماضي والحاضر والمستقبل!!.

وحتى لا ينقطع حبل التواصل بيننا وبين صاحب النظرية نصل إلى خلاصة الفصل بمعانيها ودلالاتها الأكثر وضوحاً من الفصل ذاته

(وخلاصة القول فإن دراسة الجملة العربية عند المولدين بالاستناد إلى ما جد في العلوم اللسانية أمر يحتمه واقعنا إذ به نتمكن من معرفة الطرق التي تمكن هؤلاء بواسطتها من أن ينهضوا بالعربية في ذلك العصر وبه نتعرف إلى السبل التي يمكن أن نسلكها لترقية لغتنا والتقدم بها حتى تواكب العصر وتقدر على التعبير عن أسراره ومستحدثاته العلمية واتجاهاته الفكرية المنسجمة معه . **ويتضح من كل هذا أن تطور الجملة العربية الفصحى عند المولدين ناشئ عن تأثر لغات هؤلاء الكتّاب والشعراء وهي لغات تأثروا بها لأنها اللغات الأم ، وهي بنفسها تمازجت مع لغة الكلام السائدة وهي العامية وأضفت على كتاباتهم شعراً أو نثراً موسيق جديدة وإيقاعات جديدة تطورت على أساسها الجملة العربية الفصحى . وأصبح في الواقع الفارق بين الكلام واللغة** فارقاً كبيراً والتفاوت بينهما بارزاً) ص ٢٣ .

هكذا يتوضح الهدف من البحث وتتحدد الخلفية التاريخية للنظرية الجديدة ، ولا يكتفي الأستاذ البشير بن سلامة في استلهام الينابيع الكتابية الأولى وما طرأ عليها من تطور بفضل المؤثرات الناتجة عن اللغة الأم واللغة العامية ، فيتوجه بمحاولته نحو الدراسات اللغوية الحديثة ليستمد منها القاعدة القائلة بالتفريق بين اللغة والكلام كما وضحها على سبيل المثال **العالم السويسري (فرديناند دي سوسير)** الذي يرى أن اللغة ذات طبيعة عامة ، أي إنها ليست فردية بعكس الكلام الذي هو حالة فردية ، **ولجوء الأستاذ البشير بن سلامة إلى الاستعانة بهذه القاعدة يستهدف الكشف عن كون عمومية اللغة ، إذا جاز التعبير ، تجعلها ذات طابع تعبيري نمطي ، وجعلها (توحي بالعصور الغابرة وبإيقاعات ونبرات لا تتماشى مع روح العصر)** ، وهو لا يريد بهذا القول أن يسيء إلى اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، واللغة التي عرفت كيف تصمد أمام طوارق الأزمان – على حد تعبيره – والشجرة المباركة أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء – على حد تعبيره المقتبس من القرآن أيضاً – **إنه يحب اللغة العربية الفصحى ويؤمن بقدرتها على الديمومة والبقاء ، ولكنه يخشى عليها من الذبول والتحنيط إذا لم تتطعم بإيقاعات عصرها وتستوعب نبضات الحياة اليومية من خلال (الكلام) أو اللهجة العامية ، لغة العمل ، اللغة الحياة ، وليس اللغة الرمز أو الإشارة .**

وهو يشير في هذا الصدد إلى النواميس الشديدة الوطأة التي تشد إليها اللغة الفصحى وتجعل تطويرها صعب المرام إلا على القلة النادرة من الكتّاب الذين يحاولون الجمع في أساليبهم بين اللغة والكلام : (وكأن الكتابة بالفصحى سواء حذقها البعض واكتسب عفوية في صياغتها أو نبغ فيها فإنها تستلزم من صاحبها أن يتقمّص شخصية أخرى غير شخصيته العادية ، وأن يتصنع من الألفاظ والأساليب ما لا يتماشى مع طبعه العادي وحياته العادية . وليس من الغريب أن يبني **شوقي ضيف** تصنيفه للأدب العربي على الصناعة والتصنع والتصنيع وغيرهما من مشتقات وقرابات هذه الكلمات) ص ٢٩ .

★ د. طه حسين ★



الحلول المرتآة

وبما أن ذلك هو حال الكتابة بالفصحى **فالحلول المرتآة أن يزول التفاوت القائم بين الكلام واللغة تدريجياً وأن تقوم العامية بتطعيم الفصحى بإيقاعاتها ونبراتها وحيويتها حتى تزول الفوارق المعروفة بينهما** ، وقد حدث ذلك في الماضي وهو يحدث في الحاضر ، والدليل على ذلك حسب ما ذهب إليه الكاتب في الفصل الثالث من كتابه (**أسلوب طه حسين**) في الكتابة ، هذا الأسلوب الذي يجمع بين اللغة والكلام ، بين القصد والعفوية ، وهو ما يراه طه حسين نفسه طابعاً مصرياً يتميّز به العلماء والأدباء والفنانون المصريون الذين يصدرون فيما يكتبون عن صفات مميّزة وخصال وأوصاف ينفردون بها ، ومع وجود أكثر من دليل لدحض وجهة نظر طه حسين في خصوصية التميّز المبالغ فيها ، فإن الإشارة إلى تأثير خصائص اللهجة العامية المصرية على المستوى الكتابي الفصيح له ما يبرره ، وهو الذي رأى فيه الأستاذ البشير بن سلامة دليلاً قوياً في تأييد ما ذهب إليه في نظريته الإيقاعية من **وجود ظلال تعبيرية عامية تفرض خصائصها المحلية دون أن يشعر الكاتب أو يكون له معها اختيار .**

ولكي نتفهم حقيقة ما ذهب إليه الأستاذ البشير بن سلامة ، ينبغي أن نتجاهل تماماً ما قيل عن الإقليمية المزعومة عند الدكتور طه حسين ، وأن نعدَّ رأيه التالي عن وجود لغة عربية ذات ملامح مصرية ، امتزجت فيها عناصر المكان بعناصر الإنسان رأياً علمياً ، فقد أخرجت اللغة العربية في مصر هذا المستوى أو هذا الطابع اللغوي الذي استوعب الثقافة

المصرية وتمثل جو مصر وحياتها ، يقول الدكتور طه حسين والحديث عن الثقافة المصرية : (**ثم ستراها قد اتخذت اللغة العربية المصرية !!! لها أداة مرنة أنيقة رشيقة لا تنبو عن الذوق ولا تتجافى عن الطابع ولا تكلف قارئها مشقة وجهداً ولا نقل إن اللغة العربية مشتركة بين مصر وغيرها من البلاد العربية ، فهذا حق ولكن لمصر مذهبها الخاص في التعبير كما أن لها مذهبها الخاص في التفكير ، والبلاد الأخرى تتأثر بمصر ولعلها تنافس في تأثير مصر في تفكيرها وتعبيرها**) ص ٤٨ .

ويعقب الأستاذ البشير على هذا الرأي الذي يؤكد به الدكتور طه وجود خصوصية لغوية مصرية للغة العربية التي يتحدثها ويكتبها كل العرب ، يعقب على ذلك قائلاً : (**وليس من الصعب إذن وقد اعترف بنفسه بتأثير الثقافة المصرية على لغته أن نحشر من جملة مؤثرات هذه الثقافة اللهجة العامية المصرية وما تمتاز به من خصائص ، واللهجة العامية المصرية هي عنصر من عناصر هذه الثقافة والمعبِّرة عن الشخصية المصرية أحسن تعبير وأن البحث يقتضي أن ننكب على دراسة خصائص الجملة في العامية المصرية لنقابلها بالجملة في نثر طه حسين ، وهذا عمل يتوجب القيام به من طرف الباحثين في العلوم اللسانية**) ص ٤٩ .

وهنا ـ وحتى لا يخفى ما يرمي إليه الكاتب ـ تجدر الإشارة إلى أنه وهو يتحدث عن تأثير اللهجة العامية المصرية ، حريص أشد ما يكون الحرص على اللغة العربية الفصحى ، وأنه وهو يتحدث عن الشخصية المصرية ، حريص أشد ما يكون الحرص على الشخصية القومية الشخصية العربية الأعم ، وأنه وهو يسوق في بحثه العلمي بعض الشواهد أو يستنطق بعض النصوص ، لا يرمي من وراء ذلك كله سوى توضيح أبعاد (**نظرية التطعيم**) ، وأن العامية بخصائصها الصوتية والإيقاعية والنبضية هي التي تمد الفصحى بنواميس تحول غير ملحوظة ، نواميس يمكن للباحث المتمكن فقط أن يجدها في التراكيب والموسيقى والنبرات ، والإيقاع ، وهذا تقريباً هو نفس ما أشار إليه طه حسين وعجز عن تحديده أو العثور على أسبابه ، وفي هذه الملاحظات الموجزة تكمن خلاصة نظرية (التطعيم اللغوي) كما يطرحها الفصل السادس والأخير في كتاب (نظرية التطعيم الإيقاعي في الفصحى) ، وهذا التطعيم الإيقاعي هو ـ على حد تعبير الكاتب ـ **الطريقة أو الخاصية التي نشأت عنها عبقرية اللغة العربية وكانت سبباً من أسباب بقائها وتجاوزها المستمر للأنماط والقوالب القديمة .**

لا يدعو إلى العامية

ومما يجعلنا نقدر للكاتب جهده المبذول في إقامة هذه النظرية ووضعها على محك التجربة العملية ، **أنه يسعى إلى إذابة اللهجة العامية في الفصحى بعكس أولئك الذين يسعون إلى إذابة الفصحى في العامية وهي قضية ـ بغض النظر عن مدى النجاح الذي أحرزه الكتاب في طرحها ـ تستحق أن تنال كثيراً من عناية الباحثين ، وأن تجد المزيد من التطوير والإضافة ، وأن لا نسارع في رفضها ، أو إهمالها أو التشكيك في جدواها أو في نية صاحبها الذي نراه يدرك سلفاً خطر متزلقات سوء الفهم فيرد عن نفسه السهام قبل أن تقع ، فيسارع إلى الإشادة باللغة العربية الفصحى وبإعجازها وطاقتها الكبرى وبكونها (قادرة على الديمومة والاحتفاظ بعبقريتها الكاملة في نحوها مع الارتباط بواقع أهلها المتحول المتحرك الذي تعتبر اللهجة المحلية جزءً منه يحمل خلاصة الحياة المعاشة ويترجم عنها أحق الترجمة ، ولكن تبق الفصحى دائماً هي القادرة على السمو بذلك الواقع وتلك الحياة وهذا سر من أسرار بقائها)** ص ٩٥ .


★ د. شوقي ضيف ★

ولا يكتفي الكاتب بهذا القدر من الدفاع بل يتبعه بقدر أكبر من الهجوم المبطن بالدفاع ، أو الدفاع المبطن بالهجوم عندما يقول : (**وإني أريد أن أنبه مرة أخرى أنني لا أدعو إلى العامية ولا إلى الاستعاضة عن الفصحى بلهجة من اللهجات** ، وأقول هذا رفعاً لكل التباس ورداً على من يتربصون بأعمالنا سواء في **تونس** أو خارجها ولا يناقشوننا في صلب نظرياتنا وإنما يلبسوننا جبة خيانة الأمة العربية ، أو يرموننا بالإقليمية وهي (**موضة**) متداولة وباللأسف في العالم العربي اليوم لما تردى فيه معظم الفكر العربي الطافي على السطح من دركات ، وما أصاب الأمة العربية من ضعف في مستوى الأخلاق إلا من رحم ربنا ، ذلك أن العلم لا يستنكف من دراسة أي موضوع مهما كان حراماً أو سفسافاً للوصول إلى الحقيقة ، **ولو علم القوم لأدركوا أن هذه النظرية تسد في الواقع الباب على كل من يدعو إلى العامية لأنها تثبت أن الفصحى قادرة على امتصاص حيوية اللهجات للسمو بها** ، ومعنى هذا أنني أدعو إلى دراسة

اللهجة المحلية للكاتب العبقري والشاعر المبدع من حيث إيقاعاتها ونظامها في أدبه عن هذه الإيقاعات ، وقد قمت لا محالة بشيء شبيه بهذا عندما كتبت عن **ابن المقفع ، وابن رشيق ، وطه حسين** ، ولكنني لم أعط أمثلة مستفيضة مضبوطة لأنني حينذاك لم أظفر بعد بالنظام الإيقاعي المقارن . .) ص ٩٥ .

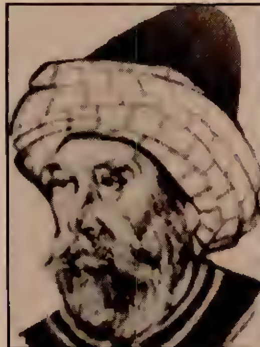
الفصحى . . والعامية

وهذا الذي يذهب إليه الأستاذ البشير بن سلامة نهج مشروع ، وما زال النص الأدبي في لغته العربية المعاصرة والقديمة معاً قابلاً لقراءات متعددة ، وهو ــ بفضل معطيات النقد الحديث ــ يتمخض كل يوم عن رؤية جديدة صالحة لتأسيس نظرية جديدة ، وهذا لا ينافي بل يتفق مع ما ذهب إليه الناقد المعاصر (فراي) عندما قال : **(كل ما هو جديد في الأدب ليس إلا مادة قديمة صبغت مرة أخرى بطريقة تقتضي تصنيفاً ، جديداً)** ، فلماذا يضيق البعض من هذه المحاولات التي تسعى إلى إيجاد اتجاه جديد يساعد في فتح آفاق غير مرصودة في النص الأدبي ؟ ولماذا نحاول أن ننكر الازدواجية في لغتنا العربية وما تتركه من تأثير متبادل على اللهجة واللغة ، وإننا ــ مع تقديرنا العظيم للفصحى وحرصنا العميق على أن تظل لغة العلوم والفنون والآداب في أمتنا ــ إلا أننا لا نستطيع أن ننكر أن العامية هي الجزء الأم من اللغة إذا جاز التعبير ، وهذا الجزء هو لغة الطفولة ، اللغة اللصيقة بالنفس والمرتبطة بالوجدان ، وانتقال الكاتب العربي في أي قطر إلى اللغة الفصحى عن طريق المدرسة والدراسة المتواصلة ، لا يمحو من ذاكرته ولا من وجدانه التراكيب الأولى والتأثير الأسبق ، وإذا سيطرت على الكاتب صيغة تعبيرية مدركة في تكوينها من زمن الطفولة أو الصبا ، وظهرت في صيغة فصيحة معيّنة ، فإنها تكون عربية المنبع عربية المصب ، **فاللهجة العامية ــ إذا استثنينا عوامل الإعراب ــ لغة عربية حتى العظم** ، وعندما يلجأ الكاتب إلى ما تكونت في ذهنه من ذخيرة بنائية يكون قد أحسن صنعاً . . في تطعيم نظام الكتابة ، وعندما يلجأ الناقد إلى دراسة هذه المؤثرات وتتبع ومضاتها وإيقاعاتها يكون هو الآخر قد أحسن صنعاً في إدراك محاسن هذا التطعيم ، وما يضفيه على لغة التعبير من جدة وحيوية ، وأتذكر بالمناسبة أطراف حوار قديم دار في أوائل السبعينات بين ناقدين كبيرين في **الجمعية الأدبية المصرية** تعقيباً على بيتين من قصيدة لي كنت قد ألقيتها مع قصائد أخرى في أمسية شعرية للجمعية ، والبيتان موضع التعقيب هما :

إن دندن الموال في الأغوار يقتلني الطرب
ويشدني (ناي) الحقول ، أذوب إن ناح القصب

لقد اعترض أحد الناقدين على ما أسماه التركيب العامي في الجملة الشعرية ، بينما رأى الناقد الآخر في هذا التركيب تجديداً وتطويراً للصورة وللغة الشعرية ، والحق أن في جملتي (دندن الموال) و (يقتلني الطرب) في البيت الأول ، وفي جملة (أذوب إن ناح القصب) في البيت الثاني اقتراب من الاستخدام العامي دونما خروج على قواعد الفصحى أو انتهاك لقوانينها ، وانطلاقاً من هذه التجربة الشخصية تمثلت لي أبعاد البحث الذي ينكب عليه الأستاذ البشير بن سلامة ، وأدركت أهميته ، كما أدركت أن كتابه (نظرية التطعيم الإيقاعي في الفصحى) موضوع هذه القراءة ليس سوى المدخل التعريفي لما يريد أن يتوصل إليه ، ولئن تيسر له الاستمرار في البحث واستقامت له الأدلة التطبيقية فإنه حينئذ يكون قد وضع يده على ظاهرة نقدية تنهض من ذات النص وتؤسس في الوقت ذاته ومن الناحية المعرفية صورة منطقية لأبعاد العلاقة الجدلية بين الفصحى والعامية يتحقق بواسطتها سياق الترابط الوظيفي وأبعاد التفاعل غير المنظور بينهما .

★ ابن المقفع ★



حركة ألسنية

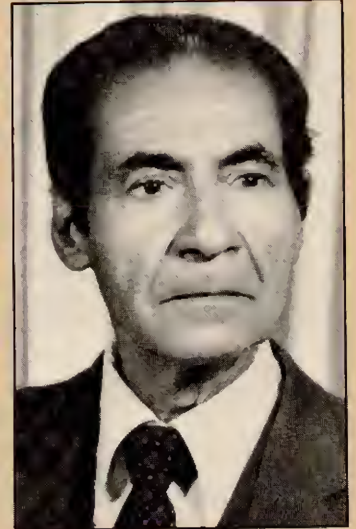
إننا الآن وسط حركة (**ألسنية**) واسعة يضطلع نفر من أشقائنا في المغرب العربي الكبير ــ ومنه تونس ــ بأمر تقديم بعض جوانبها التي ما تزال شبه غامضة بالنسبة لكثير من أبناء المشرق العربي ، وما يزال كثير من النقّاد هنا وهناك يضعونها موضع التساؤل ، فقد جاءت ملائمة للأشكال الأدبية الأوروبية وللتعامل مع أسرار تركيباتها الفنية . . **ولن تستقر الألسنية في مناخ النقد العربي المعاصر إلا إذا رفدها هذا النقد بنظريات مماثلة مستمدة من سياقه التاريخي ومن عناصره الأساسية الكامنة في لغة النص الأدبي العربي لا المرتحلة إليه من الخارج** ، وهذا ما أزعم أن نظرية التطعيم الإيقاعي قد عبرت عنه وحاولت أن تتمثل منهجاً أسلوبياً نابعاً من لغة النص العربي ومن إمكاناته الخاصة . وإذا كانت هذه النظرية قد استطاعت أن تثير كل هذا الاهتمام وهي ما تزال في بداية التكوين فإنها حتماً سوف تثير اهتماماً أكبر بعد أن تزكيها المعامل ويؤكدها التطبيق .

★ ★ ★

إعداد : حسب الله يحيى



عن : التكنولوجيا والثقافة المعاصرة



د . نوري جعفر ، أستاذ التربية وعلم النفس في جامعة بغداد ، عالم نفسي له عدد من المؤلفات الرصينة ، منها : السلطة والفرد - مترجم عن الفيلسوف البريطاني برتراند رسل (١٩٥١ م) ، التربية وفلسفتها (١٩٥٢ م) ، جون ديوي - حياته وفلسفته (١٩٥٤ م) ، التاريخ - مجاله وفلسفته (١٩٥٥ م) ، العلوم الطبيعية وأثرها في سير المدنية الحديثة (١٩٥٥ م) - نال الكتاب جائزة المجمع العلمي العراقي ، فلسفة التربية (١٩٥٩ م) ، ملاحظات على تخطيط التعليم في العراق (١٩٦١ م) ، طبيعة الإنسان في ضوء فسلجة بافلوف (١٩٧١ م) ، اللغة والفكر (١٩٧٢ م) ، الفكر - طبيعته وتطوره (١٩٧٧ م) ، الأصالة في شعر أبي الطيب المتنبي (١٩٧٦ م) .

وصدر للدكتور نوري جعفر باللغة الإنجليزية كتابه : Creativity and Brain Mechanisms .

كما أن له ثلاثة كتب أخرى معدة للنشر ، وعدد كبير من الأبحاث نشرها في المجلات العربية .

« وقد اختارت **رئاسة المجلس الدولي للموهوبين في أمريكا** د . نوري جعفر من بين خمسة من العلماء النفسانيين في العالم لإلقاء محاضرات تربوية ونفسانية هناك عن : القدرة العقلية الفذة في مادة الرياضيات ، وانطباعات عن الفيلسوف **جون ديوي** » ، (راجع نص الخبر في مجلة (**الفيصل**) العدد ٩٣ ، ربيع الأول ١٤٠٥ هـ ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٤ م ، ص ١٦) .

وبعد عودته من أمريكا ومساهمته بإلقاء محاضرة عن « طبيعة القدرات العقلية الفذة أو النادرة من وجهة نظر علوم الدماغ » .. وقد كان هو المحاضر العربي الوحيد الذي ساهم في المؤتمر الدولي للموهوبين المنعقد في مدينة سانت لويس الأمريكية للفترة من ٦ - ١٠ / ١١ / ١٩٨٤ م ، أجرينا معه الحوار التالي :

أثر التكنولوجيا

●● الثقافة والفكر بشكل عام .. علاقة إنسانية متطورة . فكيف يمكن أن يسهم الفكر في إثراء الوضع البشري ... وكيف تواجه الثقافة عصر التكنولوجيا ؟

● شهد القرن الذي نعيش فيه تقدماً علمياً وتكنولوجياً مذهلاً ، فإن ما حصل في تاريخ الإنسان منذ نشوئه على سطح البسيطة قبل أكثر من خمسة ملايين سنة ، على ما يقول أصحاب الاختصاص ، وقد عبّر هذا التقدم العلمي النظري والتكنولوجي عن نفسه في النظريات الجديدة الشائعة في الرياضيات وعلم الفلك والفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء بالدرجة الأولى .. كما عبّر أيضاً عن نفسه في الحاسبات الإلكترونية والسفن الفضائية وفي هذا السيل

المنهمر من الأجهزة العلمية المتطورة والمستخدمة في مجال الطب والمواصلات، وفي الصناعة والزراعة والتعليم وفي أسلحة الدمار الجماعي النووية والكيميائية والبكتريولوجية.

●● ألم يسهم هذا التفوق العلمي في تغيير البنية الاجتماعية؟

● بالتأكيد.. كل ذلك أدى - من بين أمور أخرى - إلى زعزعة البنية الاجتماعية السائدة والعلاقات الاجتماعية المألوفة بين الناس المنحدرة من الماضي البعيد، وبخاصة في المجتمعات النامية، التي تسعى نحو نقل العلم النظري والتطبيق نقلاً ميكانيكياً لاستخدامه بأقصى حيز من السرعة لتطور أوضاعها المتردية بالمقاييس الحضارية الراهنة، يضاف إلى ذلك ولا يقل أثراً عنه، أن هذه المجتمعات المتخلفة أخذت تتشبث بكل ما هو سلبي في الحضارة الغربية المعاصرة مع احتفاظها في الوقت نفسه، بما هو سلبي أيضاً في تقاليدها الاجتماعية، والأعجب - والحالة هذه - أن تكون حصيلة ذلك كله تفكك الروابط الاجتماعية السائدة وبخاصة في حياة الأسرة وفي مجال تربية الأطفال.. ورحم الله من قال: وما اجتمع الداءان إلا ليقتلا.

أمراض الحضارة

●● ألا تعتقدون أن ظهور أمراض حديثة، جاء نتيجة لهذا التفكك؟

● نعم.. إن هناك طائفة جديدة من الأمراض الجسمية والاجتماعية التي ينفرد بها الإنسان المعاصر، يطلق عليها «**أمراض الحضارة**» بمعنى الأمراض الناجمة عن الحضارة الحديثة كالإدمان، وتعاطي المخدرات، والعصابات المقترن وجودها بالإرهاب الدولي، والاضطرابات العصبية والانفعالية الحادة.. وهي ظواهر مستعصية العلاج.

النظريات السيكولوجية.. والإبداع

●● كيف تفسر النظريات «السيكولوجية» المعاصرة طبيعة الإبداع وسلوك المبدعين؟

● تنقسم هذه النظريات إلى مجموعتين هما:

★ **أولا:** مجموعة النظريات التي تفسر الإبداع، بأنه حالة باثولوجية منحرفة أو شاذة (فسلجية أو سيكولوجية: نظريات **لبروزو**، **كريستجمر**، **فرويد**)، وهي نظريات مرفوضة في ضوء علوم الدماغ المعاصرة.

★ **ثانياً:** مجموعة النظريات السيكولوجية والفسلجية التي تعتبر الإبداع حالة طبيعية (نظريات **تيرمن**، **كلفورد**، **بافلوف**).

ومن هذه الزاوية فإن ما يبدو غريباً أو غير مألوف أحياناً في سلوك المبدعين هو أمر طبيعي (معقول ومقبول) ولا غبار عليه بحكم كون المبدعين ينظرون إلى الأشياء المألوفة بطريقة غير مألوفة، ولهم أحياناً تصرفاتهم الخاصة بهم إزاء الأشخاص والظواهر الاجتماعية والطبيعية.

التطور العلمي والاجتماعي

●● هناك ترابط وثيق وآثار متبادلة بين التطور العلمي النظري والتكنولوجي وبين التطور الاجتماعي.. فأيهما الأكثر تأثيراً في مسيرة الزمن؟

● هذه العلاقة الوطيدة والمتبادلة بين الأفكار العلمية والأفكار الاجتماعية المتطورة، تشترك معاً في بناء الحضارة، أما أيها العامل الأسبق من الناحية الزمنية في تقدم صاحبه، أهو التطور العلمي أم الاجتماعي، أهو الفكر الاجتماعي أم الفكر العلمي؟.

إنها مسألة مختلف عليها.. وعندي - إذا كان لي عند كما يقول **الجاحظ** - أن التاريخ يدل على أن الآراء الاجتماعية المتطورة هي الأسبق والأهم في هذا المجال، **فقد تبيّن أن الفكر الاجتماعي المتنور يسبق التقدم العلمي النظري والتكنولوجي**، ويؤدي في الأصل التاريخي إلى تطور المجتمع في أول الأمر ثم يمهد السبيل بعد ذلك وعلى أساسه إلى التقدم العلمي والتكنولوجي اللاحق، وإلى تطور العلاقات الاجتماعية وإلى الإسراع في سيرها، كما أن الأفكار الاجتماعية النيرة - بالنسبة لزمانها ومكانها - تؤدي أيضاً إلى حصول الثورات الاجتماعية الكبرى في التاريخ، كما حصل ذلك مثلاً في حالة **الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م**.

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقول: **إن الفكر الاجتماعي المستنير - في هذه الرحلة التاريخية أو تلك - هو القوة الفاعلة الدافعة للتقدم العلمي والتكنولوجي والاجتماعي على حد سواء، ثم إن التفوق العلمي والتكنولوجي يؤدي بدوره إلى تقدم اجتماعي لاحق**... وهذا كله يحصل بجهود

الناس الذين يحملون تلك الأفكار النيّرة ويعبّرون عنها، ثم إن تبادل الأفكار الاجتماعية المتطورة مع الأفكار العلمية.. تتطور الحياة وتزدهر.

●● لكن آراء كوبرنيكوس وغاليلو العلمية في القرن السابع عشر الميلادي كانت سباقة على الأفكار الاجتماعية.. وخلقت ردود فعل متباينة؟

● هي أفكار علمية كان لها تأثير إيجابي مباشر في الأفكار الاجتماعية، وقد ساعدت على انتشار نهضة أوروبية، وإن كانت أيضاً في الوقت نفسه ـ من بعض الوجوه ـ صدى للحركة الإنسانية التي نشأت آنذاك في المدن الإيطالية وعبّرت عن نفسها في آراء **دانتي** ولدى **روفائيل**، و**ميخائيل أنجيلو**، و**ليوناردو دافنشي**، ثم انتشرت بعد ذلك في أوروبا الغربية (إنكلترا: **شكسبير**، ألمانيا: **جوته**، إسبانيا: **دون كيشوت**، فرنسا: **رابالييه**، و**بلزاك** وغيرهم).

نظرية فرويد

●● أشرت في جواب سابق إلى ان نظرية فرويد مرفوضة في ضوء علوم الدماغ المعاصرة.. أرجو توضيح أسباب هذا الرفض؟

● فرويد يعتبر الفنان الأصيل مصاب بمرض النرجسية (والنرجسية من وجهة نظره حب الذات بشكل مفرط).. مريض بمشاعره وعواطفه تنصب على ذاته، ويعتبره عاشقاً لذاته.. إلا أن حياة كبار الفنانين في مختلف فروع الفن والأدب.. ليسوا كذلك، ولنا أمثلة في حياة شكسبير، جوته، الجاحظ، أو أدباء فرنسا في القرن الماضي، وإذا وجد بين الفنانين من يعشق نفسه بتعبير فرويد فإن هذه ظاهرة أخرى لا علاقة لها بأصالته الفنية، فهي على نسق الظواهر الجسمية.

●● إلا أن فرويد كتب ونشر أفكاره في بداية هذا القرن. في الوقت الذي لم تكن فيه علوم الدماغ متبلورة.. أليس كذلك؟

● هذا صحيح، فقد تبلورت علوم الدماغ في أعقاب الحرب العالمية الثانية وأهمها: **علم كهرباء الدماغ، علم الأعصاب، علم تركيب الخلايا الدماغية المخية، علم وظائف الخلايا العصبية.**

العلوم.. والفن

●● وهل تفسر هذه العلوم طبيعة الفن؟

● نعم إنها تفسره من ناحية أصوله السيكولوجية، لأنه راجع في الأصل إلى عاملين:

★ **العامل الجسمي** الذي يمده بأداته الجسمية أو المادية.

★ **العامل الاجتماعي الثقافي** الذي يمده بمحتواه أو مضمونه.

وفي ضوء هذه العلوم الحديثة، ثبت أن في الدماغ مناطق مخية خاصة تسمى **المناطق المخية الثلاثية** التي تقع في القسم الخلفي الأعلى من المخ (**الفصان القذاليان**)، ومهمتها القيام بما يسميه علماء النفس بعملية الإدراك الحسي البصري، والتعبير عن الانطباعات الحسية البصرية بأشكال حسية بصرية أيضاً، كما هي الحال في الرسم أو الشعر، وأحياناً يعبّر عنها سمعياً كما هي الحال في الموسيقى. هذا هو الأساس الجسمي للفن لكنه لا يؤدي إلى إنتاج فني إلا إذا تفاعل مع البيئة الفنية.

افكار ديوي

●● كنت أحد طلاب جون ديوي، ثم أصبحت زميلاً له، وأصدرت كتاباً عن فلسفته التربوية، كما أن أطروحة الدكتوراه لك كانت عنه.. فما أهمية أفكار ديوي حاضرا؟

● جون ديوي معروف بأنه ذو أفكار ليبرالية، ولم تعد أفكاره تلائم المجتمع الذي ينشد بناء مجتمع اشتراكي.

ولديوي آراء مفيدة منها دعوته إلى احترام **الطالب** واعتباره الهدف لا الأداة في العملية التربوية، إنه يدعو لفن يعبّر الطالب عن آرائه كما يشاء. وديوي يؤكد على أهمية **المعلم** في عملية التعليم وعلى دوره الفعال في التربية المتوازية والمتكاملة بمعنى أن المعلم يزود تلاميذه بالمعلومات والأنماط السلوكية السليمة، أي أن يكون قدوة حسنة لطلابه في تصرفاته معهم، فلا يحابي ولا يفضل بعضهم على بعض إلا على أساس التفوق العلمي. كما يؤكد على

ضرورة تكوين روابط وثيقة بين المدرسة والأسرة وذلك بالتعاون معاً في تربية الأطفال بصورة خاصة ، لأن للطفل مشاكل كثيرة ، لا يعرف عنها المعلم شيئاً ، ولكن الأسرة تعرفها ، كما أن للطفل من الجهة الثانية مشاكل تعليمية كثيرة لا يعرفها إلا المعلم ، ومن هذه الزاوية فإن التعاون الوثيق بين الجانبين ضروري وذو فوائد تربوية إيجابية كثيرة .

ويدعو ديوي إلى ضرورة التزام المعلم بمهمته التزاماً تاماً ، وأن لا يكون حضوره إلى الصف لملء الفراغ ، بل لإفادة التلاميذ والسير بهم خطوة خطوة من الأمر الأسهل إلى السهل ، ومن الصعب إلى الأصعب بالنسبة لهم لا بالنسبة له . **والمعلم في نظره مسؤول عن اكتشاف قدرات التلاميذ الخاصة وتوجيهها توجيهاً سليماً وتعويدهم على ضرورة احترام المعلم والمعلمين** ، وإعداد المعلمين إعداداً علمياً سليماً واختيار وانتقاء الأشخاص الملائمين .

أفكار بياجيه

●● وماذا عن أفكار جان بياجيه في عملية النمو الفكري .. هل ما زالت مؤثرة ؟

● بياجيه من روّاد علم النفس المعاصر ، ويعتقد بياجيه بأن عملية النمو الفكري تمر بمراحل متعاقبة ومتكاملة يستند بعضها إلى بعض ، ولهذا فإن التعامل مع الأطفال داخل المدرسة وخارجها ، لا بد لكي يكون فعالا وإيجابياً ، أن يستند إلى فهم دقيق لطبيعة المرحلة التي مرّ بها الطفل ، والمراحل التي يحددها بياجيه هي :

(١) المرحلة الحسية الحركية في التعامل مع البيئة .

(٢) المرحلة التالية تستمر حتى العام الثاني أو الثالث للطفل وهي مرحلة التعرف على المفردات .. حتى تتحول عنده إلى كيانات قائمة .

(٣) مرحلة العلاقات والعمليات الذهنية التي تمتد إلى نهاية السنة السادسة حيث يدرك الطفل العلاقات وارتباطاتها .

(٤) مرحلة تكوين الفكر المجرد .. إدراك علاقات مجردة ، تتسع وتأخذ طابع التعميم والتجريد .

النصيحة التربوية

●● في الختام .. ما النصيحة التربوية التي تود توجيهها إلى جيلنا ؟

● ثلثان من الفطنة ، وثلث من التغافل .



إيقاع اللغة ولغة الإيقاع

بقلم : نسيم الصمادي

يقول **محمود درويش** :

«لغتي خرير الماء في نهر الزوابع
ومرايا الحنطة في ساحة حرب
ربما أخطأت في التعبير أحيانا
ولكن كنت لا أخجل
رائع عندما استبدلت بالقاموس قلبي» .

ويقول **محيي الدين بن عربي** :

(السماع إذا لم يوجد في الإيقاع وفي غير الإيقاع لا يعوّل عليه) .

أما **الدكتور أحمد كمال زكي** فيقول : إن الإيقاع (يلعب دوراً مهماً في تفجير اللغة) ، وهو عندما يتناول الإيقاع والوزن والنغم ، يضيف :

(ويشترك مع الموسيقى التي تصدرها التفعيلة ، تلك القوة الضابطة التي توشك أن تنتظم حركة النفس وتسمى الإيقاع . . وهي قبْلية (بتسكين الباء) ويقدر لها دائماً أن تتحكم في المعاناة الشعرية ، أي إنها هي التي تفجّر طاقات الشاعر اللغوية ، فيضفي على وزن قصيدته أو على موسيقى تفعيلاتها قيمة جمالية طاغية) .

ومن الواضح أن الخلط ما زال قائماً في ذهن الناقد ، لأن إضفاء القيم الجمالية على وزن القصيدة وموسيقى تفعيلاتها هو تفجير لموسيقى القصيدة وليس للغتها ، لأن مفهوم التفجير اللغوي هو بالتحديد ما عناه الشاعر محمود درويش بقوله : (رائع عندما استبدلت بالقاموس قلبي) ، فالتفجير اللغوي متعلق بالمعجم الشعري وليس بالبناء الصوتي ، كما أن السماع المترتب على الإيقاع فقط لا يعوّل عليه حسب تعبير ابن عربي . والحقيقة أن اختلافنا مع الدكتور أحمد زكي لا يقع حول إمكانية وجود علاقة بين الإيقاع واللغة ، ولكن الخلاف يدور حول نوع تلك العلاقة ، هل هي علاقة قبْلية أو بَعْدية ، أم علاقة مواكبة ؟ .



★ د. أحمد كمال زكي ★

★ محمود درويش ★

والدكتور أحمد كمال زكي يعترف بأن القبْلية ، هي مجرد حدس يقع داخل الشاعر ، والمنطق الظاهري يعجز عن استكناه ذلك الداخل تماماً ، إلا أننا يمكن ــ على حد قوله ــ : (أن نستعين بالفلسفة التي هي تفكير عقلي مبرر ، أو بأحد مذاهبها الذي يقول إن البدء كان حركة ، وعن الحركة صدر الصوت . . فكانا والكون يكون ، والأرض التي تدور حول الشمس الدائرة في المجرة التي تدور بدورها في الفضاء إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا تصدر أصوات حركتها في تناغم مع الحركات الأخرى . . وقد ولدنا فسمعنا هذه الأصوات المتناغمة وألفناها ، فسقطت من وعينا ــ وإن تكن موجودة ــ وانتظمت حياتنا في إيقاع أبدي لا يتغيّر جوهرياً ، وإنما يكون تغيّره في حدود ما تتغيّر به حياتنا وفق ظروف العصر والبيئة .

ولهذا قلنا إن إيقاع الحياة في **العصر الجاهلي** شكل شعرها بموسيقى وافقت أبعادها وأغوارها) .

وللرد على الدكتور نقول : إن إيقاع الحياة في عصر من العصور ليس إلا مظهراً أو انعكاساً لطبيعتها ، فليس إيقاع الحياة هو الحياة نفسها ، كما أن الإيقاع في القصيدة ليس هو القصيدة ، وإنما هو واحد من مستويات لغتها .

والحقيقة إن خروج الناقد من مدارات القصيدة إلى مدارات الفلك والاستعانة بالفلسفة للقول إن البدء كان حركة ، وعن الحركة صدر الصوت يعبِّر بدقة عن أزمة النقد وافتقادها المنهج التطبيقي المتكامل ، ويؤكد الرأي القائل إن الدراسات الصوتية لشعرنا العربي ما تزال ضامرة ومتأخرة ، ولا توفر للدارس ما يطمح إلى فهمه من تشكيلات وأنماط إيقاعية تساعده على الاستقراء والتقصي .

ولأن (المستويات المختلفة للغة الشعر من صوتية وصرفية ونحوية وبلاغية . . . إلخ ، ذات صلات حميمة فيما بينها ، بحيث يستحيل عزل أحدها عما سواه كما تفعل عادة بعض الدراسات الأدبية . وتتميّز لغة الشعر بوضوح مراتب قيمها ؛ ويعتبر الإيقاع هو المبدأ المنظم للعناصر الصوتية الأخرى وهي بنية النغم وتشكيلات الحروف في مقامات موسيقية)[١] ، فإنه يمكن القول إن هناك التحاماً بنائياً بين الصوت والحركة ، لأن الصوت حركة في ذاته ، في حين لا يتجاوز تأثير الإيقاع العناصر الصوتية التي تشكل مستوى فرداً من مستويات لغة الشعر .

أسبقية الإيقاع

ولقد كانت مقولة أسبقية الإيقاع للغة ، وما زالت مقولة غنائية تبنّاها دائماً ، وأكد عليها **نزار قباني** في كتاباته وفي حواراته ، وهذه المقولة تثبت وجودها دائماً لدى أولئك الذين يسيطر عليهم النغم والإيقاع الخارجي على حساب الرؤية والمضمون ، ففي كتابه « **قصتي مع الشعر** » يقول نزار :

« كانت تستولي عليَّ حالة موسيقية تدفعني في أكثر الأحيان إلى أن أغني شعري بصوت عال ، كما كان يفعل الشاعر الإسباني **لوركا** . كانت حروف الأبجدية تمتد أمامي كالأوتار ، والكلمات تتموج حدائق من الإيقاعات . وكنت أجلس أمام أوراقي كما يجلس العازف أمام البيانو ، أفكر بالنغم قبل أن أفكر بمعناه ، وأركض وراء رنين الكلمات قبل الكلمات »[٢] .

وعلى الرغم من وضوح التناقض في قول الشاعر : (كانت حروف الأبجدية تمتد أمامي كالأوتار) ، مما يشير إلى دور الكلمات في إنشاء الإيقاع ، إلا أن نزار قباني يعترف أيضاً بأنه قد تحوّل إلى مغن ذي صوت عال ، يركض وراء رنين الكلمات دون محتوى الكلمات .

وفي حواره مع « **منير العكش** » الذي نشره الأخير في كتابه « **أسئلة الشعر** »[٣] يتناقض نزار قباني مرة أخرى إذ يقول :

« الإيقاع من حيث التوقيت متقدم زمنياً ، إنه الذي يمشي أولا ، ومن ورائه تمشي اللغة كوصيفة ثانية .

القصيدة تبدأ عندي بهذيان موسيقي ، بغمغمة ، بكلام لا كلام له ، ثم تأتي اللغة لتنظيم هذا الهذيان وتحتويه وتحبسه في داخل زجاجة المفردات .

الإيقاع سطح ممغنط تنجذب إليه الكلمات بصورة جبرية ، كما تنجذب برادة الحديد إلى المغناطيس » .

ومحل التناقض هنا هو جهل نزار قباني بأن الإيقاع جزء من اللغة ، وأنه لا يمكن لهذه اللغة تنظيم الهذيان إذا لم يولد الهذيان في نسق منظم ، لأن الإيقاع كما يراه « **أدونيس** » هو شعرياً كل تناوب منتظم في نسق ، وهو أيضاً فطرة ، وحركة غير محددة ، وحياة لا تتناهى[٤] ، ولذلك يخطئ نزار إذ يقول (ثم تأتي اللغة وتحتويه وتحبسه في داخل زجاجة المفردات) .

والحقيقة إن نزار قباني وكذلك الدكتور أحمد كمال زكي يخلطان بين تأثير الإيقاع على الوزن وبين تأثيره على اللغة ، إذ إن الوزن ــ كما يقول **ماياكوفسكي** ــ يتحقق من خلال الإيقاع المنظم الذي يعتبر (الطاقة الأساسية للشعر ، ولا يمكن أن يفسّر ، ولكنه يمكن أن يوصف بأنه يشبه التأثير المغناطيسي أو الكهربائي)[٥] .

وعلى الرغم من أن أصحاب النظريات الحديثة من الشكليين يؤكدون (أن المضمون ناتج عن الشكل ، وأن الشكل ناتج عن الموسيقى المتكوّنة في نفس الشاعر قبل البدء بعملية الخلق الشعرية ، وأن الشاعر يحاول أن يعطي « النغم » أو « الحالة النفسية » التي بدأت تتكون في داخله شكلاً مناسباً ، فيبحث في اللغة عن الأصوات التي تتفق مع هذا النغم الأصيل أو تقترب منه ، وتربط الأصوات بكلمات ، وتتجمع الكلمات في بواعث أو دوافع (موتيفات) ينتج عنها في نهاية الأمر معنى أو مضمون)[٦] ، فإن هذا الرأي لو صدق تماماً فإنه سيعني أن بإمكان صغار الموسيقيين أن يكونوا أعظم الشعراء ، لأن أنغامهم ستفكّر نيابة عنهم ومن خلال لغات وهمية ، وحتى لو نتج الشكل عن الموسيقى ، فإن هذا لا يعني أن تأثير الإيقاع على لغة القصيدة سيكون بالضرورة إيجابياً ، بل إن انسياق الشاعر وراء الإيقاع سيؤدي بالضرورة أيضاً إلى إخماد لغة الشاعر بدلا من تفجيرها ، لأن نمطية الإيقاع ترتكز على التكرار والتوقيع ، والبناء الزماني المنسّق ، في حين تنحو اللغة الحديثة إلى الخروج من الشكل المحدود إلى الشكل المطلق ، وهذا الشكل لا يتأتى إلا بنقض التكرار وتكريس اللغة غير المؤطرة .

ونستطيع بشكل أوضح التأكد من خطل رأي الشكليين السابق إذا استطعنا أن نفرّق بين الإيقاع في الموسيقى والإيقاع في الشعر (فإذا كانت الموسيقى الآلية البحتة ــ أي التي لا يعضدها الصوت والكلمة ــ هي خليقة بوصف أو إثارة ، فقد تصبح أكثر إقناعاً وأكثر إثارة للمشاعر إذا ما تبارت معها المعاني اللفظية ، والمراد منها أن تلقي ضوءً على الصورة الدرامية وتبرزها بألوان واضحة ودقيقة . وقد تتبلور أهمية الكلمة وربما كان لها هنا المقام الأول عندما يؤول لها توجيه مختلف الأحاسيس والانفعالات التي

يستجيب لها المستمع وقد يخضع لها)[٧] .

إيقاع اللغة

(ليست مشكلة الإيقاع مقصورة على الأدب بشكل نوعي أو حتى على اللغة . فهناك إيقاع للطبيعة وآخر للعمل ، وإيقاع للإشارات الضوئية ، وإيقاعات للموسيقى ، وهناك بالمعنى المجازي إيقاعات للفنون التشكيلية . كما أن الإيقاع أيضاً ظاهرة لغوية عامة .

ولقد سببت الطبيعة المضبوطة (وليس الضابطة) لإيقاع النثر الفني مقداراً كبيراً من الصعوبة . وقد حاول « **باترسون** » في كتابه « **إيقاع النثر** » أن يعلل الإيقاع بنسق من الترقيم المفصّل . أما « **جورج سانتسبري** » صاحب كتاب « **تاريخ إيقاع النثر الإنجليزي** » فيصر على الدوام أن إيقاع النثر يقوم على التنوّع)[٨] .

نعم . . يقوم إيقاع النثر على تنوّع التشكيل والأداء ، لتفرز كل لغة إيقاعها الخاص ، فكل تغيّر في اللغة يؤدي إلى تغيّر في الإيقاع ، ومن السهل تقليد الإيقاع واقتباسه ، ولكن من الصعب تقليد اللغة ، كما أن اقتباس الإيقاع أمر مشروع ومبرّر فنياً ، لأن الإيقاعات تتعدّد في حدود ، بينما اللغات تتجدّد بلا حدود ، وبهذا يكون أي اقتباس للغة سرقة فنية ، في حين (يستطيع الشاعر عن طريق الازدواجية اللفظية أن يفجرّ إيقاعات خاصة ما كان ليستطيعها اللفظ منفرداً . وكما تكتسب القافية إيقاعها عن طريق التكرار ، فلولا التكرار لما كانت قافية ، ولما كان إيقاع)[٩] . أما **تفجير اللغة** فإنه لا يتحقق إلا بالابتعاد عن التكرار ، (وقد نفاجأ إن لم نصدم أحياناً بتشتت الحواس وبمخاتلة اللغة وبطريقة التناول وبأسلوب التعامل مع الكلمات التي تكتسب انفعالا خاصاً وألواناً وشكولا ، وربما تؤطر إيقاعاً تنبجس منه علاقات عضوية تحتضن الحدث والإيماء والبث المختلط بالغموض والتداعي وخلط المجازات)[١٠] .

وللحديث عن إيقاع اللغة وتجدّده التاريخي والآني وخصوصية المعجم الشعريَ ، أرى أن نحتكم إلى ناقدة يعتد بها الدكتور أحمد كمال زكي كثيراً ، ويرى أنها ندّدت نوعاً ما بالشعر الحر — مع أنها لم تفعل ذلك أبداً — في كتابها « **الشعر ، كيف نفهمه ونتذوقه** » وهو الكتاب الذي ارتكز عليه الدكتور زكي في مقاله (**إيقاع ووزن ونغم**) ، تقول **اليزابيث درو :** (الشعر هو النبع الرئيسي لصيانة اللغة وتجديدها . فالشعراء الغابرون يمدوننا بتراث من التقاليد الرائعة التي ما زالت تعيش منحدرة من الماضي ، والشعراء المحدثون يدفعون باللغة إلى الأمام . إذ ما من جيل يمكن أن يحس بنفس الطريقة التي كان يحس بها من سبقوه ، ولا بد لكل جيل من أن يستعمل الألفاظ استعمالا مغايراً . وتاريخ الشعر في صورة من صوره إنما هو تاريخ متعاقب لأدوار من ولادة ألفاظ الشعر ونضجها وفنائها . وهي دائماً تولد في ثورة ، ثم تمر بفترات تطورها واتساعها قبل أن تصير إلى الجمود والقوالب الآلية)[١١] .

وكما تمت الإشارة في « **إشكالية البنفسج** » إلى أن التغيير في القصيدة ليس مجرد فك وتركيب ، ولكنه انتقال من حالة إلى أخرى ، فإن اليزابيث درو ترى أن (الإيقاع يعني التدفق أو الانسياب ، وهذا يعتمد على المعنى أكثر مما يعتمد على الوزن ، وعلى الإحساس ، أكثر من التفعيلات . لكن مهما يحدث من اختلاف في التفاصيل عند قراءة قصيدة ما ، فإن الوزن فيها سيظل خاضعاً للمعنى الذي قصد إليه الشاعر ، ولألوان الزخرفة المختلفة التي يتطلبها الفكر والإحساس .



★ نزار قباني ★

★ يبتس ★

إيقاع اللغة ولغة الإيقاع

وقد يعمد الشاعر إلى قلب الفقرات المتوقعة ، وإلى حذف مقاطع أو إضافة أخرى ، وقد يأتي بالمفاجآت والمرجآت ، أو حتى الاستفزازات ، وهذه كلها متعمدة مقدرة ، قال **ييتس :** ليس الإلهام هو الذي يرهق الإنسان ، إنما الصيغة الفنية هي التي ترهقه ، وقد اعترف بأنه كان في أغلب الأحايين يصرف يوماً كاملاً في تأليف دورة شعرية واحدة)[١٢] ، فصيغة التحكم في الأداء هي صيغة لغوية ذاتية ، لا يمكن إخضاعها للثبات أو تعزيزها بالمشاركة ، حتى إن لغة الإيقاع العامة المشاعة تختفي عندما يتجلى إيقاع اللغة الخاصة ، ومن هنا جاء اهتمام اليزابيث درو « بالمعجم الشعري » ، (فبالإضافة إلى أن ذلك المعجم يتصل بلغة العصور جميعاً ، فإن التعبير في أبسط صوره — أي بالألفاظ — هو أساس كل قصيدة . وبالرغم من أن الشاعر قد يتبع العرف السائد في عصره ، إلا أنه ينمي أسلوبه الخاص به تبعاً لذوقه ومزاجه الخاص . وبالإضافة إلى ذوقه الغالب فإن طاقة فنه تكون موجهة عن وعي لإيجاد التعادل المحكم الذي

يمكن أن يحصل عليه بالجمع بين الألفاظ التي يستعملها والتأثير الذي يجب أن ينقله)[١٣].

وترتبط هذه القضية من أساسها بوظيفة الفن، فالقول بقَبْلية الإيقاع لا يأتي إلا من منظور جمالي، بينما ينبع القول بحركية اللغة من منظور موضوعي واقعي، ومثل هذا المنظور يسمح لنا بسحب الألفاظ من القصيدة، حيث يبقى الإيقاع الذي يساعدنا على أن نستمتع بالصفير، دون أن نحس بوجود القصيدة، لأن الإيقاع مظهر لوجود سابق عليه، وليس له وجود في ذاته، لكن القصيدة يمكن أن توجد في رؤية الشاعر دون أن تكتب، وقد تكون القصيدة إيقاعية ومتناسقة وجميلة ومنتظمة وتبقى ميتة، لأنها تخلو من الإحساس والرؤية ومن الحياة والحركة، فليست الألفاظ في ذاتها وفي إيقاعاتها ذات قيمة، لكن ما تكتنزه من طاقة وعاطفة هو الذي يحدد قيمتها، وهذا ما يبرر القول إن لكل شاعر معجمه الشعري الخاص، في حين تتشابه الإيقاعات وتتكرر، ولو أثرت الإيقاعات في اللغة تأثيراً مباشراً لتماثلت المعاجم الشعرية، وأشيعت اللغة، وانتهت أسطورة الخصوصية والتفرد.

الشاعر لا يتكرر

الشعر عكس الموسيقى لا يتكرر ولا يقبل إعادة التوزيع، وكذلك اللغة عكس الإيقاع، تتفجّر ولا تنتظم في عقد ولا تحبس في زجاجة، والشعر يعطي اللغة أكثر مما يأخذ منها، لكن الإيقاع يأخذ من الأذن مثلما يعطيها، ولقد استطاع **الخليل بن أحمد** حصر بحور الشعر العربي، ولم تستطع كل معاجم اللغة العربية حصر مفرداتها، (لأنها البحر في أحشائه الدر كامن) وإذا كان الأسلوب هو الرجل، فإن الإيقاع هو الشاعر (لأنه ليس هناك مناخ نفسي جاهز لكل بحر، وأن هذا المناخ يخلقه الشاعر نفسه)[١٤].

(وإذا كان الخليل بن أحمد بحسه الموسيقي البدائي المتقدم قد ذهب إلى القول بوجود علاقة ما بين الأوزان الشعرية والطابع النفسي للشاعر، وذهب أيضاً إلى القول إن بحراً أو مجموعة من البحور تعبر عن حالة شعورية معيّنة، وإن البحور الطويلة في رأيه، تكون صالحة للبكاء، كما إن البحور القصيرة تكون صالحة للرقص والوصف المبهج، إذا كان الخليل بن أحمد قد ذهب إلى مثل ذلك؛ فإن الاستقراء الحديث في قديم الشعر وجديده يلغي تماماً ما ذهب إليه الخليل، ويؤكد على حقيقة أساسية ومهمة، تلك هي أن الشاعر هو الذي يعطي الوزن المعين نغمته الحزينة أو الراقصة، وهو الذي يخلع مشاعره الخاصة على الوزن، ويحاول إيجاد التوافق بين حركة نفسه والحركة الخارجية للقصيدة.

التشكيل الموسيقي – إذن – إيقاع وزني، أو وحدات موسيقية صوتية تخضع لاختيار الشاعر نفسه، وهو بدوره يضعها – كما يشاء – في الإطار النفسي أو الشعوري الذي يجد نفسه خاضعاً له أثناء الكتابة الشعرية)[١٥].

والدكتور **المقالح** متأثر في رأيه هذا برأي أستاذه **الدكتور عز الدين إسماعيل** الذي يرى أن الوزن في صورته المجرّدة لا يمكن أن يحتمل أية دلالة انفعالية. وعملية استقرار لمجموعة من القصائد تدلنا في وضوح أن الشعراء قد عبروا في الوزن الواحد عن حالات انفعالية مختلفة[١٦].

وإلى مثل هذا كان قد ذهب **الدكتور شكري عياد** في كتابه (**موسيقى الشعر العربي**)[١٧]، فقد أشار إلى أن القيمة الحقيقية للإيقاع لا تكمن في العلاقات الصوتية نفسها، بل في التهيؤ النفسي الذي يحدثه الأثر الأدبي الجيد، من خلال شبكة عظيمة من العادات والمشاعر والدوافع، كما يرى أن الإيقاع يبدأ من الكلمات الأولى ويستمر في النمو.

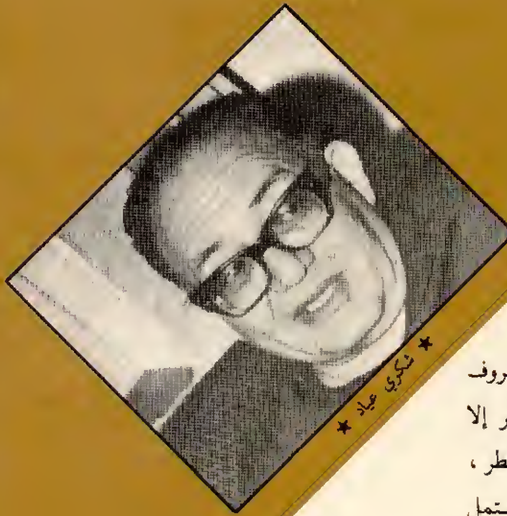
وفي تركيزه على التهيؤ النفسي الذي يحدثه الأثر الأدبي من خلال شبكة العادات والمشاعر والدوافع يتفق الدكتور شكري عياد مع **الدكتور إبراهيم أنيس** على أن تأثير الإيقاع على اللغة يتجلى عند إنشاد الشعر وليس عند إنشائه، وهذا ما يذكرنا بمقولة ابن عربي التي تنفي تأثير الإيقاع في اللغة، وتؤكد تأثيره على السماع.

ويبقى هذا الإيقاع الذي لم يدرس حتى الآن دراسة كافية، ولم يشر إليه أهل العروض، يبقى في رأي الدكتور إبراهيم أنيس العنصر الموسيقي الهام الذي يفرق بين توالي المقاطع حين يراد بها أن تكون نظماً وتواليها حين تكون في النثر. وقد يختلف هذا الإيقاع باختلاف البيئات العربية. فالمصري حين ينشد الشعر العربي قد يختلف موضع الإيقاع في إنشاده عن العراقي مثلاً، ولكن النتيجة واحدة، هي أن الإيقاع يحدث



★ د. عبد العزيز المقالح ★

★ د. عز الدين إسماعيل ★



★ شكري عياد ★

توازناً وتعويضاً بين حروف المد والحروف الصحاح . إذ ليس الإيقاع في إنشاد الشعر إلا زيادة في ضغط المقطع المنبور من كلمات الشطر ، وتبدو هذه الزيادة أكثر وضوحاً حين يشتمل المقطع المنبور على حرف مد . لأن الشطر الواحد في الشعر يتطلب إنشاده عدداً من الإيقاعات تساوي عدد المقاطع المنبورة في هذا الشطر . وليست حقيقة الإيقاع مقصورة على زيادة في كمية المقطع ، بل يمتزج بنغمة موسيقية فيها علو أو هبوط يهدف بها المنشد إلى أن ينفعل السامع ، فتهتز الأجسام تبعاً لتأثر الوجدان[١٨] ، إلا أن عدم تكرار الشاعر يعوضه دائماً تعدّد المنشدين ، كما أن تحكم الشاعر في اللغة وإضفاء شخصيته عليها يعوّضه أيضاً تنوّع التوقيع وابتعاده عن النمطية المملة ، ليبدو جلياً وعملياً ، أن الدور الذي يلعبه الإيقاع في التوصيل والتأثير أهم وأبرز بكثير من الدور الذي يلعبه في التفجير ، ولو كان العكس هو الصحيح لكان اختلاف ملكات الشعراء في الإلقاء ليس ذا قيمة تذكر .

الهوامش

(١) صلاح فضل . نظرية البنائية في النقد الأدبي ، ط٢ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠م ، ص ص ١١٨ ــ ١١٩ .

(٢) أحمد بسام ساعي . حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه ، دمشق ــ دار المأمون للتراث ، ١٩٧٨م ، ص ٢٦٠ (نقلاً عن : قصتي مع الشعر لنزار قباني) ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ص ص ٦٠ ــ ٦١ .

(٣) منير العكش . أسئلة الشعر ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٩م ، ص ص ١٨٩ ــ ١٩٠ .

(٤) علي أحمد سعيد (أدونيس) ، زمن الشعر ، ط٢ ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٨م ، ص ٢٤٤ .

(٥) صالح أبو إصبع . الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة : دراسة نقدية ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٩م ، ص ١٧٩ .

(٦) عبد الغفار مكاوي . ثورة الشعر الحديث ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتّاب ، ١٩٧٢ ــ ١٩٧٤م ، ص ٨٩ .

(٧) درية فهمي . « العلاقة بين الموسيقى والشعر » . ترجمة سونيا نجا ، عالم الفكر ، مج ١١ ، ع ٤ ، ص ١٠٥ .

(٨) رينيه ويليك ، وأوستن وارين . نظرية الأدب ، ترجمة محيي الدين صبحي ، ط٢ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨١م ، ص ص ١٧٠ ــ ١٧٢ .

(٩) أحمد بسام ساعي . مصدر سابق ، ص ٢٧٠ .

(١٠) رجاء عيد . دراسة في لغة الشعر : رؤية نقدية . الإسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٧٩م ، ص ٨ .

(١١) اليزابيث درو . الشعر : كيف نفهمه ونتذوقه ، ترجمة محمد إبراهيم الشوش ، بيروت ، مكتبة منيمنة ، ١٩٦١م ، ص ٨٤ .

(١٢) المصدر السابق ، ص ص ٥٠ ــ ٥١ .

(١٣) المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(١٤) منير العكش . مصدر سابق ، ص ١٩٠ .

(١٥) عبد العزيز المقالح . الشعر بين الرؤيا والتشكيل ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٨١م ، ص ص ١١٥ ــ ١١٦ .

(١٦) عز الدين إسماعيل . التفسير النفسي للأدب ، ط٤ ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٨١م ، ص ص ٥٩ ــ ٦٠ .

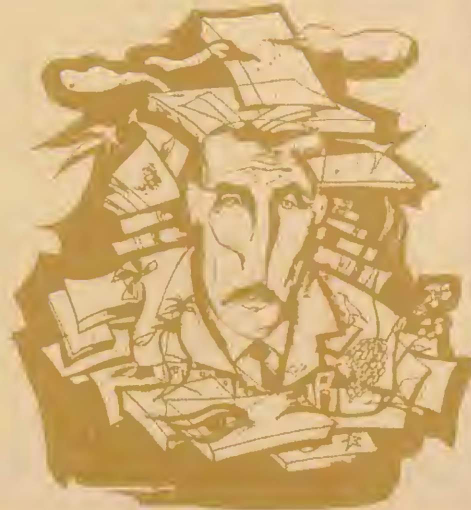
(١٧) شكري عياد . موسيقى الشعر العربي ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦٨م .

(١٨) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر . ط٥ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م ، ص ٢٤٩ .

صَدَاقَةٌ بَرِيئَةٌ

شعر: جهاد جميل الجيوسي

أصـــدقائي الـــكتبُ   هُـــنَّ أمٌّ وأبُ . .
بيننَــا حُــبٌّ نمَــا   ليسَ فيــه أرَبُ . .
هُـــنَّ لي عَـــوْنٌ إذا   هــاجمتني النُّـــوَبُ
نَسَبٌ مــا بَيْنَنـــا   مِثْلَهُ المُنْتَسَبُ
حُزْنَ أطرافَ العــلا   الهـــوى والأدبُ
كلُّ مَــنْ لَمْ يــرتشفْ   شُـــهْدَها يكْتَئِبُ
مــنْ مشى في ظلِّها   لَمْ يُصِبْهُ التَّعَـــبُ
مُقلتــاها كالمنى . .   ويـــداهَا السُّـــحُبُ
وَجْهُهَا البَــدْرُ ومِــنْ   وجنتيهـــا الشُّـــهُبُ
ثغْرُها فــاكهـــةٌ   والشــفاهُ العنـــبُ
أنـــا في رَوْضَتِهـــا   يَعْـــتَرِيني العَجَـــبُ
والـرِّضى يغمُـــرُني   ويُولِّي الغضـــبُ
هــي عنــدي وطـــنٌ   عــادَهُ المغـــتربُ
وبحـــارٌ مـــوجُها . . .   بــالشّذى يضـــطربُ
وسمــــاءٌ نجمُهـــا . .   لــؤلؤ أو ذَهَـــبُ
صُـــحْبَةٌ أكرمْ بهـــا   خـــيرُها يُـــرْتقبُ



بدايات

أشعة إكس

هي حزمة من الأشعة السينية ، ذات موجات بأطوال معينة . وهي تنطلق من عنصر ما ، نتيجة تعرضه لإليكترونات عالية السرعة . أما طيف الأشعة السينية ، فيختلف باختلاف العنصر الذي تنبعث منه تلك الأشعة .

اكتشفها **ولهلم كونراد روينتجن** ، أستاذ الفيزياء بجامعة ورتسبرج الألمانية عام ١٨٩٥م ، ولذلك تسمى أحياناً : **أشعة روينتجن** . فقد اكتشف أن **الإشعاع النافذ له القدرة على النفاذ عبر عدة طبقات ـ من مختلف المواد ـ وإنتاج صورة فوتوغرافية للشيء المعرَّض له .**

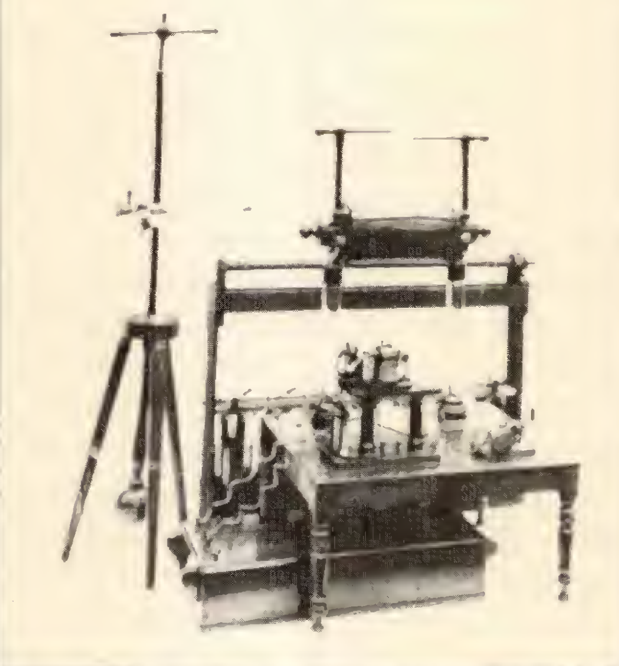
ولهذا الاكتشاف قصة :

كان **روينتجن** يختبر أنبوباً **مهبطياً** (كاثودياً) مفرغاً من الهواء ، في داخله قطبان ، وتيار يمر فيما بين القطبين من فراغ . ولما كان هذا النوع من الأنابيب يصدر عنه ضوء خافت عند سريان التيار فيه ، فقد جعل **روينتجن** الغرفة مظلمة كي يستطيع رؤية ذلك الضوء بشكل أفضل .

عندئذ لاحظ ، بالصدفة ، أن قطعة زجاج مغطاة بواحد من أملاح الباريوم ، كانت تتوهج هي الأخرى في كل مرة يعمل فيها الأنبوب . حدث هذا رغم أن حاجزاً من الورق الأسود كان يفصل بينهما . ثم أبعد قطعة الزجاج وأحل محلها كتاباً فتكررت الظاهرة مرة أخرى .







★ وحدة مبكرة للتصوير بالأشعة .. لاحظ كفاءتها التصويرية المحدودة ★

وهنا استعاض عن الكتاب بقطعة من خشب ، ثم بقطعة من الألمونيوم ، فإذا بالأشعة تخترق كل شيء حتى كف يده .

وهنا وضع كف يده كحاجز بين الأنبوب الكاثودي ، ولوح فوتوغرافي . . . فأدهشه أن صورة عظام يده انطبعت على اللوح الفوتوغرافي .

وهكذا كان ميلاد ابتكار جديد تحققت فائدته الكبرى في **عمل صور الأشعة** للجسم البشري ، وتشخيص الأمراض بشكل حاسم ، إلى جانب استخدامه لأغراض عديدة منها **العلاج بالأشعة ، ودراسة البلورات ، وفحص الجواهر .**

هذا ، وقد كان احتفال الأوساط العلمية والطبية بهذا الاكتشاف كبيراً ، حيث **بلغ عدد المقالات التي نشرت عنه ـ خلال عامه الأول ـ أكثر من ألف مقال .**

من المكتبة السعودية

● الكتاب: أحاديث وقضايا حول الشرق الأوسط.

● المؤلف: محمد حسين زيدان.

● الناشر: الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ـ الرياض، ط(١)، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، (٢٢٩ ص).

إن كتاب [أحاديث وقضايا حول الشرق الأوسط] للمفكر والمؤرخ والأديب حسين زيدان، ليضيف إلى فكر الزيدان التاريخي والأدبي والديني فكراً سياسياً.. وليثبت مقدرته على الكتابة بمختلف صنوف المعارف الإنسانية.

ولقد أضفى الزيدان على مقالاته السياسية ـ التي ينشرها في الصحف اليومية أو الأسبوعية ـ أبعاداً فكرية في التاريخ والأدب والدين واللغة.. في محاولة منه لأن يجعلها تكتسب صفة الديمومة والاستمرار، وصلاحية المحتوى لكل زمان ومكان.

وكان الزيدان في فكره السياسي، يعرض ويحلل الأحداث السياسية من منطلق الواقع السياسي الآني الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية، وقد اكتملت خيوط ونسيج ذلك الواقع، من عالم غريب، يموج بالتناقضات والتغيرات، والنوايا والخطط، والتحركات والدعايات، والتصريحات والمؤتمرات، والخطب والمقررات.. وعلى كل المستويات القيادية: الفردية والجماعية والدولية.

لذلك فقد كان الزيدان في [أحاديثه وقضاياه] يراقب الأحداث السياسية اليومية: الوطنية والعربية، والإسلامية والعالمية، من خلال تلك الشؤون الآنية التي يموج بها عالمنا الغريب.. من خلال ما يسمع، ويرى ويقرأ، ويستخلص، ويقرر.. ومن خلال منظور الآخرين في الغرب وأطماعهم المتجهة إلى الشرق. وبالتالي لتكون رؤيته السياسية تشف عن حقائق سياسية بات يعرفها العرب والمسلمون، وترددها إذاعاتهم، وكل وسائل إعلامهم.

ومن هنا، فإن تحليل ومنطلق الزيدان ـ في اتجاهه السياسي ـ يعبِّران عن حرصه على مصلحة أمته، وتحذيره لما يحاك لها في السر والعلن.. والتنبه واليقظة، في أسلوب متدفق، لا يقف في طريقه عائق. حتى ليبدو لنا ذلك التدفق الفكري واللغوي، أن الزيدان قد تريث طويلاً في صياغاته التعبيرية، كي يكسب تدفقه الغزير بعض خصائص أسلوبه المميزة: مع أن تلك الصياغة كانت مهيأة له دوماً لتستوعب كل أفكاره ورؤاه.

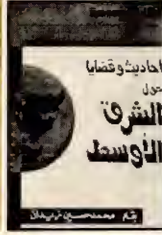
ولقد كان الزيدان حريصاً على أن يبعد عن ذهن ووجدان القارئ بعض رتابة الأجواء السياسية ومادتها المكرورة.. لذلك راح يدبّج مقالاته، ويذيلها بـ(صور)، حاول فيها أن يكون أديباً لا سياسياً، ودمج فيها ـ بعد أن خرج عن الإطار السياسي ـ الأدب بالتاريخ، والنقد بالأحداث والقصص.. ومن خلال توارد الخواطر التي حاول فيها ألا يقطع الخيط الذي يربط مقاله بصوره، وبخاصة في المواضع أو الصور الأربع التالية:

يقول في الأولى: «والشيء بالشيء يذكر، فينبغي أن أتنفس قليلاً، لأنشد أبياتاً من الشعر، جادت بها قريحة شاعر مسيحي، عروبته أرسخ وأشد عراقة من عروبة بعض اللبنانيين الذين يقتلون أنفسهم باسم الطائفية، حزباً على العروبة.. هذا الشاعر هو الشاعر القروي..»، (ص ١٧).

وفي الثانية والثالثة ـ ص ٧٢ وص ٧٧ ـ وكلتاهما نقد من (أكرم زعيتر) عما كتبه الزيدان حول نسبة أبيات شعرية لغير قائلها.

وفي الرابعة كان قد وظّف فيها حسه التاريخي لعقد مقارنة بين الماضي والحاضر بأسلوب ساخر، فيه من المفارقات ذات الدلالة الواضحة في (ص ١٤٦).

وثمة موضع خامس في (ص ١٦٠) لا يحمل العنوان (صور)، وإنما يحمل عنوانين: [زياد أبو عين] الفتى العربي الفلسطيني الذي شهد الشعب الأمريكي مأساته، و[نزار قباني] ومصابه ببلقيس، وقد شاركه الرثاء، ولكن من منظور تاريخي. إذ يقول: «قتلوا بلقيس، وهي ليست من بنات سبأ، ولا من أمهات صنعاء، وإنما هي من بنات بابل. ما غمدان، ما بابل، ما الأهرام، ما حجر ثمود، ما البتراء؟ إلا الأرض التي أنبتت (بلقيس). بلقيس





★ محمد حسين زيدان ★

الملكة في سبأ .. بلقيس الملكة على وجدانك ، كأنما بلقيس تعلّمت من هاروت وماروت أن تحصنك برق ، هي السحر الحلال في شعرك » .

وثمة مقالة واحدة ـ من ست وثلاثين مقالة ـ خرجت بالزيدان عن السياسة اليومية ، والمقالة الصحفية ، إلى مقالة تاريخية وعصرية ، جسدت فكرة بارزة وهامة في حياتنا هي : مكانة المرأة في التاريخ أو عظمتها .. من خلال سيرة امرأتين « صنعتا في التاريخ النصر لمصر وللعرب جميعاً » ، (ص ١٠١) ، واحدة قديمة هي (شجرة الدر) ، والأخرى معاصرة هي السيدة (جنان الشواربي) .

كما أن الزيدان قد ختم كتابه بلقاء ـ لا مقالة ـ كانت مندوبة مجلة « الوطن العربي » قد أجرته معه ، وحمل العنوانين التاليين : (التاريخ دراية لا رواية) ، و (أجمل الحب تزينه الرحمة) . وكان أجمل ما في اللقاء هو حديثه أو ذكرياته مع بعض الشعراء ، وبخاصة : الشاعر عمر أبو ريشة .

وفي كل الأحوال ، فإن كتاب الزيدان : أحاديث وقضايا .. لا يخلو من ومضات تاريخية ، مشعة هنا وهناك من كتابه .. وبخاصة ما يبرز ثقافته التاريخية العربية والإسلامية ، كثقافة مميزة عن ثقافاته واهتماماته الأخرى ؛ لذلك يقول لمندوبة مجلة « الوطن العربي » ، وهو بصدد اهتمامه أو دراسته للتاريخ : « إن : (التمرة ، والجمل ، والحصان ، والسيف ، والجمرة) كانت جميعها مادة الحضارة العربية ، وعزة الصحراء ، وأداة الإنسان فيما سجله من بطولات وأمجاد ، أو مصائب ومآس كانت جميعها بمثابة مثل وأمثولة الأجيال العربية » .

● الكتاب : من نفحات الصبا (ديوان شعر) .

● الشاعر : زاهر الألمعي .

● الناشر : مطابع الفرزدق التجارية ، (١٥٨ صفحة) .

هو الديوان الثالث للشاعر الدكتور (زاهر الألمعي) بعد ديوانيه : (على درب الجهاد ، والألمعيات) . ويبدو لنا الشاعر ـ ذو الاهتمامات الدينية والإسلامية ـ متحرجاً في نشر قصائد هذا الديوان الغزلي ، كما نوّه بذلك في مقدمته ، وإن كان الأستاذ (أحمد محمد الشامي) في تقديمه ودراسته للديوان يشجعه على المضي في درب الوجدان والعواطف .

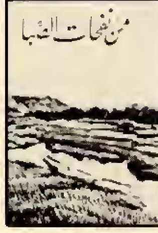
ويضم الديوان ثلاثاً وعشرين قصيدة غزلية ، وإن جنحت واحدة ـ من أرض لبنان ـ إلى الشعر القومي الوطني . واشتملت كل صفحة من صفحاته المصقولة الملونة المؤطرة على ثلاثة أبيات فقط ، من الشعر الموزون المقفى .

لقد زخر هذا الديوان بألفاظ الحب والغزل التقليدية ، التي عرفها الغزليون العرب القدامى والمحدثون .. وعانوها ، ولهجوا بها في التعبير عن غرضهم الوجداني من : هوى ، وعشق ، وشوق ، وحنين ، ووجد ، والتياع ، وولـه ، وهيام ، ووصال ، وصد ، وسحر ، وصب ، وفراق ، ووداد ، وجوى ، ودل ، وعتاب ، ولوم ، وذكريات ، وصبا .. وغيرها .

على أن الشاعر الألمعي من خلال هذا القاموس الغزلي الذي عج به ديوانه قد انفرد بألفاظ لها سمات وجدانية خاصة .. ألفاظ تتواكب لترسم جواً عاطفياً متميزاً يكاد ينفرد بها . ويمكن بلورة هذا الجو الغزلي العاطفي بالملامح البارزة التالية :

★ أولا : الورد وما يفوح به من عطر وشذا . وما يوحيه من ألوان ونشر في مجال الحب والغزل :





★ زاهر الألمعي ★

وخـــدك ورد ينتشي في عـــروقه
رواء شباب قــد سرى وتـــدفقا
ونشرك إن مـرت هبوب تحملـت
وأهدت عبير المسك نشوان ريقـا

وإن هـذا الجـو الأريجـي المعـطر المزهـر لنلمحـه كثيراً في الصفحات : ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٤٠ .

★ ثانياً : القلب المذاب ، تلسعه وتفـريه وتجـرحه النـار والسـهام . فالنظرات والوجد تفري الحشا والكبد ، والهوى يمزق القلب بلهيبه المتأجج ، وحرمان يشوي الحشاشة ، وموت من وقع الحسـام ، وجـوى يجـرح الفـؤاد ويذيبه ، ولـوعة حـب ونـأي مـوقدة محرقة :

ولوعة الحب نـار أنـت مـوقدها
تكاد تحرقني والنـأي يـذكيهـا

وإن هـذا الجـو النـاري المتـأجج بـاللهيب والغليـان والاحتراق والتمـزق لنلمحه كثيراً أيضاً عـبر الصـفحات : ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٤٨ .

★ ثالثاً : السمو في حبه ، والعفـة التي تتوج المحبوبة ، وقد يصل بـه هـذا السمو المطهـر إلى درجـة مـن الحـب العـذري . وكأن الإطـار الـديني الـذي تصب فيـه أفكاره ومـواقفه الـدينية تفرض عليـه هـذا الاتجـاه العـاطفي الغزلي ، الذي يصبح فلسفته في الحب :

فالحب جوهر ما في الكون من مثل
عليا بـه يتجلى النبـل والشرف

وقد زخر الديوان بألفاظ ومـواقف وصـور الطهارة والعـذرية والقـداسة والتقـوى ، كما في الصـفحات : ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٥٥ .

ورغـم ذلك الـطهر ، والعفـة والعذرية والتـق .. الـتي يفـوح بهـا وجدانه ، ويترجمها غـزله ، فإننا نلمح حساً مادياً في بعض شعره الغزلي ، كما في ص (٥٨) ، وفي ص (١٣١) الـتي يقول فيها :

حورية اللحظ تسبي عقل نـاظرها
وثّابة النهد «لغـابيّة» البـدن

★ رابعاً : إقليمية الحب . فهو يحب فتـاته «عسيرية» ألمعية .. لا تـدانيها محبوبة أخـرى .. ومهما تجول وطاف ، وأبصر ، وراودته الأطياف والأحلام .. في بـلاد الشـام (حمص ، وجلــق) وبغداد ، وبيروت ، والأردن ، والمغرب ، ووادي النيـل ، وصـنعاء ، وأوطـان الخليج :

فما لاحظت عيناي «فـرعاء» مثلما
رأيتك ملء القلب حسناً ومنـطقا
«عسيرية» في لحظها «ألمعيــة»
يزيّنها طهـر ويسـمو بهـا تـق

وتتجلى هـذه الإقليميـة الغـزلية في عناوين قصـائده ، إذ يتخـذ لهـا مثـل هذه العناوين : عسيرية ، موطن الحب ، درة من بلـدي .. يقـول مثـلاً مــن الأخيرة :

يـزيد مـوقعها عنـدي تـألقها
وكونها من بني قومي ومـن بلـدي

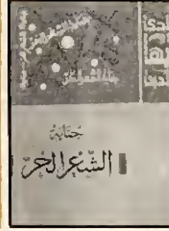
وإذا كانت هـذه الموجـة العـاطفية ترسو بـه إلى ربـوع عشيرته وأهلـه وجميلاتهم ، ونجدها في الصفحات : ٤٩ ، ٦٢ ، ٨٤ ، ١٢٥ ، فـإنه في ديــوانه (الألمعيات) تـبرز تلك المشـاعر بشكل أكبر .

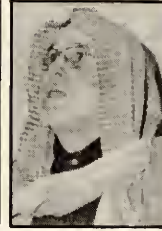
ورغم أن الشـاعر الألمعي في هـذا الديوان قد جسـد لنـا معـاني الحـب والغزل بغزارة ، وأفاض عن أحـاسيسه ومشاعره بعاطفة حارة ملتهبة .. إلا أنه لم يبدع لنـا صوراً جـديدة في تعبيره ، تحتضـن بعض معـانيه الغـزيرة ، وعواطفه الجياشة .. ولم تفـارق الصـور المألوفة الحسية مثل قوله :

وثغـرك بسّـام كومضـة بـارق
تـلألأ في جنـح الـظلام وأشرقـا

القضـية المطـروحة في

● الـكتاب : جنـاية الشعر الحرّ .
● المؤلف : أحمد فـرح عقيلان .
● الناشر : نـادي أبهـا الأدبي .
● الـطبعة الأولى : ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .





★ أحمد فرح عقيلان ★

هـذا الـكتاب الصـغير ـ الخطير مع ذلك ـ قديمة نسبياً .. فعمرها حتى الآن نحو ثلاثين سنة ، وعرضها على النحو الذي عرضها به أحمد فرح عقيلان تحت عنوان «جناية الشعر الحر» ، مثير للدهشة ، لا لأن ثمة إدانة مدّعاة لأقطابها ـ أو لبعض أقطابها على الأصح ـ وإنما لأن الشعر الجديد لا يزال حتى اليوم موضع شك ، وقد بلغ هذا الشك من الضخامة إلى الحد الذي قيل فيه إنه ليس بشعر ولا بنثر (هكذا جاء في الكتاب) وإنه سرطان خبيث سريته إلى أدبنا جماعة أو عصابة متآمرة زعمت أنها مجددة !

ما هذا ؟

إنها المغالاة بعينها ، لأن شعراء الحداثة ليسوا كلهم ـ كما يرى عقيلان ـ يوسف الخال وعلي أحمد سعيد (أدونيس) والبياتي .

ولأن شعراء الحداثة ليس بينهم محمد الماغوط وأنسي الحاج وكل من يمكن أن يشكل في تقسيمات عقيلان اللون الثالث (ص ٢٠) أي ما لا وزن له ولا قافية فيما يقترحه ـ بسداد ـ تحت عنوان «أقسام الشعر الحديث» .

ثم لأن شعراء الحداثة لم يكونوا جميعاً شيوعيين كبعض الشعراء ولا لامنتمين على طريقة أدونيس المحفوفة بالطلاسم المشبوهة (ص ٢٤ ، ٣٧) ولا لادينيين كبعضهم ، أو كسعيد عقل مروج اللبنانية بالحرف اللاتيني ويمتلك ثروة لغوية عربية لم تتهيأ حتى لشوقي !

وأخيراً لأن شعراء الحداثة لم يمثلهم بلند الحيدري ولا كذلك شوقي أبو شقرا ، ولا حتى عفيفي مطر الذي جعله عقيلان ـ بدون سند فني ـ أحد أئمة الشعر الحرّ (ص ١٦) وفي مصر الجيار وكمال نشأت والعنتيل وغيرهم كثير .

ما يسميه عقيلان إذن بالشعر الحرّ ـ ولماذا لا يسميه الشعر المرسل ، أي الذي أرسل من قيود البيت الكامل أو المشطور أو المجزوء ؟ وثمة من سماه المحدث أو الجديد ـ ليس كله جناية ولا أصحابه متهمين . وفي الستينات كتب الناقد أحمد كمال زكي في أعداد متتالية من مجلة الثقافة المصرية مجموعة مقالات يهاجم فيها من رآهم موضع شبهة من أصحاب الشعر المرسل ، وجعل في مقدمة هؤلاء أدونيس والخال والبياتي .

وإذن فثمة من يستحق الردع من بين كتّاب الشعر المرسل ـ أو الحرّ عند عقيلان ـ وثمة ما ينبغي أن يعرض عنه ، نعني ما لا تفعيلة تحكمه .. فهو نثر معقّد أصحابه يضللون الناشئة به ، وبعض الصحف ـ للأسف الشديد ـ تفسح مكاناً لهم فيها حتى ورمت مواهبهم المريضة وبدت كما لو كانت مصابة بالفيلاريا !

وبهذا القدر مما يجب أن يتفق عليه ، يصح كل حرف خطّه عقيلان في قضية الشعر الجديد .

وبتخلية مطلوبة كي يكتسب كتابه العلمية الرصينة الرزينة ـ وأولها كبح جماح الغضب الذي صدر عنه وهو يكتب (ص ١١) ـ يصبح بحق أحد الكتب القليلة التي رصدت بنجاح مخاطر ذلك الفن .

علماً بأن تقسيمه الثلاثي الذي أشرنا إليه قاعدة ضرورية يحتاج إليها أيّ دارس لذلك الفن المحدث . وأما الفصل الذي عقده بعنوان «شبهات حول التجديد» (ص ٢٨) فقيمته تنبع من أنه موازنة موضوعية بين ما كان عربياً خالصاً وما هو كائن وقد سيط بدم أجنبي انبثق من الفلسفات والمذاهب المعقدة (ص ٣٣ ، ٣٤) وأيضاً من أن المحدث شيب ببدع أيديولوجية يمثلها أدونيس كبير اللامنتمين ، وصاحب المدرسة التي تجمع ناشئة لا موهبة لديهم ولا خير ولا رجاء فيهم !

وأما فصل «حجم الجناية» ـ وهو جوهر الكتاب أو موضوعه الرئيسي (٥٢ ـ ١١٢) ـ فهو أربع عشرة جناية وليس واحدة ، وكلها يفضي إلى خراب فني إذا صح أن نقول ذلك ، كما يهدم الفصحى ويمزق التراث ويطعن أذواقنا وأخلاقياتنا ـ والمدهش أن

بعض النقاد يروج لهذا ـ ويشوه صحافتنا كما شوه الشعر نفسه بتعميته وتغميضه. وهكذا نجد أنفسنا وقد سلبنا حقيقة وأعطينا وهماً أو عبثاً لا غناء فيه، ولا طائل وراءه.. وبخاصة إذا تصدى له الناقد الموضوعي بوعي وحياد!

وهنا نرجو من عقيلان شيئين: ألا يجعل الشعر الحديث ـ المرسل ـ سرطاناً خبيثاً على إطلاقه، وألا يسمح بأن يعلن على ظهر الغلاف أن ذلك الشعر ليس بشعر ولا بنثر، أم يريد أن يكون كالعقاد عندما تسلّم نسخة خطية من ديوان لصلاح عبد الصبور لينشره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، فحوّله إلى لجنة النثر جهة التخصص؟



عامٌ جديدٌ

شعر: سعد البواردي

لا فرقَ أنْ تأتي.. وأن يجري
كلاكما عامانِ من عمري
حبَّات عِقْدٍ غير منظومة
تناثرتْ.. أدري.! وما أدري!
لم أُحْصِها.. رخيصة ضُيِّعَتْ
آثرت أن تُنسى.. فما تُثْري
قبلكما دفنتُ عُمْراً ذوى
واريتُهُ في متحف القبر
قد ضاقَ بي.. وضقتُ ذرعاً به
لم يتسع لما بنا صدري



محمد عبد الغني حسن
الشاعر الموسوعي

بقلم: جمال بدران


★ محمد عبد الغني حسن ★

في الثالث والعشرين من يناير (كانون الثاني) غادرنا علم من أعلام اللغة والأدب العربيين، بعد حياة حافلة بالنشاط المتعدد الجوانب على مدى خمسة وسبعين عاماً.

هو مجرد خبر في سطور صماء، تُبلغ بالنبأ الحزين، لكنها سطور تسدل ستاراً على حياة عريضة، حفلت بالغزارة في العطاء، والبعد في التأصيل، مع هوادة في التقويم، ولين في التعليم.. حتى ليكاد المرء أن يتوسم كاتبنا الآن وهو يرحل عنا.. يرفع يده محيياً بالسلام، راجياً الا نجشم أنفسنا مشقة تشييعه إلى مثواه، مكتفياً بمشاعر الود والصفاء التي ملأت قلوبنا معاً في الحياة.

لكنها تحية سلام واستئهان أيضاً، لأنه أودع لدينا حصيلة حياته القارئة الكاتبة، في قصائد طوال، وبحوث تدرس وتستقصي وتؤصل، وروايات من التاريخ تشوّق وتعلّم على السواء، فيسقينا الواقعة دون حشرجة أو تمنع، ونزداد معرفة لا بالرواية وحدها.. بل بعصر كامل لها، كذلك قدّم ترجمات لأعلام سنيّ عمره.. فطوّف بنا حولها وأنار جوانبها بقلم رشيق.. ينأى عن الخدش، ويبسّد المظان.. فيزيد أبصارنا كشفاً، وعقولنا تبصرة واتساعاً. ناهيك عن أبحاث اللغويات، يخالها المرء جامدة جافة، فإذا ما قرأتها للأستاذ محمد عبد الغني حسن ـ رحمة الله عليه ـ وجدتها سلسالة تقترب منك فتألفها، ليّنة طوع لسانك فتنطقها وترددها.. يكاد يمسك بيدك ليقودك، يربت على كتفك ليطمئنك، يحادثك بها في يسر وطلاقة ليحلّ عقدة اللسان، وهو مع ذلك ممتدة سطوره أمامك على الورق.

هكذا كان أستاذنا الشاعر الروائي، والباحث الموسوعي.. وهكذا كنت كسائر أبناء جيلي في الأربعينات، قرأت له في أيام التلمذة دون أن أراه، وألفت أسلوبه الرشيق فأحببت أن ألقاه، وسعيت إلى مقابلته دون جدوى، فلقد كان عصفوراً كثير التنقل بين فروع المؤتمرات في شتى القارات، حتى أتيحت لي الفرصة في أوائل الستينات، سنحت دون ترتيب أو قصد، وبدون إحاطة بملامحه، قابلت فارساً فارع الطول، ممشوق القوام، لم تنل منه سنوات العمر انحناءة أو ميلاً، واسع الخطى في تمهّل ووقار، أنيق الهندام في غير بهرج، رفيق الملامح في وجه بهيج، فإذا ما سمعت حديثه تعرّفت بصوته الرخيم على صاحب تلك الكتابات التي قرأتها كلها.. **هذه الاستقامة وهذا الاتساق بين الرجل وبين قلمه.. تجعلنا نقدّر مدى التطابق بين عباراته المنطوقة وبين جمله المخطوطة.. فلا تخرج من لقائه إلا بحقيقتين هامتين هما الصراحة واللباقة. بهذه الملامح الواضحة الهادئة، يمكننا أن نتصور فقيدنا العزيز، يمسك كتبه بيمينه، حسنات تفرش له الطريق إلى جنة وارفة الظلال.**

نعم.. فحسنات الأستاذ محمد عبد الغني حسن، تدل على أياديه البيضاء في عالم الكتابة والكتاب.. لأنها من ذلك النوع غير الموقوت بمناسبة، أو الموقوف على غرض.. حتى كتب التراجم.

منهجه الأخلاقي

فهو في تناوله لمن ترجم لهم.. وضع نصب عينيه وجودهم في أوسع الدوائر التي يتبادلون معها التأثير والتأثر، ومن ثم تفاعلهم مع شتى الظروف المحيطة بهم.. بمعنى أن كل شخصية من أولئك هي خلية فعّالة بذاتها وبغيرها المتصلة بها.. يكاد أن يستلهم قوانين الحركة الدائمة في حياتنا المتطورة.. ويزداد هذا الأمر وضوحاً في كتابه القيّم الذي تناول حياة الأديبة **مي زيادة**.

إنه تناول ميّ الشرقية في شاعريتها وموسيقيتها، وميّ الكاتبة بلغتها وأسلوبها، وميّ في محاضراتها وخطاباتها، وميّ في صالونها الأدبي، وما قاله عنها معاصروها من أعلام المفكرين.. حتى ليكاد يجسّد العصر كله، ثم لا يقنع بهذا، فيكتب سطوراً تحت عنوان: (ميّ بنت الطبيعة).. « **فهي تجد أنساً كبيراً حين ترى جبلاً أشم، أو وادياً عميقاً، أو مرجاً فسيحاً، أو غابة مشتبكة الشجر، أو صحراء ممتدة**

الشاعر الموسوعي

السكثبان ، أو نهراً جارياً ، أو بحراً مضطرباً . وهي تجد في نفسها راحة إذا نشقت عبير زهرة ، أو أريج روضة ، أو سمعت غناء طائر ، أو سقسقة عصفور ، أو حتى صرير جندب ، أو طنين نحلة ، إنها تطرب لكل ما تقع عليه عيناها من مجالي الطبيعة ، وما تسمعه أذناها » .

إن كاتبنا الفقيد ، قد ربط ميّ الإنسان الشاعرة بالطبيعة نفسها ، فأنّى للإنسان أن يندثر ، وأنّى للطبيعة أن تضيع معالمها قبل قيام الساعة .



وهو أيضاً في ذكره لمواهبها الأدبية ، يسوق قدرتها على الخطابة والمحاضرة ، لكنه ينتقي من خُطبها ما قالته في المعاني الجامعة الخالدة . . الإحسان والوفاء . فإن دل هذا الانتقاء على شيء ، فإنما يدل على تكوينه الخُلقي السامي الذي أملى عليه انتقاءه وتذوّقه .

حتى في اختيار فقيدنا العزيز لأعلام من التاريخ ، إنه يختارهم على أسس أخلاقية قويمة ، يراها هو مدعاة لتكريمهم حتى ولو كانوا قد غُبنوا في الذكر ، فلم يذكرهم المؤرخون إلا لماماً ، نراه يأتي بهم إلينا من أعماق الظلمات والمظالم ، ويضعهم في إطار من القصص التاريخي الشائق ، كمن يريد أن يكرّمهم باحتفاء لم يلقوْه في حياتهم . . ومن ثم يعْلمنا ويحيّيهم ، ويُشهدنا على ما وقع عليهم وعلى ما تحملوه بإنكار أفضال . . وهذا موقف من مواقف الوفاء الذي تميّز به كاتبنا الفقيد . . اسمعه وهو يقول في روايته التاريخية « **بطل السند** » عن **محمد بن القاسم** :



★ الشيخ محمد عبده ★

الرواية التاريخية

« لقد استقبل ابن القاسم الوالي الجديد ، والأمير الذي عين بدلا منه استقبال الرجل الهادئ ، والبطل الذي لا يبالي بحدث مهما اشتد . ولا بخطْب مهما جدّ . . . وجاء الأمير الجديد في جلال الإمارة ، وعز السلطان ، ومكان الدالة عند الخليفة سليمان . جاء في أبهة الإمرة إلى رجل زالت الإمارة عنه ، ولكن لم يُزل فضله . . . جاء في موكب فخم إلى فتى تَعطّل من المواكب ، وتجرّد من الحاشية ، وصفرت يداه من كل كلمة آمرة أو ناهية . . . جاء وليس بينه وبين بطل السند من أسباب الحقد ما يدعوه إلى اتخاذ موقف التجهّم له والسخط عليه ، إلا أنه جاء متأثراً بحقد الخليفة وكراهيته ، فأراد أن يكون خليفياً أكثر من الخليفة ، أو كما يقولون اليوم ملكياً أكثر من الملك » .



★ مي زيادة ★

وكما نرى سطور الوفاء في التعريف ، نلمح أيضاً كلمات الحماسة في الدفاع عن المظلوم . . وهذه خلّة حميدة في خلق أديبنا الإنسان . . محمد عبد الغني حسن . . إذ ينبري مواصلاً الدفاع عن ذلك البطل ، الذي لم يرتكب إثماً يستحق عليه عقاب السجن ، اللهم إلا إذ كانت فتوحه إثماً ، أو كانت قرابته **للحجاج بن يوسف الثقفي** كثير العداوات ذنباً !!! فكلتا الحالتين تبرئ ساحة بطلنا محمد بن القاسم . . « **وهل كانت القرابة غُرماً يحتمل فيه الأقارب المغارم دون أن يكون لهم وزر ، أو يقع منهم إصر؟ إن الله يقول ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ فكيف يصحّ في مشارع العقل وموارد الطبع أن يلزم إنسان بريء طائر غيره ، ويتحمل تبعات سواه ؟** » .

وهنا يعقد كاتبنا القدير مقارنة بين السادة والبسطاء ، بين الجحود والوفاء ، فبينما يلقي سليمان الخليفة ورجاله بالأمير البطل في غياهب سجن واسط يبكي عليه أهل السند لوعة وحزناً ، ويرسمون صورته في مدينة **الكيرج** التي فتحها ، اعترافاً بفضله وتذكاراً لأجيال السند والهند على السواء .

إننا نلمس من عقد هذه المقارنة روح الفقيد العاطفة مع العامة ذوي المشاعر الصادقة ، والتجاوب التلقائي مع الحق ، وما مردّ ذلك إلا إلى طبيعة محمد عبد الغني حسن نفسه ، الصادقة الشعور ، المؤتلفة مع أقرانها من بسطاء المسلمين المجاهدين في سبيل نشر دين الله .

لذلك فإن إنساناً ككاتبنا بهذه الصفات الحميدة ، يصبح من الطبيعي لديه أن يكون كارهاً للكذب والافتراء ، رافضاً لكل مداهنة أو تآمر .. فلم يعلق باسمه طوال سنين حياته شيء من هذه الشوائب ، ونأى بنفسه بعيداً عن مواطن الضعف ومكامن الظلام .. وها هو يعرض كيف تآمر **صالح** عامل العراق على حياة محمد بن القاسم المكبّل بالسلاسل في سجنه .. فأبرز لنا مدى الصعوبات التي تعترض الظالم المتآمر ، حين يبذل أقصى الجهد في الإيقاع بسجينه وهو بين يديه ، وما هذا الجهد إلا لنقاء ساحة سجينه ، فلم يطغ ولم يجر ، ولم يخدع أو يغدر ، ولم ينهب بيت المال أو يمكر ، ولم يهتك أو يفجر .. ولم ولم .. فكيف يدينه ليستحلّ دمه !! إن صالحاً لم يكن ليصلح للعدل ، ولا يليق به أن يبدو أمام الناس غير عادل .. فكيف يسلك ؟ .

تعب كثيراً في العثور على أدلة إدانة للبطل السجين دون جدوى ، إلى أن ساقت له الظروف .. **سيتا** .. تلك الأميرة السندية المطالبة بثأر أبيها الملك المقتول ، وبعرش أبيها المتهاوي ، التي ظنّت بنفسها القدرة على الإيقاع بفاتح السند الشاب محمد بن القاسم في حبائلها ، وإيهامه بحبّها له .. وما لبثت فطنته وقوة إيمانه أن كشفتا خدعتها ، فكان عقابه لها أن أرسلها أسيرة إلى دمشق ، يغلّها الغيظ ، وتهريها الرغبة في الانتقام .

علم عامل العراق الجديد الحاقد بهذه الواقعة ، فأراد أن يستثمرها في جعلها دليل إدانة للبطل السجين ، يستند إليه في إصدار الحكم بقتله .. وتمكن من إقناع **سليمان بن عبد الملك** بصدق ادعائه ، مستعيناً بشهادة سيتا نفسها ، ففوضه الخليفة في قتله .. وسرعان ما أنفذ في البطل السجين نصل حقده .

وكأن كاتبنا الفقيد يأبى للظلم أن ينتصر ، ولا يريد لسنوات الغدر أن تطول كحقيقة تاريخية ، فدفع بالأميرة المتواطئة إلى أن تطلب من صالح اللئيم الوفاء بوعده ، فتعود إلى أهلها في السند طليقة .. ثمناً لشهادتها الزور .. لكنه لم يبرّ بوعده . وصحا ضمير سيتا ، لكن صحوة الضمير هنا ، لم تكن نابعة من ندمها وحزنها على مقتل محمد بن القاسم ، إنما من رغبتها في الانتقام من صالح الذي غشّها ، ومن ثم فإن سعيها في طلب المثول بين يدي أمير المؤمنين ، كان مستهدفاً صالح عبد الرحمن نفسه .. لهذا فإنها لم تكن لتخفي حقدها عليه بقدر إظهارها الندم على ما اقترفت من ذنب في حق محمد بن القاسم ، ولهذا أيضاً كان اعترافها معيباً ، يشوب الرجوع إلى الحق عندها رغبتها العارمة في التشفي .. ومن ثم فإن الخليفة سليمان لم يشق عليه كشف أمرها ، ولم ير مدعاة للتروي والتحقق ، وهو بما عُرف عنه من عدل واستقامة ، رأى إن كان قد فقد قائداً شجاعاً مثل محمد بن القاسم ظلماً أو خطأ ، فليس من الصواب أن يزيد الفقد قائداً آخر يخلص له هو صالح بن عبد الرحمن .. لا لشيء إلا ليشفي غليل الأميرة الطموحة سيتا ، وهي إن كانت نجحت في أن تكون سبباً في قتل بطل السند ، فلا بدّ أن تفشل في النيل من عامله على العراق .. لذلك فإنه أمر بقتلها على الفور عقاباً لها على ما اقترفت بالتسبب في قتل محمد بن القاسم ظلماً .

من هذه الأحداث التاريخية ومساراتها يمكننا الاهتداء إلى تكوين فقيدنا الأخلاقي ، والاقتداء بنهجه في اختياراته إذا ما سلكنا سبيل الرواية التاريخية .

تراجم المعاصرين

والحديث عن الروايات التاريخية يدفعنا بالحتم إلى منهجه في التراجم لمن عاصروه ومن سبقوه على السواء .. ولنتساءل هل كان أستاذنا محمد عبد الغني حسن ، يجد رحابة وانطلاقاً في تناول سير السابقين أكثر من سير معاصريه ؟ أم أن بُعد الشُقّة بين حاضر الفقيد وبين سيرة البطل التاريخي ، أهون عليه من الحرج الذي يقابله في حقائق سير معاصريه ؟ مع أن هذا مبحث آخر ، لكننا نلمس أساساً مشتركاً لدى كاتبنا في هذا المضمار ، هو الاهتمام بالعموميات دون الخصوصيات ، وإن اضطر إلى تناولها ، فإنه مسٌّ خفيف لخدمة العموميات ، وبالقدر الذي يبقي على صلات الودّ وشعيرات المحبة .. فليس بلازم ــ في نظره ــ أن تكون السيرة فضحاً أو تضخيماً للمساوئ ، وإنما كاتب السير أقرب إلى الفنان العادل ، فنان تشكيلي يحافظ على توازن اللوحة ، والتوازن في السيرة يكون بالعدل بين المحاسن والمساوئ والمبررات أيضاً .

الترجمة الفنية

ويجدر أن ننتقل من أهم رسالة أدبية في أعمال الأستاذ محمد عبد الغني حسن .. أقصد التراجم والسير .. ننتقل إلى عمل رائد من أعماله العظيمة .. ألا وهو .. **الترجمة الفنية** أو .. **فن الترجمة في الأدب العربي** .

أنشأ الأستاذ كتابه الفريد في موضوعه ، وفي تبويبه ، وفي محاولته لوضع قواعد ملزمة لكل مشتغل بالترجمة ، أقامه على سؤالين .. **لماذا وماذا نترجم ؟** .

إننا ــ لا شك ــ نترجم للحاجة وللضرورة التي تبعث على الترجمة ، أيًّا كانت هذه الحاجة

الشاعر الموسوعي

وهذه الضرورة ، فسواء كانت الحاجة صادرة من الدين ، أو من العلاج ، أو من التقدم الصناعي ، أو التشوّق إلى كشف المجهول ، أو حتى للمتعة الروحية التي تتحقق من الاطلاع على أثر من آثار غيرنا ، كما نترجم استكمالا لمعارفنا التي لا يجب أن تقف عند حدّ ، سواء بما لدينا أو بما لدى غيرنا من معارف حضارية . ويضيف الأستاذ الفقيد قائلاً : «**ونترجم تعزيزاً وتوكيداً لمقوّمات شخصياتنا التي تزيدها القراءة قوة واستقلالا**» .

إن الاقتصار على معارف الأمة انعزالية ضامرة ، أما النقل والانتقاء من معارف الأمم الأخرى فهو إطلالة عالمية نامية ، وهو تقوية لوشائج التفاهم الدولي بين الأمم ، وهو تفتّح لنوافذ الفكر ، فالضوء النافذ أعمق ، والأضواء المتعددة متيحة للرؤية الأوضح ، والآفاق الأرحب .



إن شعباً مهما بلغ من مراتب الرقيّ ، لا يمكنه أن يستغني بتراثه الثقافي عن آداب الشعوب الأخرى في الغرب أو الشرق على السواء . . ذلك لأن نهر الحضارة الأبدي معتمد كل الاعتماد على روافد شتى من يمينه ويساره ، فإذا ما سدّت تعرّض النهر الكبير للجفاف .



★ جرجي زيدان ★

لذلك ، فإننا نلمس من هذا مدى اعتناق أديبنا الراحل لمبدأ العالمية ، وحثه لكل أديب شاب أن يتقن لغة يستعين بها على إثراء معارفه ، ويستطيع بها أن يخرج من نطاق المحلية إلى الآفاق الأرحب في سائر الأنحاء .

فما الذي يجب علينا أن نترجمه ، وما المعارف التي تستوجب الترتيب في الأهمية لترجمتها إلى العربية ؟ .

لقد قام **العباسيون** بترجمة المنطق والفلسفة والطب والفلك لسدّ حاجة لديهم ، لكنهم لم يترجموا أدباً إغريقياً أو مسرحاً لأنه لم تتوافر فيهما ما كانوا يحتاجون إليه من جدل ومحاجة ، أو علاج وحساب فلكي .

كذلك ترجم **المصريون** في القرن التاسع عشر الميلادي ، كتباً علمية ورياضية في غالبيتها ، لكنهم لم يفعلوا ذلك بالقدر نفسه في كتب التاريخ والآداب . . ربما لشعورهم بالحاجة الملحّة إلى ما ينفعهم في حركة الإنشاء وتكوين الجيش .

ثم وجدنا من زعماء الإصلاح من يوجه الاهتمام إلى ترجمة كتب التربية لبناء جيل مصري جديد يساير بعقلياته المتطورة ركب الحياة العالمية . . وكان على رأسهم **الشيخ محمد عبده** ثم **فتحي زغلول** الذي ترجم كتاب «**سرّ تقدم الإنجليز السكسونيين**» .

ومعنى هذا ، أن لكل مرحلة احتياجاتها التي تتطلب نوعية معينة من الكتب لترجمتها إلى لغتنا ، **فما الذي يمكن أن نترجمه في مرحلتنا هذه؟** أو **ما هي احتياجاتنا الفكرية الآن؟** .

قد يقول قائل . . إننا تخطينا مرحلة الطفولة والعيش على ما تجود به قرائح غيرنا ، وأصبح أليق بنا أن نستعين بقرائحنا نحن ، نؤلف نحن ، فأصبحنا أكثر حاجة إلى تشخيص أدوائنا بأنفسنا وتأليف الدواء لها . . فنحن أخبر من غيرنا بظروفنا .

هذا الرأي قد يصلح في كتب التعليم والتربية ، كتب التاريخ والاجتماع ، ومع ذلك يحسن أن يسير العنصران سوياً جنباً إلى جنب . . عملاً بالمبدأ المشار إليه من قبل . . مبدأ تكامل المجتمعات والأوطان . . فلم تعد انعزالية الأمم تصلح للعصر الحديث .

وإذا كانت الضرورة محتمة في مثل هذه المباحث توازي الترجمة مع التأليف ، فإنها تكون أكثر إلحاحاً على تقديم الترجمة على التأليف في مجال الموسوعات ودوائر المعارف في هذا الثلث الأخير من القرن العشرين .

ترجمة الشعر . . ويفرّغ أستاذنا الراحل إلى قضية فنية هامة في الترجمة . . تلك هي ترجمة الشعر على الرغم من فوارق الوزن ، واختلاف المقاطع ، وتباين الموسيقى ، ومغايرة الإيقاع .

إن المترجمين العرب قد رأوا اقتحام هذا المجال الشاق، فمع ما فيه من مزالق، لكن النفع والمتعة الأدبيين تعوضان ما يلقاه المترجم من نصب، أو حتى ما يوجه إليه من نقد وتجريح في الترجمة إلى العربية.

لهذا نجد الأستاذ محمد عبد الغني حسن ـ رحمة الله عليه ـ يقول متسائلاً: ماذا كان موقفنا لو أننا لم ننقل رباعيات الخيام أو روائع شكسبير أو الإلياذة والأوديسا وغيرها من هذه الكنوز العالمية إلى العربية؟!.

ربما كان تقاعس العرب في ترجمة هذه الأشعار من قبل، مرجعه إلى الثروة الشعرية الضخمة التي لديهم ـ مثلما يقول **جرجي زيدان** ـ أي إننا اعتقدنا باكتفائنا الذاتي في الشعر ولم تكن بنا حاجة إلى أشعار غيرنا.

وربما كان امتلاء الشعر الإغريقي بنماذج الآلهة وأسمائها، مما لا يتفق وعقيدة التوحيد في الإسلام ـ كما قال **فؤاد صروف** ـ الأمر الذي أبعد مترجمي الدولة العباسية عن هذا المجال، وأخرّ ترجمة هذه الروائع إلى قرون قريبة.

لكن الصعوبة في طبيعة الترجمة الشعرية، هي التي عاقت الترجمة الحرفية التي تفترض توافر كل قيود القصيد، حتى روح الشاعر نفسه.

ومع ذلك وجدنا أديبنا الراحل يعثر على سبب آخر لتأخر ترجمة القصائد إلى العربية هو أن «**النقلة والمترجمين في أكثرهم كانوا من نصارى النساطرة والحرانيين والسريان واليعاقبة، ولم تكن لهم ميول أدبية، فقد كان اشتغالهم بالفلسفة والطب والتنجيم أكثر، وعقولهم بها أعلق، ونفوسهم بها ألصق، ولم تكن العربية لغة سليمة لهم، ولا صحيحة عندهم.. ومن هنا لم يجرءوا على نقل نصوص شعرية، لا يحسنون نقلها، وقد لا يحسون جمالها، ولا يتذوقون قيمتها الفنية في لغتها الأصلية ذاتها**».

ترى.. ماذا يكون الحكم لو توافرت في المترجم الممتاز روح الشعر، فكان شاعراً؟ هل تسهل المهمة لديه.. فيصوغ ترجمة للقصيدة الإنجليزية أو الفرنسية في قالب القصيدة العربية بكل قيودها العروضية والموسيقية والقافية.. إننا حتى الآن لم نر القصيدة العربية المترجمة التي تطاول أصلها في عظمتها.. لكن الإمكان وارد بدون تعجيز أو استحالة.

ترجمة القرآن الكريم

لكن اعتراضاً على الترجمة من العربية إلى سائر اللغات الأخرى.. يرفعه الأستاذ الراحل محمد عبد الغني حسن في وجه القائمين عليها.. ألا وهي **ترجمة القرآن الكريم**.

يقول الأستاذ المحقق إن أول ترجمة له إلى اللغة اللاتينية في القرن السادس الهجري.. وكانت على يد رجلين أحدهما إنجليزي والآخر ألماني.. وعرفت باسم **ترجمة الراتيني**، لكن الظروف شاءت لهذه الترجمة أن تظل في طي الخفاء أربعة قرون أخرى.. حتى طبعها **بليباندر** في مدينة بال السويسرية، فنقل القرآن الكريم عن هذه الطبعة إلى اللغات الإيطالية والألمانية والهولندية.

لكن ترجمة أكثر دقة ظهرت في القرن الحادي عشر الهجري، إلى اللاتينية أيضاً، فكانت الترجمة في صفحتين متقابلتين بالعربية واللاتينية، لكنها للأسف جرت على يد عدوّ لدود للإسلام، فوجّه انتقادات في الهوامش لما جاء في الآيات الكريمة، دلّت على مدى الحقد الذي يكنه المترجم، وهي بالطبع انتقادات دلّت أيضاً على خطأ الفهم لما ورد. ومنذ ذلك الحين تتابعت الترجمات إلى اللغات الشرقية والغربية على السواء.

ولم يفت الأستاذ عبد الغني حسن أن يسوق موقف طرفي أنصار ومعارضي ترجمة القرآن الكريم داخل الأزهر وخارجه.. وذلك عندما أصدر **الشيخ المراغي** شيخ الأزهر عام ١٩٣٦م، بياناً رسمياً دعا إلى ترجمة القرآن الكريم بإشراف علماء الأزهر حتى يأمن المسلمون من غير العرب شرّ الترجمات الخاطئة أو الناقصة.

وكان الملاحظ أن الترجمة المنشودة هي ترجمة معاني كتاب الله، تفادياً لقصور أكفأ الترجمات عن الارتقاء إلى إعجاز القرآن الكريم، وضماناً لوصول معاني القرآن الكريم إلى أكبر عدد من أبناء المسلمين غير العارفين باللغة العربية.

لكن عاصفة من الاعتراضات هبت في وجه هذه الدعوة، ورفضت بكل إصرار ترجمته إلى غير اللغة التي أنزله الله بها، استناداً على أن القرآن الكريم روح، والروح لا يترجم، وساقوا أنوار الكهرباء مثالا على عجز الإنسان عن رفعها إلى مرتبة ضوء النهار وأشعة الشمس، وعجز ذلك النور الصناعي عن إحداث النماء.

أما إن كان لا بدّ من تبليغ المسلمين غير العرب بكتاب الله، فيكفي بلاغهم بتفاسيره، والأوامر والنواهي التي وردت فيه.. لتبصيرهم بأمور دينهم.. أما إن كان لا بدّ من قراءة النص القرآني، فلا مفر من أن يتعلموا لغة الضاد مثلما فعل السلف.

وقد تراجع الشيخ المراغي عن دعوته أمام عنف معارضة المعارضين واكتفى بترجمة تفسير القرآن الكريم. وهنا نحسّ أن فقيدنا الغالي يميل إلى الرأي الغالب.. اكتفاء بترجمة المعنى دون النصوص. جزاه الله كل رحمة وثواب.. وأسكنه بعد البرزخ القريب كل موضع في جنته يليق بجليل الأعمال التي خلفها لنا نحن القراء المشيعين.. آمين.

لم تلق هذه السوق من الكتّاب، الاهتمام الذي لقيته أسواق أخرى لا تعلوها مكانة ولا تزيد عنها شأناً، كسوق مجنّة وذي المجاز، وقد يكون ذلك راجعاً للحظ السيئ الذي يصيب الأماكن كما يصيب الأشخاص، أو إلى تغطية شهرة سوق العرب الكبرى عكاظ، بحيث كانت مجنة وذو المجاز تذكران معها تبعاً، أو للاعتقاد بضآلة شأن هذه السوق بالمدينة المنورة، وصغر حجمها وقلة تأثيرها واتسامها بالطابع المحلي، ولعلنا في العرض التالي نستطيع أن نكشف كثيراً مما يتصل بهذه السوق ويؤكد أهميتها.

سُوقُ الجِسْرِ .. في المَدِينَةِ المُنَوَّرَة

بقلم: د. محمد العيد الخطراوي

المدينة: الموضع والموقع

لقد كان قيام المدينة المنورة (يثرب) في العصر الجاهلي مستنداً في واقعه إلى عاملين رئيسين، هما: الموضع، والموقع[1].

فأما من حيث **الموضع**، فإن المدينة كانت واحة خصبة تعيش في خضم الصحراء ومتلاطم الرمال، متميزة، كثيرة الموارد، تنمو فيها الزروع والنخيل، وتجري فيها الوديان، ولا يخفى أن هذه الصفة تعطي الموضع مكانة في قلوب الناس جميعاً وبخاصة في منطقة كالجزيرة العربية معروفة بالجدب وشح المياه، وهو السبب الذي جذب إليها كل من تواردوا عليها، واتخذوها مستقرًّا وسكناً، وحاربوا من أجل الاستيلاء عليها، سواء في ذلك **العَبيليون، والعمالقة، والأوس والخزرج**، وهذا يفسر ما رجحه المؤرخون من أن أول ما عُمِر منها هو **قرية العيون** (يثرب القديمة)، وهي بقعة محصورة بين **جبل أحد** والمجرى القديم **لوادي قناة**، شمالي المدينة الحالية، لأنها كانت ولا تزال من أغنى مواضع المنطقة بالمياه وأصلحها للزراعة، وكان الانتشار السكّاني كله في المدينة تبعاً لهذه القاعدة، فكانت **قباء والعوالي والجرف** بأقسامه إلى ما يقرب من **جبل سلْع** أيضاً من أقدم الأماكن السكانية فيها، وجذب **وادي بُطحان ووادي مُذينيب ووادي قهْزوم** بقية السكان.

وأما من حيث **الموقع**، فقد كانت المدينة تقع على طريق تجارية هامة تربط بين شمال وجنوب، مما جعل **تبَعاً** يطرقها فيما طرق من المحطات التجارية، ليبسط عليها شيئاً من هيمنته ويطمئن إليها، وكذلك فعل الملك البابلي **نبونيد**، وكانت مرتاداً للتجار والمتمولين من كل ما حولها من بلاد.

وهناك عامل آخر من عوامل قيامها، ولكنه عامل ثانوي جداً، ذلكم هو هذه **التحركات البشرية** الدائبة التي عرفت بها الجزيرة العربية في العصر الجاهلي تحت تأثير الأسباب المختلفة، والتي كانت في تحركاتها تنشد الموضع والموقع، ولا غرو أن من ظفر منهم بسكنى المدينة كان موفقاً ومحظوظاً إلى حد كبير.

وإذا كانت المدينة في العصر الجاهلي تعتبر ممثلة للمجتمع الزراعي، بحكم أنها أرض ذات مياه غزيرة عذبة تستخرج من آبار قريبة المورد، يغترف منها المرء بإناء دون كبير عناء، كما يقول أحد شعرائها **كعب بن الأشرف**:

ولنا بئر رواء عذبة ... من يردْها بإناء يغترفْ
ونخيلٌ من تلاع، جمةٌ ... تخرج التمر كأمثال الأكفْ

وكما يصف **أحيحة بن الجلاح** أحد بساتينه فيها:

لها ثلاث بشار في جوانبها ... فكلُّها عقب يسقي بإقبال

أسواقها

رغم طغيان هذا الطابع الزراعي على حياة أهلها، فإن ذلك لم يقف حائلاً دون اشتراكهم في النواحي التجارية، وإنشاء الأسواق التجارية فيها.

وأشهر أسواق يثرب (المدينة) في الجاهلية هي:

أ ـ **سوق زُبالة :** وكانت هذه السوق تقع في الناحية التي تدعى يثرب ، وهي في شمال المدينة ، كما حددناها قبل قليل .

ب ـ **سوق الصَّفْصاف :** وكانت **بالعُصْبة** غربيّ **قباء** في منازل بني جَحْجَبا ، قوم الشاعر **أحَيْحة بن الجلاح** ، وهي السوق التي قتل فيها **سُميرٌ كعباً الثعلبي** ، فانطلقت بسبب ذلك أول شرارة لحروب الأوس والخزرج ، ولم تنته إلا بعد عشرات من السنين بحرب بُعاث قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بخمس سنوات .

ج ـ **سوق مُزاحم :** ويبدو أنها كانت أصغر أسواق المدينة ، لأن المراجع التي بين أيدينا اكتفت بذكرها ، ولم تزد على ذلك ، والغالب أنها كانت قرب **أطم** (حصن) مزاحم الذي تحمل اسمه ، والذي كان لشيخ الخزرج **عبد الله بن أبيّ بن سلول** .

وطابع المحلية ظاهر بشكل كبير على هذه الأسواق الثلاث ، ولا ضير إن لم يهتم بها الكاتبون .

د ـ **سوق الجسر :** وكانت على **جسر بُطحان** بين **المَراكشية والمشرفية** الآن ، وتعرف هذه السوق أيضاً **بسوق بني قينقاع** ، ذكر **البخاري** في كتاب (البيوع) أن **عبد الرحمٰن بن عوف** رضي الله عنه ، لما قدم المدينة سأل : هل من سوق فيه تجارة ؟ فقيل : سوق بني قينقاع .

وظائفها

وقد كانت هذه السوق أهم أسواق يثرب جميعاً ، يرتادها الناس من كل مكان ، من داخل يثرب وخارجها ، فتزدحم ازدحاماً كبيراً يسمع الناس ضجيجه من بعيد ، وتؤدي وظائف أدبية واجتماعية إلى جانب وظيفتها التجارية ، فهذا **النابغة الذبياني** يؤمها قاصداً ، وحين يدخل المدينة يلتقي في طريقه إليها بالشاعر **الربيع بن أبي الحقيق** ، نازلا من أطمه ، ولما أشرفا عليها سمعا منها ضجة كبيرة ، فحاصت بالنابغة ناقته وكادت توقعه من فوقها ، فأنشأ يقول : (**كادت تهال من الأصوات راحلتي**) . ثم قال للربيع : أجز يا ربيع . . فقال : (**والنَّفْر منها إذا ما أوجست خُلُق**) ، فقال النابغة : ما رأيت كاليوم شعراً قط . ثم قال : (**لولا أنْهنهُها بالسوط لاجتذبت**) أجز يا ربيع . . قال : (**مني الزمام ، وإني راكب لبِق**) فقال النابغة : (**قد ملّت الحبس في الآطام واشتعفت**) أجز يا ربيع . . فقال : (**إلى مناهلها لو أنها طُلق**) . فقال النابغة : أنت يا ربيع أشعر الناس .

ويلاحظ أن النابغة والربيع لم يبذلا جهداً في التعرف على بعضهما ، مما يدل على معرفة سابقة داخل يثرب أو خارجها ، تعدت المعرفة الشخصية إلى المعرفة الأدبية التي هيأتها إلى أن يدخلا في هذا النمط من الإجازات الشعرية دون تردد أو إحجام . ولعل ذلك التعارف تم داخل هذه السوق في مناسبات أخرى ، فقد كانت هذه السوق ـ كما قلنا ـ تقوم بمهمة أدبية على غرار الأسواق الأدبية المعروفة في الجاهلية ، حيث كان الناس يجتمعون فيها ويتفاخرون ويتناشدون الأشعار .

وتروي كتب الأدب أن النابغة أنشد في هذه السوق إحدى قصائده أمام شعراء يثرب ، وهي قصيدته النونية التي قالها حين قتلت بنو عبس **نضلة الأسدي** ، وقتلت بنو أسد منهم رجلين ، وعزم **عُيينة** على عون بني عبس ، وإخراج بني أسد من حلف بني ذبيان ، وهي :

عرفتُ منازلا بعُريتناتٍ ... فأعلى الجزع للحيِّ المُبِنِّ[٢]
تعاورهُن صَرفُ الدهر ، حتى ... عفَوْن ، وكلُّ منهمر مُرِنِّ[٣]
وقفتُ بها القَلوص على اكتئاب ... وذاك تفارُط الشوقِ المُعنّي[٤]

إلى أن يقول :

ألِكْني يا عُيَيْنَ إليك قولا ... سأهديه إليك ، إليك عني[٥]
قوافيَ كالسِّلام إذا استمرّت ... فليس يردُّ مذهبَها التَّظنّي[٦]
بهن أُدين من يبغي أذاتي ... مداينة المداين ، فليدنّي
أتخذل ناصري وتعزّ عبساً ؟ ... أيربوع بن غيظ للمِعَنِّ[٧]

ويختمها بقوله :

ولو أنّي أطعتك في أمور ... قرعتُ ندامة من ذاك سنّي

قال **حسان** : حينما شرع النابغة في الإنشاد قلت لنفسي : هلك الشيخ . . ركب قافية صعبة . فوالله ما زال يقول البيت بعد الآخر حتى أتى على آخرها ، ثم نادى : ألا رجل ينشد . ! فتقدم **قيس بن الخطيم** بين يديه وأنشد :

أتعرف رسماً كاطِّراد المذاهب ... لعمرة وحشاً غيرَ موقف راكبِ
ديارَ التي كادت ونحن على مِنىً ... تَحلُّ بنا لولا نجاءُ الركائبِ[٨]
تبدَّت لنا كالشمس تحت غمامةٍ ... بدا حاجبٌ منها وضنَّت بحاجبِ

إلى أن يقول :

فلما رأيت الحرب حرباً تجرّدت ... لبستُ مع البُردَين ثوبَ المحاربِ
مضاعفة يغشى الأنامل فضلُها ... كأن قتيرَيْها عيونُ الجنادبِ[٩]

وفيها يقول أيضاً :

إذا ما فررنا كان أسْوَا فرارنا ... صدودَ الخدودِ وازورارَ المناكبِ
إذا قصُرتْ أسيافُنا كان وصلُها ... خطانا إلى أعدائنا فنضاربِ

ويختمها بقوله :

فأُبنا إلى أبنائنا ونسائنا ... وما من تركنا في بعاثٍ بآيبِ
وغُيِّبت عن يوم كفتني عشيرتي ... ويومُ بُعاثٍ كان يوم التغالُبِ

فقال له النابغة : أنت أشعر الناس يا ابن أخي[١٠] ، قال حسان :

فدخلني منه ، وإني في ذلك لأجد القوة في نفسي عليها ، ثم تقدمت فجلست بين يديه فقال : انشد فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلم ، قال : وكان يعرفني قبل ذلك ، فأنشدته .

ولو نظرنا في هذين النصين[11] لوجدنا بعض أوجه التشابه بينهما .

فكل منهما بدأ قصيدته بالحديث عن الرسوم والمنازل ، غير أن ابن الخطيم انتقل بسرعة إلى التحدث عن الحبيب ومعه .

وكل منهما أنهى مقدمته بالبيت الخامس وتخلّص إلى موضوعه في البيت السادس ، غير أن النابغة اتبع طريق الإنشاء ، بينما سلك ابن الخطيم سبيل الإخبار .

ونجح كل منهما في تصوير بيئته أتم تصوير ، فالسِّلام ، وجمال بني أقيش ، والقعقعة بالشِّنان ، والرياح ، والجرعاء التي ليس بها أنيس ، ويوم عكاظ ، ويوم الجفار ، وحجر بني أسد ، وغيرها ، كلها أمور تمثل بيئة النابغة الرعوية وعلاقة القبائل ببعضها في تلك البيئة . كما أن حرب حاطب ، والتريّث في خوض الحرب ، والخروج لها مخرج الكاره ، والكاهنين ، وبني عوف ومالك وثعلبة ، وتذرّع الخرصان بأيدي الشواطب ، ويوم الحديقة ، والآطام وصفتها الدفاعية ، وغيرها ، كلها خطوط وشيات للبيئة اليثربية .

فالنصان على هذا الأساس يمثلان بيئتيهما خير تمثيل ، وإذا كان ابن الخطيم يصف حرباً فيحملنا معه إلى جوها الغاضب المكفهر ، فإن النابغة يحذر منها ويهدد من يقدم على أذاه بالهجاء ، ويمتدح أحلافه بحسن بلائهم ومواقفهم الحميدة ، وخلال ذلك كله استعان الشاعران بكثير من الصور البيانية الرائعة ، المستمدة من البيئة . ولكن النابغة يشهد لابن الخطيم ، ويجعله بهذه القصيدة أشعر الناس ، وإذا سجلنا هذه الشهادة في سجل ابن الخطيم فلا مناص لنا من أن نسجلها في ميزان الشعر اليثربي بعامة .

وإذا بدا النابغة شاعراً مقتدراً على القوافي الصعبة التي خشي عليه منها حسان ، فإن شعراء يثرب هم الذين قوّموا إقواءه في داليته الشهيرة (من آل ميّة) ، قالوا له : إنك تُقوي في شعرك ، أفلا أقلعت عن هذا الإقواء ؟ فلم يفهم ما هدفوا إليه ، فعمدوا إلى قينة جاءوا بها ، وطلبوا منها أن تغنيه من شعره :

من آل ميّة رائح أو مغتد   عجلان ذا زاد وغير مزوَّد
زعم البوارح أن رحلتنا غداً   وبذاك خبَّرنا الغراب الأسود

وقوله :

سقط النصيف ولم تُرد إسقاطه   فتناولته واتقتنا باليد
بمخضّب رَخص كأن بنانه   عنم يكاد من اللطافة يُعقد

وطلبوا منها أن تمدّ صوتها بحركة الرويّ ، فتشبع الكسرة في (مزوّدِ ، واليد) ، وتشبع الضمة في (الأسود ، ويعقد) ، وحينئذ فطن النابغة لذلك وأصلح إقواءه وأصبح منذ ذلك اليوم يقول : دخلت يثرب وفي شعري عهدة[12] ، وخرجت منها وأنا أشعر الناس .

وها هي **الشاعرة الخنساء** تحث ركابها من ديار قومها بني سليم ، وتحل المدينة وسوقها أيضاً وتجتمع بابن الخطيم ، ويدور بينهما ما دار من أحاديث لا نريد الإطالة بذكرها ، وكذلك كان يفعل ولدها الشاعر : عباس بن مرداس ، والشاعر السُّلَمي الآخر خفاف بن نُدْبة ، الذي كان يجيئها المرة بعد المرة ، ويعقد الصداقات مع رؤساء يثرب وشيوخها ، ويرثي القتلى من هؤلاء الأصدقاء ويدافع عن بعضهم بشعره ، وذلك كرثائه لحضير الكتائب الذي مات في يوم بُعاث متأثراً بجراحه ، يقول خفاف :

أتاني حديث فكذبتُه   وقيل : خليلُك في المرْمَس
فيا عينُ بكيِّ حُضير الندى   حضيرَ الكتائب والمجلس
ويومٌ شديدٌ أوار الحديـ   ـدِ تقطع منه عُرى الأنفُس
صَليت به وعليك الحديـ   ـدُ ما بين سَلع إلى الأعرس
فأودى بنفسك يوم الوغى   ونقّى ثيابك لم تدْنَس

وها هو عروة بن الورد شيخ الصعاليك يرتاد المدينة وينزل فيها مع زوجته ، ولا بد أن يكون قد حضر إلى سوق الجسر كغيره من الشعراء .

هذه هي سوق الجسر في الجاهلية ، أدت وظيفتها الأدبية إلى جانب وفائها بمهمتها التجارية ، واستمرت لها أهميتها التجارية حتى بعد الهجرة ، ولم تفقدها إلا بعد أن اشتد فيها الأذى على المسلمين ، حيث خط الرسول صلى الله عليه وسلم سوقاً جديدة للمسلمين بالمناخة اليوم ، فانتقل إليها كل ما كان لأسواق المدينة في الجاهلية من نشاط .

الهوامش

١ ــ المدينة المنورة للدكتور عمر الفاروق سيد ، رجب ، ص ٨ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٧م ، والمدينة في صدر الإسلام ، رقم (٥) ، ص ١٠ ، للدكتور محمد العيد الخطراوي ــ مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة ، ١٩٨٤م .

٢ ــ عريتنات : اسم واد . والمبنّ : المقيم .

٣ ــ المرنّ : المصوّت ، وهو المطر الغزير .

٤ ــ التفارط : التسابق ، المعنّي : الذي يسبب المشقة والعناء .

٥ ــ الكني : أبلغ رسالتي .

٦ ــ السّلام : واحدها سلمة ، وهي الحجارة ، شبه القوافي في قوتها بالحجارة .

٧ ــ المعنّ : الذي يتعرض لما لا يعنيه . بربوع بن غيظ : رهط النابغة .

٨ ــ تحل بنا : أي تجعلنا حلالا ونحن حرام ، أي محرمون .

٩ ــ القتير : رءوس مسامير حلق الدروع .

١٠ ــ الأغاني ٣ : ١٠ ثقافة .

١١ ــ يرجع إلى ديوان الشاعرين .

١٢ ــ عهده : ضعف .

فيكتور هيجو

بعد مائة عام (١٨٠٢ - ١٨٨٥م)



بقلم : د. سامية أحمد أسعد

تحتفل فرنسا هذا العام بمرور مائة عام على وفاة الكاتب الفرنسي الكبير فيكتور هيجو الذي طرق كل أبواب الأدب والفن . فهو شاعر يتذوق شعره الكبار والصغار على حد سواء . وكاتب روائي خلّف أعمالا يقرؤها العالم كله . من ذا الذي لا يعرف « أحدب نوتردام » أو « البؤساء » . وهو كاتب مسرحي أرست مسرحيته « هرناني » قواعد الدراما الرومانسية التي قضت نهائياً على محاولات بعث الكلاسيكية من جديد ، ورجل أراد أن يلعب على المسرح السياسي الدور الذي لعبه في مجال الأدب ، حيث كان رائداً لمدرسة أدبية كاملة ، واشتهر بعدائه الشديد لنابليون الثالث الذي كان يسميه « نابليون الصغير » لكي يقلّل من شأنه . وإذا كان فيكتور هيجو قد نُفي ، فلأسباب سياسية بحتة .

وربما لا يعرف القارئ أنه كان مولعاً بشعر الروح ، لا سيما أثناء الفترة التي قضاها في المنفى . واهتم بالرسم[1] لدرجة أن بعض الدارسين كتبوا عن ف . هيجو الرسام . وسنحاول في هذه الصفحات أن نلقي الضوء على بعض من الجوانب الهامة في هذه الشخصية الفذة وأدبها .

كان ف . هيجو أكثر كتّاب عصره شعبية . ويرجع ذلك جزئياً إلى الفترة التي قضاها في المنفى وأعطاها صبغة شبه أسطورية . كما يرجع إلى الموقف السياسي الذي اتخذه ، وجعل منه رمزاً **للعهد الجديد** ، في الفترة التي نشأت فيها **الجمهورية الثالثة** . لكن شعبية هيجو ترجع أساساً إلى إحساسه ، وتفهمه للمشاعر الإنسانية الأساسية ، سواء كانت متعلقة بالحياة العامة أم متعلقة بالحياة الخاصة ، وبلاغته البسيطة المؤثرة . وهناك مَن رأى في هيجو غير ذلك . على سبيل المثال ، عندما سُئل **أندريه جيد** : من هو أكبر شاعر فرنسي ؟ رد قائلاً : إنه ف . هيجو « **للأسف** » . ومهما اختلفت الآراء ، فإن أعمال **ف . هيجو** كانت « **صدى رناناً** » للعصر الذي عاش فيه . وهي قادرة على أن تلبي نداء أي جيل ، في أي زمان ومكان ، نظراً لأنها متنوعة ومست كل المجالات الأدبية تقريباً .

شاتوبريان .. أو لا شيء !

ولد فيكتور هيجو في **مدينة بيزنسون** الفرنسية ، عام ١٨٠٢ م ، وقضى طفولته في منزل تغنى به في أبيات شهيرة فيما بعد . كان والده ضابطاً في الجيش ، وتطلع ، منذ البداية ، إلى أن يكون « **شاتوبريان أو لا شيء** » .

وكان **شاتوبريان** كاتباً مرموقاً في قمة مجده آنذاك . بدأ هيجو اتصاله الفعلي بمجال الأدب

فيكتور هيجو

بعد مائة عام (١٨٠٢ـ١٨٨٥)



عندما أسس مجلة مع أخويه ، وكتب رواية عن ثورة الزنوج في **سان دومينج** . وكان عام ١٨٢٢ م ، منعطفاً هاماً في حياته الأدبية والشخصية على حد سواء . ففي هذا العام نشر أول ديوان شعر له ، وتزوج صديقة طفولته **آديل فوشيه** . ثم تتابعت دواوين الشعر ، والروايات ، ونُشرت مسرحية « **كرامويل** » (١٨٢٧ م) ، التي اشتهرت بمقدمتها التي ضمنها الكاتب نظريته بصفته رائداً للمدرسة الرومانسية . وفي تلك الفترة أيضاً ، رزق الكاتب بأربعة أطفال ومُنح أرفع الأوسمة الفرنسية .

ويمكن القول إن **هيجو** دخل مجال الأدب فعلاً عندما كتب ديوانه الشهير « **الشرقيات** » الذي ضمنه صوراً باهرة عن الشرق . وكان حب معاصريه للشرق قد بلغ الذروة آنذاك . ثم صدرت روايته « **آخر يوم في حياة محكوم عليه بالإعدام** » ، التي وجَّه فيها نداءً إنسانياً يطالب بإلغاء عقوبة الإعدام . وأصبحت دار **فيكتور هيجو** مقراً لجماعة الرومانسيين الشابة . وكان يؤمن إيماناً عميقاً بضرورة تطوير المسرح وتجديده ، وأن على الجيل الجديد الاضطلاع بهذه المهمة . لذا ، اتجه إلى المسرح وكتب مسرحية « **كرامويل** » سالفة الذكر ، ومسرحية أخرى « **ماريون ديلورم** » لم يُصرّح له بعرضها . لكن مسرحيته « **هرناني** » (١٨٣٠ م) انتصرت على خشبة مسرح « **الكوميدي فرانسيز** » التي كانت معقلاً هاماً من معاقل الكلاسيكية . وكان نجاح المسرحية ، بعد معركة عنيفة شهيرة ، إعلاناً رسمياً بنجاح **هيجو** وانتصار الرومانسية الشابة على الكلاسيكية العتيقة . وتعتبر الفترة من عام ١٨٣٠ م ، إلى عام ١٨٤٣ م ، من الفترات الخصبة في حياة كاتبنا ، تناول خلالها كافة الألوان الأدبية تقريباً . فلقد نشر خلالها أول رواية هامة ، « **أحدب نوتردام** » (١٨٣١ م) ، وأربعة دواوين شعرية ، « **أوراق الخريف** » (١٨٣١ م) ، و « **أغاني الغسق** » (١٨٣٥ م) ، و « **الأصوات الداخلية** » (١٨٣٧ م) ، و « **الشعاع والظلال** » (١٨٤٠ م) ، وقصائد هذه الدواوين تتجاوز بكثير قصائده الأولى ، من حيث الإلهام ، والتأمل ، والتعبير عن مختلف الأحاسيس . وسعى إلى النجاح الشعبي عندما كتب للمسرح دراما شعرية بعنوان « **الملك يلهو** » (١٨٣٢ م) ، وثلاث مسرحيات نثرية ، « **لوكريتشيا بورجيا** » (١٨٣٣ م) ، و « **ماري تودور** » (١٨٣٣ م) ، و « **أنجيلو ، طاغية پادوفا** » (١٨٣٥ م) . وعاد إلى الموضوعات التي تتسم بالسمو والنبل عندما كتب مسرحيته الرائعة « **روي بلاس** » التي تناول فيها قصة حب ، بصفة عامة ، خصص **هيجو** هذه السنوات الثلاث عشرة للعمل الدؤوب ، والإبداع الأدبي الذي لا ينقطع ، في الأثناء التي اختلطت فيها ، في حياته الخاصة ، الظلال والأنوار ، أي الأفراح والأحزان . وعرف العزاء والسلوى في حب إحدى الممثلات التي ظلت وفية له طول العمر ، **جولييت درووية** . ودخل **الأكاديمية الفرنسية** في عام ١٨٤١ م ، وكان دخوله تتويجاً لحياته الأدبية ، كما هو الحال بالنسبة لسائر الكتّاب الذين يدخلونها . وانتهت هذه الفترة القاسية الخصبة بفشل ذريع ومأساة عاشها الكاتب وتركت فيه أعمق الأثر . ففي عام ١٨٤٣ م ، منيت مسرحيته الملحمية « **آل بورجراف** » بفشل ذريع على نفس المسرح الذي سبق أن نجحت عليه « **هرناني** » . وبسقوط هذه المسرحية ، أدار **هيجو** ظهره للمسرح نهائياً . وفي نفس العام ، علم من الصحف أن ابنته **ليوبولدين** ماتت غرقاً ، وهو عائد من إحدى الرحلات . ويبدو أنه حاول بعد ذلك أن يجد في النشاط السياسي شيئاً من العزاء . اشترك بالفعل في الحياة السياسية ، وكانت تغلب عليه دائماً النزعة الليبرالية الإنسانية ، واشتهر بخُطبه عن البؤس والقهر . وفي البداية ، ساند **لوي نابليون بونابرت** عندما رُشّح لرئاسة الجمهورية ، لكنه عارضه عندما حاول الاستيلاء على الحكم ، إثر انقلاب عام ١٨٥٢ م ، الشهير ، وعبثاً حاول هيجو تنظيم الحركة المقاومة للانقلاب . فاضطر إلى الفرار إلى **بلجيكا** ، وأصدر **نابليون الثالث** حكماً بنفيه .

المنفى الجميل

وعاش هيجو في المنفى من عام ١٨٥١ م ، إلى عام ١٨٧٠ م . وكانت هذه الفترة التي عاش خلالها في **جورزيه** أولا ثم في **جزيرة جرنزيه** ، من أخصب حياته . وشعر هو بذلك لدرجة أنه قال : « **كان المنفى بالنسبة لي شيئاً حسناً ، وأشكر القدر عليه** » . كان يعمل طول اليوم في قاعة زجاجية تطل على شواطئ فرنسا ، وإلى جواره زوجته وأولاده . ولم يكف ، طوال تلك الفترة ، عن التنديد بنظام الحكم الجديد ، ورفض العفو الذي منحه له **نابليون الثالث** في عام ١٨٥٩ م ، فلقد كتب ضد « **المغتصب** » على حد قوله نصاً هجائياً (١٨٥٢ م) ، وديوان « **العقوبات** » (١٨٥٣ م) . واتجه إلى كتابة الشعر الفلسفي والهجائي . وفي عام ١٨٥٦ م ، كتب رائعته الغنائية « **التأملات** » ، التي صدرت في آن واحد في **باريس وبروكسل** ، وأتم رواية « **البؤساء** » التي نالت نجاحاً منقطع النظير ، وبدأ يكتب ديوانه الملحمي « **أسطورة العصور** » . وبعد عودته من المنفى في عام ١٨٧٠ م ، انتخب عضواً في **الجمعية الوطنية** ، وعضواً في **مجلس الشيوخ** (١٨٧٦ م) . ثم انسحب تدريجياً من مسرح الحياة السياسية في الوقت الذي واصل فيه

الكتابة ، ولكن بإيقاع أبطأ بكثير من إيقاع السنوات السابقة . وكانت أغلب الأعمال التي نشرت بين عام ١٨٧٠ م ، وعام ١٨٨٥ م ، أعمالا بدأها في المنفى . وجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من مخطوطاته نشر بعد وفاته . **وظل مجده يتأكد ، وأصبحت شهرته عالمية ، وأصبح رمزاً باهراً لأنصار الجمهورية ، وتعددت الاحتفالات به أثناء حياته . وعندما توفي عام ١٨٨٥ م ، قررت الحكومة تشييع جثمانه في جنازة قومية رسمية . ودخل ف . هيجو مجمع الخالدين .**

شرقيات الشاعر الغربي

الحديث عن مؤلفات **ف . هيجو** لا بد وأن يبدأ بديوان « **الشرقيات** » (١٨٢٩ م) . كان الرأي العام الفرنسي قد تأثر **بثورة اليونان** التي كانت تحاول التحرر من السيطرة التركية ، وأدى ذلك إلى مزيد من الاهتمام بالشرق والشرقيات ، في مجالَيّ الأدب والفن . ولنذكر أن الشاعر الإنجليزي **بايرون** مات وهو يحارب مع اليونانيين في ميسولونجي ، عام ١٨٢٤ م . وانتهز **هيجو** هذه الفرصة ليؤكد اعتناقه للأفكار الليبرالية ، ويجدد إلهامه الشعري . لم يكن قد رأى بلداً شرقياً ، لكنه استعاض عن السفر والتجربة الشخصية بقراءة ما كتبه الرحالة ، لا سيما الكتاب الذي عاد به **شاتوبريان** من الشرق وعنوانه « **رحلة من باريس إلى القدس** » . وساعده خياله الخصب على إبداع عالم شرقي براق يزخر بالألوان ، ويزخر بكل الأفكار التي كان الغرب قد كونها عن الشرق ، خاطئة كانت أم صحيحة . وعندما تخيل **هيجو** الشرق ، استوحى ذكرياته عن إسبانيا التي ربطها بالشرق ، لاتصالها وتأثرها بالحضارة العربية والأندلسية .

في مقدمة الديوان ، أكد هيجو على مبدأ الحرية في الفن ، وقال : « **ينتمي كل شيء إلى الفن . ويمكن أن يدخل كل شيء مجال الشعر ، لأن الشاعر حر** » . وطالب بأن يكون الأدب ، ولا سيما الشعر ، متنوعاً ومتبايناً . وبكتابته لهذا الديوان ، أثبت هيجو أن تكنيكه قادر على أن ينافس تكنيك الرسام ، وبالتالي ، فتح الطريق أمام أنصار الفن للفن .

ومن قصائد « **الشرقيات** » ما يذكر الحرب ويتحدث عنها ، مثل القصيدة التي تصف **معركة « نوارين »** البحرية ، وما يصور المناظر الطبيعية اليونانية والضوء الذي يغمرها ، أو سماء غرناطة بسحرها الأخاذ . ويتميّز الديوان عامة بصوره الفنية ، وإيقاعه المتنوع الذي تعتمد عليه قصيدة « **الجن** » مثلاً ، وأبياته الموسيقية :

« كان القمر ساكناً يتلاعب فوق الموجة
أخيراً تحررت النافذة وفُتحت للنسمة
وطلّت السلطانة ، وطرزت أمواج البحر المتكسرة
الجزر الصغيرة السوداء بخيوط الفضة المتدفقة » .

لكن قصائد « **الشرقيات** » لا تكتفي برسم بعض اللوحات التي أوحت بها منطقة البحر الأبيض المتوسط ، كما أنها لا تكوّن كتاباً عن الشعر الخالص ، لأن التغني بالجمال يعني التغني باليونان والدعوة المتحمسة إلى تحريره . فكثيراً ما تستتر فكرة بعينها وراء القطعة الوصفية . في قصيدة « **الطفل** » مثلاً ، لا يطلب الطفل اليوناني ذو العينين الزرقاوين وردة أو ثمرة أو طائراً نادراً ، بل يطلب « **الرصاص والبارود** » . ويتخذ الشاعر من الثورة اليونانية مثالا ليؤكد فكرة ثورة الشعوب الحديثة على الطغيان .

وموضوعات الديوان مأخوذة عن التاريخ والأساطير الشرقية ؛ اختارها الشاعر لقدرتها على الإيحاء ، وتناولها في أبيات تفيض بمشاعر البطولة ، والحماس ، والحب ، والحزن ، وجعل من الشمس والقمر والنور ، شخصيات تلعب دوراً رئيسياً فيها . فهي تذكر الغناء تحت الشرفات والمبارزات في إسبانيا الأندلسية ، والسلاطين ، والقصور ، والحريم ، والمآذن ، والأمراء ، والباشوات ، والمذابح ، والخناجر ، إلخ . . .

هكذا ساعد هيجو على إثارة الاهتمام العام بالشرق ، سواء تمثل في صورة أم في فكرة إلخ . . . وعاشت أجيال من الشعراء على ما أتى به من مفاهيم جديدة وتكنيك مبتكر . وأعلنت « **الشرقيات** » عامة عن القمة التي بلغها هيجو الشاعر فيما بعد .

أما قصائد « **أوراق الخريف** » فتتسم عامة بالنبرة الحزينة الحميمة . وهي مكوّنة ، على حد قول **هيجو** ، من « أبيات كتلك التي يكتبها أو يحلم بها الجميع ، أبيات عن الأسرة ، والحياة الخاصة ، ودخيلة النفس » ، ويشفق فيها الشاعر على المخلوقات العديدة التي تتألم حوله ، ويمجد الإنسان ، ويحدثنا عن فرحه كأب ، مثلما في قصيدة « **عندما يظهر الطفل** » ويتأمل الطبيعة والإنسانية أو قصر الحياة الدنيا . وفي أول قصائد الديوان ، وعنوانها « **كان هذا القرن يبلغ من العمر عامين** » ، يذكر **هيجو** طفولته وأمه ، ويكشف لنا عن سر وحيه وإلهامه :

« ذلك أن الحب ، والقبر ، والمجد ، والحياة ،
والماء المنساب ، الماء الذي يتتابع بلا كلل ،
وأي نفس أو شعاع ، سَعْداً كان أم شؤماً ،
يجعلون نَفْسي البللورية ، نفسي ذات الألف صوت ،
التي وضعها الرب الذي أعبده في مركز العالم ،
كالصدى الرنان ، تلمع وترتجف » .

أزمتان في حياة الشاعر

وتغلب النبرة الحزينة أيضاً على قصائد « **أغاني الغسق** » التي تعكس أزمتين ، أزمة تتعلق بحياة الكاتب الخاصة بعد أن فقد السعادة الزوجية ، وأخرى سياسية . فلقد كان **هيجو**

يحدس أن الملكية لم تعد إلا لفترة مؤقتة. وبالرغم من ذلك، نراه لا يفقد الأمل أبداً.

أما «**الأصوات الداخلية**» التي يسمعها لنا الشاعر، فتتمثل في صوت الإنسان الذي يخاطب القلب، وصوت الطبيعة التي تخاطب النفس، وصوت الأحداث التي تخاطب العقل. فهو يذكر أباه وأخاه وزوجته وأطفاله، وينقل إلينا الرجفة التي تستولي عليه أمام سر الطبيعة، ويحيّي الطبيعة، وفي النهاية، يتأمل الأحداث المعاصرة ومعناها.

ويتسع الأفق أمام الشاعر في «**الشعاع والظلال**». ففي هذا الديوان، يعمق هيجو تفكيره في رسالته الخاصة، ويصبح إلهامه إنسانياً في المقام الأول. ويحتل موضوع وظيفة الشاعر ورسالته المكان الأول في هذا الديوان. فالشاعر يجب أن يكون مرشداً للبشر وهادياً لهم، لأنه يأتي إليهم برسالة حب: «**الإحسان إلى الفقراء، والتعاطف مع البؤساء، والإشفاق على المرأة، والمحافظة على كرامة الإنسان**»، ورسالة عدل، إذ إن من حقه أن ينقد قوانين البشر.

مذكرات نفس بشرية

ويعتبر ديوان «**التأملات**» «**مذكرات نفس بشرية**»، كما يقول **فيكتور هيجو**. فهو يرسم فيه مسيرته المعنوية والنفسية خلال ربع قرن تقريباً، ويُجري فيه حواراً بين الأمس واليوم، وموت ابنته هو الموضوع الذي يسيطر على هذا الديوان، ويعطيه معناه ويفسر الطريقة التي تنتظم بها قصائده. وأهم هذه القصائد هي تلك التي أوحى بها ألم الأب الحزين، وذكرى الأيام الحلوة الماضية، والإحساس بأن الابنة التي راحت لا تزال حية. فلقد علّم الألم الشاعر معنى التعاطف مع البشر، وجعل منه أخاً لكل من يتألم. فنحن نراه يعبّر عن المشاعر الإنسانية الكبرى في قصائد عديدة كتلك التي سماها «**في فلكييه**»، ويشير عنوانها إلى المكان الذي غرقت فيه الابنة المحبوبة:



«الآن، بعد أن خرجت شاحباً ومنتصراً
من هذا الحزن الذي جعل الظلام
يسيطر على روحي، وشعرت بسكون
الطبيعة الكبرى ينفذ إلى قلبي،

الآن، بعد أن استطعت أن أبحث
في نفسي عن الحقائق العميقة وأنا جالس
على شاطئ المياه، متأثراً بهذا
الأفق الهادئ وناظراً إلى الزهور بين
الحشائش

الآن، يا إلهي، بعد أن استولى عليّ
هذا السكون المظلم، واستطعت أن أرى
بعيني رأسي ذلك الحجر الذي أعلم أنها
تنام فيه في الظلمة إلى الأبد،

آت إليك يا إلهي، وأعترف بأنك رؤوف
رحيم، طيب، حي، وأسلّم بأنك وحدك
تعرف ما تأمر به، وبأن الإنسان
ما هو إلا قشة في مهب الريح».

النزعة الملحمية

وحلم **ف. هيجو**، كما حلم كل الشعراء الرومانسيين، ببعث الملحمة وإحيائها. فلقد ظهرت عنده النزعة الملحمية في فترة مبكرة من حياته، وتطورت إلى أن أصبحت رؤية مبتكرة للعالم، وانتصرت نهائياً في ديوان «**أسطورة العصور**». وهذا الديوان ملحمة إنسانية هائلة، أراد الشاعر أن «يعبّر فيها عن الإنسانية، وأن يصور كل جوانبها في وقت واحد، التاريخ، والأساطير، والفلسفة، والدين، والعلم... وأن يبرز فيها ذلك الوجه العظيم الواحد المتعدد، المشع، الحزين، المقدس، وجه الإنسان». هذا، ولا تعتمد «**أسطورة العصور**» على نص واحد متصل، وإنما تضم عدداً كبيراً من المقطوعات. وإذ نهج **هيجو** هذا النهج، تغلب على إحدى العقبات التي اصطدمت بها كل محاولات كتابة الملحمة الحديثة. وتربط بين هذه القصائد الملحمية الصغيرة حركة جماعية تصعد إلى النور، ونلمس من خلالها تفتح الجنس البشري من عصر إلى عصر، وانتقال الإنسان من الظلمات إلى الحرية. وإذا كان الشاعر يسترجع بعض الوقائع التاريخية، فمن المؤكد أن خياله يحولها تحولا تاماً، لأنه كما يقول «**يستمع إلى التاريخ عند أبواب الأسطورة**».

شاعر البؤساء

وإذا تطرقنا في حديثنا إلى **ف. هيجو** الكاتب الروائي، ذكرنا بلا شك «**أحدب نوتردام**» و«**البؤساء**»، لأن هاتين الروايتين اكتسبتا شهرة عالمية، وترجمتا إلى كل اللغات تقريباً، ومن بينها العربية. فضلاً عن أن فنون القرن العشرين الميلادي، من سينما إلى تلفزيون، بالإضافة إلى الفنون التقليدية كالمسرح والأوبرا والأوبريت، قد تناولتها بالمعالجة أكثر من مرة، وبأشكال مختلفة.

ورواية «**أحدب نوتردام**» (١٨٣١م)، رواية رومانسية يبعث فيها الكاتب العصور الوسطى بجوها الساحر، وتدور أحداثها حول شخصية محورية هي **كاتدرائية نوتردام دي باري**.

وكان **هيجو** قد فكّر في الموضوع طويلاً قبل كتابة الرواية، وزار الكاتدرائية عدة مرات، وقرأ عنها كثيراً. وجدير بالذكر أن الرواية التاريخية كانت شائعة آنذاك، وأن الكاتب اتفق مع تقاليدها كل الاتفاق عندما كتب روايته، في الوقت الذي أعطى فيه هذه

الأخيرة بعداً فلسفياً خاصاً، عندما جعل القدر يسيطر على أحداثها ويفضي بشخصياتها إلى القتل والموت، كما كان الحال عند الأقدمين.

البطلة **أزميرلدا** فتاة غجرية شابة، متعالية وصامتة، تكسب قوتها من الرقص والتنجيم. وهي محبوبة من الجميع، لا سيا قس الكاتدرائية **وكازيمودو**، قارع الأجراس الأحدب المشوه. ومن أبطال الرواية أيضاً الحي الذي تقع فيه الكاتدرائية، ويتجمع ويعيش فيه الشحاذون، والعجزة، والسحرة، واللصوص، والطلبة، إلخ... الذين يعيشون على هامش المجتمع ويكونون مجتمعاً كاملاً فيه كل الفئات والطبقات. ويحب الجميع **أزميرلدا**، أما هي فتحب الضابط الذي خلصها لما حاول الأحدب أن يخطفها. ويُقتل الضابط بطعنة من خنجر القس الذي يغار على الفتاة. وتُتهم الفتاة بالقتل، وتترك لمصيرها، ويُحكم عليها بالإعدام. لكن الأحدب ينقذها ويقتادها إلى مأواه، أي إلى برج الأجراس في الكاتدرائية، حيث عالم الخيال الذي تؤمه التماثيل الغوطية المخيفة. وسرعان ما يأتي سكان الحي لتحريرها. لكن الأحدب لا يفهم ما يريدون، ويقذفهم بالحجارة في الأثناء التي يختطف فيها القس الفتاة. ويعهد القس بها إلى امرأة سرعان ما تكتشف أن **أزميرلدا** ليست سوى ابنتها التي فقدتها وهي صغيرة. ويأتي الحرس لاقتياد المحكوم عليها التي يشهد كل من **الأحدب والقس** مقتلها من أعلى الكاتدرائية. ويُلقي الأحدب القس من أعلى البرج، ويموت وهو يحتضن جثة **أزميرلدا**.

يتضح من أحداث الرواية أن النغمة التشاؤمية والقسوة تغلبان عليها. ومع ذلك، رسخت هذه الرواية في الأذهان، لأسباب عديدة، لعل أهمها أن الكاتب عرف كيف يجسد ما أوحى به خياله، ويبعث الحياة في الرموز، ويفرض رؤيته الشخصية للأحداث والشخصيات، ويصف بقدرة بالغة باريس العصور الوسطى، بشوارعها وسكانها، ولا سيا الكاتدرائية والفناء الكائن أمامها. والشخصيات أنماط أكثر منها شخصيات من لحم ودم، لم يأبه الكاتب عندما صورها بتماسكها أو سيكولوجيتها الفردية. ومع ذلك، نراها تكوّن مجموعة براقة للغاية. فنحن نجد بينها الشرير والمهرج والفتى الأول، والفتاة المغلوبة على أمرها. **والبطل الحقيقي للرواية هو الكاتدرائية بتماثيلها وجدرانها، وزجاجها الملون**. ولقد برع الكاتب في تحويل معمارها إلى نص أدبي رائع. وجدير بالذكر أن العصر الوسيط الذي يبعثه **هيجو** في «**أحدب نوتردام**» لا شأن له بالواقع التاريخي، وأحداثها، وإن كانت تبدو تاريخية، ميلودرامية في المقام الأول. فلقد جمع الكاتب فيها ما يُضحك وما يُبكي، لا سيا في شخصية الأحدب المشوه جسمانياً والنبيل نفسياً، وأعاد تشكيلها كلية بفضل خياله الخصب المبدع.

ولا شك أن موضوع «**البؤساء**» معروف بحيث لا نحتاج إلى الحديث عنه، ونكتفي بإبراز ما فيه من مضامين إنسانية. جاءت هذه الرواية نتيجة لاتجاه **هيجو** تدريجياً إلى الأخوة الإنسانية والتقدم الاجتماعي، وتسيطر عليها رسالة إنسانية بعينها، ويغلب عليها الطابع الملحمي. هذه الرواية الضخمة الغنية رواية اجتماعية أولا. يقول الكاتب: «**توجد نقطة يختلط عندها الفقراء بالأدنياء ويطلق عليهم اسم واحد: البؤساء. والغلطة غلطة من؟**»، ويجيب قائلاً إنها غلطة البؤس، والظلم، واللامبالاة، وأحياناً غلطة نظام قمعي لا يرحم. والتعليم والعدالة الاجتماعية هما اللذان يحولان، في رأيه، دون تحول الفقراء إلى أدنياء. ولا ييأس **هيجو** من إنقاذ البشر بالحب والصبر، حتى لو كانوا من المجرمين العتاة. و«**البؤساء**» رواية ملحمية أيضاً، ترسم صوراً **لمعركة واترلو، ومجاري باريس**، ونفس بشرية تبدأ بالإجرام، ثم تلق معاملة حسنة، فتتحول إلى الطيبة والعمل، وإنكار الذات، بل والقدسية الحقة.

لكن «**البؤساء**» ليست مجرد قصة ميلودرامية يرد فيها الكاتب الاعتبار إلى مجرم راح ضحية للمجتمع. ذلك أن **جان فالجان** البطل خيط يربط بين الأحداث ويرمز إلى شخصية حية حقاً. فهو ينتقل من أقصى الانحطاط إلى أقصى النبل. وإلى جانبه، تقف شخصية جماعية، شعب باريس الذي يصور الكاتب شقاءه وأمجاده، بحرارة وحماس يجيد نقلها إلينا. ويجمع **هيجو** في هذه الرواية كل العناصر التي ترسم صورة الإنسانية بعذابها، وبؤسها، وعظمتها. وبانتمائها إليها، تؤثر الشخصيات فينا وتأسرنا. وإذا نظرنا إليها كشخصيات فردية، وجدنا أنها لا تخلو من الزيف والتصنع، وأنها تفتقر إلى الدراسة النفسية المتعمقة، شأنها في ذلك شأن البطل تماماً. فهي ترمز إما إلى الخير أو إلى الشر، ولا تعرف مكاناً وسطاً بينهما. ولا يرى **هيجو** الخير إلا في تكفير البطل عن ذنبه، ويعتبر الشر نوعاً من الحتمية الاجتماعية، ولا يؤمن بأن انتصار الخير سيكون نتيجة لانتصار الفرد، بل سيكون نتيجة لانتصار الإنسانية جمعاء. وهذه الآراء هي التي تجعل من «**البؤساء**» مأساة حقيقية، وتمنحها تماسكها ووحدتها. ولأن هذه الرواية تصور الواقع، ظلت حية، وتركت بصماتها على تطور الرواية الفرنسية. وإذا كانت تصور الشعب فهي أيضاً رواية الشعب لم يأفل نجمها حتى الآن.

تلك بعض لمحات عن فيكتور هيجو الكاتب العملاق الذي خلف كمّاً هائلاً من المؤلفات التي تحتاج الكتابة عنها إلى مجلدات كاملة. ومهما اختلفت الآراء فيه، سيظل رمزاً للفنان الذي أجزل العطاء لا لبلده فحسب وإنما للإنسانية جمعاء.

الهوامش

(١) المجلة: طالع العدد (١٠١) من مجلة «الفيصل»، الصادر في ذي القعدة ١٤٠٥هـ، الموافق آب (أغسطس) ١٩٨٥م، طالع دراسة موسعة بعنوان «فيكتور هيجو.. فناناً تشكيلياً» مصحوبة بنماذج من رسوماته.



جحا ونوادره في

يوصف جحا ومن يتشابه معه من شخصيات كثيرة في بلدان متعددة في مشارق الأرض ومغاربها بأنه ذلك الشخص اللاهي الساخر من الناس صاحب « الحداقة » واللباقة وسرعة التصرف والذكاء الخارق . هذا ، إلى جانب البراعة في الخروج بسهولة من الورطات العسيرة والمواقف الحرجة ، كلها صفات تتجمع في هذه الشخصية ويتحقق من خلالها أهداف سامية طالما يتمنى الإنسان لها أن تسود على مر العصور والأزمان ، إنها انتصار الحق على الباطل ، والضعيف على الباطش ، والفقير على الغني ، والشعب الآمن على الحاكم المستبد ، وما شابه ذلك من مبادئ إنسانية كثيرة .

وطريق البحث للوقوف على حقيقة وجود هذه الشخصية في الحياة ، هو طريق وعر للغاية ، حيث تضاربت في شأن هذه الشخصية أقوال أهل العلم في الشرق والغرب ، ولكن أيسر السبل المؤدية إليه هو ما يقال عنها إنها شخصية عُرفت عند **الفرس** باسم **« مولا نصر الدين »** ، وعند **الترك** باسم **« نصر الدين خوجه »** ، الذي يعده بعض الباحثين جحا العربي ، وقيل عنه إنه من مواليد عام ١٢٠٩ م ، بإحدى قرى ولاية **الأناضول** وتوفي عام ١٢٨٥ م ، تقريباً وإن قبره هناك نادر الشكل كنوادره تماماً ، فهو عبارة عن قطعة أرض مستوية يتعالى من باطنها باب خشبي ليس إلا . . . وما يدعو إلى الدهشة هو أننا نجد تشابهاً لشخصية جحا في بلدان كثيرة من العالم ، ففي **إيطاليا** مثلاً يعرف باسم **جيوكا** أو جيوفا ، وعرفه **المالطيون** باسم **جاهان** ، ويتلمسه المرء في **إسبانيا** في شخصية **مورتاديللو** ، وفي **فرنسا** في شخصية **مادريوس** ، وفي **ألمانيا** بشخصية **تيل أويلنشبيجل** .

جحا الألماني

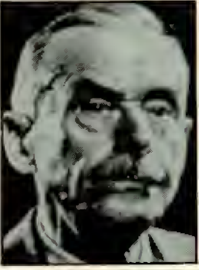
وعندما اندحرت فترة الأدب الفروسي في ألمانيا التي كان يُطلق عليها فترة الازدهار الأول للأدب الألماني تولت الطبقة البورجوازية زمام الأمور الثقافية والحضارية والأدبية غير أن هذه الطبقة لم تستطع أن تحافظ على هذا الإرث الأدبي والحضاري ، ولكنها بذلت جهداً يستحق كل تقدير في الحيلولة دون زواله . وفي خضم هذه الجهود اتجه الاهتمام إلى الكتب الشعبية ، فظهر إلى حيِّز الوجود كتب شعبية مثل **« تيل أويلنشبيجل »** و **« الناس البسطاء »** ، ذلك الذي يعرض نوعية من البشر بلغت بهم السذاجة إلى حد الجنون فيحكى عنهم مثلاً إنهم قاموا ببناء دار للبلدية ونسوا عمل نوافذ له فاضطروا إلى جمع الضوء في أجولة لملء الدار بها ، كما زرعوا الملح كي يعود عليهم بمحصول أكبر ، كما ظهرت أيضاً في القرن السادس عشر الميلادي ، **« قصة الدكتور فاوست »** ، تلك الشخصية الأسطورية التي وقع في مجال جاذبيتها كثير من الشعراء والفنانين من الألمان وغير الألمان ، أمثال **مارلوف وليسينج وجوته وهاينه وتوماس مان** . هذا ، ولقد سميت هذه الكتب بالكتب الشعبية لأنها وجدت انتشاراً واسعاً وسط طبقات الشعب ، حيث كانت تقرأ بشراهة ويسعى كل فرد إلى اقتنائها . وشخصية تيل أويلنشبيجل سبقتها شخصية أخرى كانت تدعى **« بفافن أميس »** ، وفي القرن الخامس عشر الميلادي ، ضحك المرء على أفعال ونوادر « بفافن فون كالينبرج » وعلى نوادر وقفشات تيل أويلنشبيجل الذي تربع بعد ذلك بمفرده على عرش النكتة والنادرة الشعبية الألمانية الهادفة .

ومنذ حوالي خمسمائة عام ، تم للمرة الأولى على الأرض الألمانية ، تدوين نوادر أويلنشبيجل المرحة ونشرها على هيئة كتاب ، تم فيه استعراض حياته منذ ولادته حتى وفاته ، بالإضافة إلى نوادره التي تكشف عن مواطن الضعف وشرور المجتمع بطريقة مرحة جريئة لاذعة ساخرة .

وربما أن الطبعة الأولى من هذا الكتاب يرجع تاريخها إلى عام ١٤٧٨ م ، والطبعة الثانية إلى عام ١٥٠٠ م ، أما الطبعة الثالثة فيرجع تاريخها إلى عام ١٥١٥ م ، هذا وتُعد كتب أويلنشبيجل من باكورات الكتب التي طبعت على الإطلاق باللغة الألمانية حيث كانت المؤلفات حتى ذلك الحين تصدر باللغة اللاتينية ، ومما يدعو إلى الأسف أنه لم يتم العثور من طبعات نوادر أويلنشبيجل إلا على نسخة فريدة من ذلك الكتاب الذي صدر عام ١٥١٥ م ، موجودة حالياً في المتحف البريطاني في لندن الذي يضم أضخم مجموعة من روائع الكتب والأعمال الفنية ، ومع مرور الزمن كانت تصدر تباعاً طبعات جديدة على يد كثيرين أمثال : **توماس مورنر** (١٥١٢ م) ، **وهانس زاكس** (١٥٥٣ م) ، **ويوهان فيشرت** الذي صاغ مادة أويلنشبيجل في قالب شعري جديد . هذا ، بالإضافة إلى طبعات على يد كل من **تشارلز دي كوستر** (١٨٤٣ م) ، **ونيستروي** (١٨٤٥ م) ، **وفيديكند** (١٩١٦ م) ، **وجيرهارد هاوبتمان** (١٩٢٧ م) ، **وفايزنهورن** وآخرين . وإن ذلك يؤكد مدى الإعجاب بهذه النوادر حتى أنه قد تم ترجمتها أيضاً إلى معظم اللغات الأوروبية ،

الأدب الألماني

بقلم: د. أحمد كامل عبدالرحيم


★ توماس مان ★


★ ليسينج ★

وبذلك وجد كتاب تيل أويلنشبيجل اهتماماً كبيراً ليس في ألمانيا فقط، ولكن في معظم أنحاء أوروبا، وأصبح إسهاماً له دوره في إثراء **الأدب العالمي**.

سيرته وصفاته

ويقال عن تيل أويلنشبيجل إنه رجل قروي مهرج من سكان شمال ألمانيا، ومن مواليد قرية **كنايتلنجن** بالقرب من منطقة **براونشفايج**، وإنه عاش في القرن الرابع عشر الميلادي، حيث ولد في حوالي عام ١٣٠٠ م، وتوفي في حوالي عام ١٣٥٠ م، ويُشار إلى قبره في قرية **مولن** جنوب مدينة **ليوبيك** بمقاطعة **شليزفيج هولشتاين** بألمانيا الغربية، وهو قبر تجاوره شجرة من أشجار الزيزفون يقوم العاشقون لنوادره والزائرون لقبره بدق مسمار في جذع هذه الشجرة كتقليد لإحياء ذكراه، ولا شك أن هذا القروي اللاهي الساخر لم يكن يدعى « أويلنشبيجل »، بل إن هذا الاسم ربما جاء على أساس الاعتقاد السائد آنذاك بأن الإنسان يتخيل نفسه في المرآة « شبيجل » في صورة قرد أو بومة عندما يشعر أنه ارتكب حماقة من الحماقات فيسمى « أويلنشبيجل » أي مرآة البومة، أو « أفنشبيجل » أي مرآة القرد.

وفي جنوب ألمانيا، لم يكن كتاب أويلنشبيجل معروفاً على الإطلاق حيث احتلت مكانه شخصية أخرى تحمل اسم « **بوخارت** » حتى قبيل منتصف القرن السادس عشر الميلادي. هذا، ويستمر الجدل حول حقيقة وجود مثل هذه الشخصية ومثل هذا الاسم حيث يقال أيضاً إن مصدر الاسم مشكوك فيه، فالاسم يُفهم غالباً على أنه اسم هزلي يقرأ بلهجة المنطقة المنخفضة من ألمانيا « أولنشبيجل »، وكلمة « **أولن** » تعني يكنس أو ينظف، وغالباً ما تعني كلمة « شبيجل » بمؤخرة الحيوانات ومن الجائز تماماً أنه كان يوجد صبي شاب متجول من أصل ريفي يتنقل من منطقة إلى أخرى ساخراً من الناس، وكانت مواقفه المرحة ونوادره تُحكى من بعده في الحانات والأسواق وفي بيوتات البسطاء من الناس، حيث يتكرر سردها تباعاً وسرعان ما كان يتضح للمستمع أن هذه القصص القصيرة المرحة والنوادر اللطيفة تحمل في طياتها مفهوماً عميقاً على الرغم من درجة مزاحها، فهي تهتم بهموم وأماني وبأفراح وأتراح الشعب المسكين، مما يؤكد أن أويلنشبيجل نفسه ينتمي إلى طبقات الشعب البسيطة، فكان يدخل في أعماقها ويحس بمشاعرها، كما كان يوجه سخريته المؤثرة أيضاً ضد الأقوياء والأغنياء الذين لا يأبهون بمعاناة الفقراء، ويتضح ذلك على سبيل المثال في النادرة « كيف عمل أويلنشبيجل في وظيفة نافخ في النفير لدى أمير آنهالت »، حيث كان هناك في ذلك الوقت مزيد من الجرأة لتوجيه النقد إلى الحكام الذين كانوا يستغلون سلطتهم بدون حدود ودون مراعاة لأي قيم إنسانية.

وكانت نوادر أويلنشبيجل لا تأبه إطلاقاً بالمفهوم الساذج السائد آنذاك هناك لدى الكثير من الناس الذي يفيد بأن مثل هؤلاء الحكام الأقوياء الباطشين هم الحاكمون بأمر الله على أرضه وأن على المرء أن يطيعهم طاعة عمياء، فكان أويلنشبيجل يصل بنوادره إلى التعبير عن أن مثل هؤلاء من ذوي السلطة العمياء لا يستحقون أدنى تقدير، بل إن هذا التقدير من حق أولئك الشرفاء الكادحين البسطاء، وكان أويلنشبيجل يظهر في كل نوادره على أنه هو نفسه لا يمتلك في حياته سوى قدرته البارعة في الحكم على الأمور، إلى جانب فطنته وبصيرته وأنه المنتصر الساخر من الآخرين، فكان الشعب الذي يردد نوادره ويضيف إليها المزيد يرى فيه تعبيراً عن رغباته وأمنياته وطموحه وتطلعاته.

تأثيره في الحياة والأدب

وفي ذلك الوقت الذي نشأت فيه نوادر تيل أويلنشبيجل قامت ثورات، وانتفاضات لطبقات الشعب المطحونة في الريف والحضر ضد الحكام المستبدين، فكان فكر تلك الطبقات الشعبية انعكاساً لفكر وآداء أويلنشبيجل. وفي الوقت الذي كان يطالب فيه حكامه بالعدالة والاعتدال والأمانة والتواضع كان يطالب أيضاً فئاته بالتحلي بمثل هذه الصفات الحميدة، وانطلاقاً من هذا الاتجاه كان تيل أويلنشبيجل يسخر من غباء وضعف شخصية كل فئات الشعب على حد سواء، ويتبيّن ذلك بوضوح على سبيل المثال في نادرته التي بعنوان « كيف مارس تيل أويلنشبيجل مهنة الفلاح »، نجده يطالب الناس أن يراجعوا أخطاءهم الشخصية وأخطاء من حولهم ويشجعهم بذلك على عدم الاستسلام للظلم ومساوئ المجتمع وشروره، بل وعلى التصدي لها.

لقد كانت نوادر ومزح تيل أويلنشبيجل الساخرة الجارحة انعكاس لمزح ومرح فئات الشعب المختلفة، وما يسترعي الانتباه هو أنه كان يستخدم أيضاً اللغة البسيطة السلسة التي يستخدمها الشعب وغالباً ما

جحا ونوادره في الأدب الألماني

كان يبتدع مواقف هزلية يؤكد فيها لأول وهلة حرفية ما يقوله من كلام في حين أنه لا يعطي لهذه الحرفية أي وزن ، كان يبتدع ذلك عن عمد بهدف الإيضاح إلى أن العبرة ليست بالكلمة المجردة ، ولكن بمفهومها الصحيح ، كما كان يعبِّر بطريقة هزلية عن مواقف حكيمة وجادة للغاية انطلاقاً من مبادئ سامية دون أن تكون لديه أية نية إلى تحقيق أية ميزات أو ثروات لنفسه من خلال هذا المزح .

وعلى النقيض من القصة الخيالية التي ينسج فيها الإنسان عالماً سحرياً ، فإن النادرة تحكى بطريقة مليئة بالمزح ، وغالباً ما يكون مزاحاً فاضحاً عن مواقف من الحياة اليومية للشعب تصل فيها الأحداث إلى ذروتها بشكل سريع جداً ، ثم يحدث تحول مفاجئ للغاية في طبيعة هذه الأحداث . . . هذا ولقد ظل الشعب يحب هذا النوع من القصص القصيرة والمرحة يحكيها ويرددها من جديد مع إحداث تغيير فيها أو تطويرها ، وهكذا حتى نجد أنفسنا لم نعد نعرف من الذي حكى هذه القصص وتلك النوادر . وبقي الرواة كما هو الحال بالنسبة لنوادر أويلنشبيجل غير معروفين ، كما ظهر أيضاً لأول مرة أدباء قاموا بجمعها وتسجيلها أو قاموا بتأليف ما يشابهها ، وظهرت مجموعات مختلفة من هذه النوادر القصيرة الممتعة والمسلية ، التي غالباً ما تكون هادفة ، ومن أشهر مجموعات النوادر تلك التي ظهرت في كتاب بعنوان « **كتيب العربة اللوري** » نشره **يورج فيكرام** (١٥٠٠ ــ ١٥٦٠ م) ، حيث كانت تتميَّز نوادره بطابع القص المرح وتصوير واقع الحياة بطريقة ساخرة مع عدم إغفال الجانب الأخلاقي الهادف ، وتضم نوادره على سبيل المثال قصة الفارس الذي سمح لكلبه أن ينام معه في سريره ، وقصة اثنين من الفلاحين ذهبا سوياً للاشتراك في الحرب .

ولا شك أن هذه النوادر تتعرض لجوانب تاريخية من حياة الشعوب ، فهي وسيلة أيضاً للتعرف من خلالها بطريقة مرحة وساخرة وسهلة على أساليب حياة الناس في العصور المختلفة ، وعلى كل ما يضحكهم ويبكيهم وما هي آمالهم وهمومهم . ومنذ ذلك التاريخ وتلك النشأة الأولى لهذا النوع القصصي المرح ، لا تزال النادرة نوعاً محبباً من أدب التسلية الجيد ينعم به الكبار والصغار .

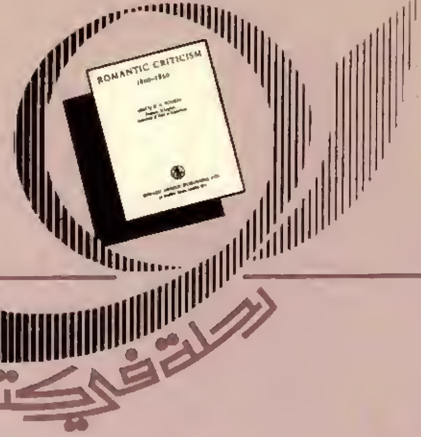
أدباء النوادر

ومن أشهر أدباء النوادر الذين ظهروا فيما بعد على الأرض الألمانية ، نذكر على سبيل المثال **يوهان بيتر هيبيل** (١٧٦٠ ــ ١٨٢٦ م) ، الذي وصف بأنه ذلك الكاتب والأديب الشعبي ، الذي كان صديقاً صادقاً للشعب الذي عرفه وأحبّه ، وجرس جهده لإدخال البهجة والسعادة والرضى عليه . هذا ، ولم تقتصر جهود هيبيل على نشر النوادر فقط ، التي كان الشعب الألماني يرويها ويرددها دون أن يعرف مصدرها أو مؤلفها ، بل قام أيضاً بنشر مجموعات النوادر المعروفة المصدر والكاتب ، مثل مجموعة نوادر « كتيب العربة اللوري » لمؤلفها يورج فيكرام السالف الذكر .

هذا ، ولا يزال الشعب الألماني حتى يومه هذا يقرأ « **صندوق كنز الأصدقاء من منطقة الراين** » وهي مجموعة نوادر ليست من نسج خياله ، ولكنها مقتبسة من مصادر أخرى حيث كان هيبيل متأثراً بالكاتب الإيطالي المعروف **جيوفاني بوكاتشيو** صاحب العمل المشهور « **دي كاميرونه** » ، ذلك العمل القصصي الذي يضم مائة نادرة تحكى على غرار ألف ليلة وليلة ، ويغلب على الكثير منها الطابع الشرقي والخلفية الشرقية ، نذكر على سبيل المثال تلك النادرة ذات المصدر الشرقي وهي **قصة مُولا نصر الدين وابنه وحماره** المعروفة في النواد الألمانية والمنسوبة إلى جحا الألماني « تيل أويلنشبيجل » بعنوان « **ركوب غريب** » وهي القصة التي واجه فيها مولا نصر الدين نقداً على كل تصرفاته ، رغم أنه كان يستجيب في كل مرة لنقد الآخرين له ، عندما نقده الناس وهو يركب الحمار وابنه يسير إلى جواره ، وعندما ركب ابنه الحمار وسار هو إلى جواره ، وعندما ركب الاثنان وعندما اضطر الأب والابن ، نتيجة لاستمرار النقد ، إلى حمل الحمار وعدم الركوب عليه ، وكيف أن مولا نصر الدين قد استجاب لهذا النقد كي يلقن درساً لابنه الذي اعتاد عدم الانصياع لأوامره . ولكي يبيّن له عاقبة من يلقي سمعاً إلى أقاويل الناس .

وفي الحقيقة إننا لو أمعنا النظر في كل هذه القصص المرحة والنوادر اللطيفة لازداد يقيننا بأننا لا زلنا لم نتغلب بعد على بعض مواطن الضعف الإنساني ، التي تسخر منها فعلاً هذه النوادر القديمة ، ولذلك فهي لا تزال بمثابة دافع لنا كي نعيد التفكير في سلوكنا وسلوك من حولنا ، فهي تساعدنا على التعرف على أخطائنا والتغلب عليها ، فهي لا تزال بالنسبة للكبار والصغار مصدر القيم والصفات الحميدة والأخلاق الكريمة في النفوس .

★ ★ ★



رحلة في كتاب

تأليف : ر. أ. فوكس
عرض وتقديم : د. أحمد كمال زكي

النقد الرومانسي «١٨٠٠ – ١٨٥٠م»

في سلسلة أرنولدز الإنجليزية ، يقدم جيمس سذرلند James Sutherland أستاذ الأدب الحديث بجامعة لندن ، هذا الكتاب الذي طبع لأول مرة سنة ١٩٦٨م ، لأحد أساتذة الإنجليزية بجامعة كِنْت Kent في كنتربري ، هو فوكس R.A. Foukes .

وقد لاحظ فوكس – فيما أثبته في مقدمة الكتاب – أن بعض الكتب النقدية الممتازة التي كتبها أعلام الرومانسية لا تزال دفينة الدوريات ، وبعضها تائه في المختارات المطبوعة ، وقلة منها شُهرت في طبعاتها الرخيصة .

ولم يذكر – والأمر في ذلك مرجعه إلى ظنه أن الآخرين في مثل إحاطته بأدب الرومانسيين ونقدهم – أن القضية أبعد من ذلك ، وأن الذين اختاروا قبله للرومانسيين والذين كتبوا عنهم لم يصدروا عن مفاهيم واحدة أو متقاربة للرومانسية ، فيما كانت أنواعها – وقد صوحب كل نوع بتعريف أو أكثر – تبلغ عدد الآخذين بها . ومن ثم جاز أن نقبل ما قالته ليليان فرست Lillian R. Furst في هذا المضمار : «تبدو صعوبة الاقتراب من الرومانسية لا في اختيار أحد التعريفات ، وإنما في اختيار الطريق داخل متاهة التعريفات» .

وبطبيعة الحال لا يحسب هنا حساب المصطلح ، تاريخ نشأته وتطوره . . فالاتفاق معقود على أن الرومانسية صفة من الاسم **رومانس** Romance والنسبة إليه **رومانتيك** Romantic بقلب ما ينطق سيناً ce إلى تاء ، والرومانسية مصطلحاً Romanticism هي التي اشتجر الخلاف فيما تعنيه وما تدل عليه بدقة ، حتى إنها صارت دلالة على الصفات التالية :

واقعي ولا واقعي
غامض وواضح
نمطيّ ولا نمطي
محافظ وثوري
مرح وكئيب
مثالي ومادي

إلى غير ذلك مما نحتاج إلى مراجعته بدقة في النصوص الأدبية التي صدر عنها أغلب الرومانسيين ، لنرى تلك البلبلة التناقضية من ناحية ، ولنسأل من ناحية ثانية هل قول **جوته** الألماني : « **إن الرومانسية مرض بقدر ما تكون الكلاسية صحة** » ، مما يدخل في تلك التناقضية ؟ .

ومن هنا كانت أهمية الكتاب الذي نعرضه ، ولعله أن يكون إحدى الوسائل المتاحة لمعرفة **أسس النظرية الرومانسية وتطوراتها** ، دون أن نطمع في أن يصير قريناً **لكتاب « المرآة والمصباح »** ، الذي أصْدَرَه **أبرامز** M. Abrams عام ١٩٥٣م ، مستوعباً تقاليد النقد عند الرومانسيين ! .

على أن تأثير تلك التقاليد النقدية لا يزال ملازماً لنا – فيما يقول فوكس في مقدمة كتابه – مثلما كانت طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، في إعلان صريح للعقلانية والكلاسية الجديدة ، باذلة الولاء للفن حين يكون ذاتياً خاصاً أو حين يجيش بالمشاعر بقدر ما هو عضوي ، وإن يرفض وجهة النظر القائلة بموضوعيته من حيث هو انعكاس للواقع الخارجي .

ولْنُضِف إلى ذلك إعلاءَ شأن الخيال على حساب الفهم ، وتقدير اللاشعور من حيث هو معارض لطاقات العقل الواعية ، وجَعْل الرؤى في مقام أرفع من طاقات الأديب الفنية .

وفي الشعر بخاصة ، ظهر أن **القصيدة** Poem كانت أسمى الأشكال


★ وردزورث ★



الأدبية ، بل اعتبر الشعر حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، الأدب كلّه ، مع أن واحداً **كستورات ميل** John Stuart Mill كان يرى أن **الرواية** novel منافس خطير له ، وأن كثيراً من أرق القصائد إنما جاء على شكل قصصي ، وثمة شعر في أغلب الروايات الجيدة .

ومهما يكن من شيء فقد دأب كثير من النقّاد ــ في الحقيقة ــ على الاتجاه نحو الشعر وهم يعرضون للأدب بوجه عام . . حتى في المسرح الشعري ، وكان لا بُدّ للرواية التي بدأت تشدّ إليها الكُتّاب منذ عام ١٨٥٠ م ، تقريباً لكي تبلغ الذروة أن تنتظر قليلاً أو كثيراً .

ولقد وضع **وردزورث** في مقدمته للمجموعة « **أقاصيص غنائية** » Lyrical Ballads التي شاركه فيها صديقه **كوليردج** مفهوماً للشعر من حيث هو تعبير عن الشعور ــ وإن يكن ميل قد ذكر أنه هو الشعور ــ ولم يجمع على ذلك النقّاد . وبالقدر نفسه رفضوا بنحو أو بآخر تفرقة كوليردج بين قوى الخيال والوهم في الشعر ، فتولوا التغيير وقدموا المثير ، بينما كان الشعراء الرومانسيون ــ من أمثال **بليك وبايرون وكيتس وشيللي** ــ يستقون قواعدهم من **المواويل** Ballads ، والملاحم Epics ، **والمسرحية Drama الشعرية** ونحوها ، ولقد صادفتهم صعوبات شتى في تطويع تلك الأشكال ــ أو الأنواع ــ لمضامينهم الحديثة ! .

ولوحظ بعامة أن هؤلاء الشعراء ــ ومن لفّ لفّهم ــ ارتفعوا بالغنائية على نحو اتفق والرغبة السائدة في الدفاع عن الشعر ، وإن يكن تحول شيئاً عن النظرة التعبيرية التي حددها وردزورث واعترض عليها كوليردج في « **سيرة أدبية** » Biographia Literaria الذي أصدره سنة ١٨١٧ م ، وسيظل الاعتراض قائماً حتى اليوم .

ويبقى المنهج الذي سار عليه فوكس في تكوين فصول كتابه من المادة التي اختارها .

إنه يقتطع تلك المادة من أهم نتاجات العصر الرومانسي ، ويقدمها بمقدمة موجزة تحدد أبرز القضايا في كل مادة ــ وكأنها تلخيص ــ وعلى الرغم من أن النقّاد الذين جعلهم يَمْثُلون أمامنا ، يبدأون من فروض متشابهة عن طبيعة الشعر ، نراهم يتباعدون في مراحل سيرهم . . فيكشفون عن تطوّرات مهمة في الأفكار التي تدور حول أثر الشعر ووظيفته ومجالاته ! .

ولقد كان وردزورث في « **التمهيد** » The Prelude ــ وهو قصيدة طويلة من الشعر الحرّ كتبت على مطالع القرن التاسع عشر الميلادي ، على نحو مستق من **ميلتون** Milton **وسبنسر** Spencer ــ هو **بداية الفكر النقدي الرومانسي** ، وأما نهايته فربما كانت ما كتبه **تنيسون** Tennyson بديوانه « **في الذكرى** » In Memoriam . وما بين وردزورث وتنيسون من خُلْف هو الفارق الذي تكشف عنه اختيارات فوكس إلى سنة ١٨٥٠ م ، والمدهش أن يُنْشَرَ « التمهيد » الذي وصف بأنه a major poem و « في الذكرى » ، بعد موت صاحبَيْها في تلك السنة نفسها ، فكأن موتها معاً كان ختاماً لمرحلة متميِّزة ! .

المقالات والبحوث

فيما عدا المقدمة والملحق الذي يتضمن جزءً من « نقد العقل » **لإيمانويل كَنْت** Imanuel Kant ، وجزءً آخر من « عبقرية المسيحية » **لفرنسوا رينيه** Francois – René ــ على التعاقب سنتي ١٧٦١ م ، و ١٨٠٢ م ــ يقدّم فوكس أربعة عشر بحثاً أو جزءً من بحث ومجموعة رسائل ومدوّنات أخرى لثلاثة عشر علماً رومانسياً هم :

(١) **وليم بليك** William Blake في « رسائل وتقييدات تتعلق ببعض المناسبات » واقعة بين سنتي ١٧٩٩ م ، و ١٨٢٦ م ، والمعروف أن هذا الشاعر الرومانسي مات سنة ١٨٢٧ م .

(٢) **وليم وردزورث** William Wordsworth (١٧٧٠ ــ ١٨٥٠ م) في مقدمة المجموعة « أقاصيص غنائية » إصدار عام ١٨٠٠ م ، ثم عام ١٨٠٢ م ، والمعروف على أية حال أن الطبعة الأولى لتلك المجموعة يرجع تاريخها إلى سنة ١٧٩٨ م .

(٣) **أوجست ويلهلم فون شليجل** August Wilhelm von Schlegel (١٧٦٧ ــ ١٨٤٥ م) ، في بعض كتابه « **في الفن الدرامي والأدب** » الصادر سنة ١٨٠٨ م ، وترجم سنة ١٨١٥ م .

(٤) **وليم وردزورث** ــ مرة أخرى ــ في مقدمته لقصائد عام ١٨١٥ م ، وهي ردّ على مخالفة صديقه كوليردج له فيما صدر عنه بالمقدمة التي وَرَدَتْ في « أقاصيص غنائية » .

(٥) **صامويل تيلور كوليردج** Samuel T. Coleridge (١٧٧٢ ــ ١٨٣٤ م) ، في جزء من كتابه « سيرة أدبية » وقد صدر عام ١٨١٧ م .

(٦) **جون كيتس** John Keats في « مقتطفات من رسائله » بين عامي (١٨١٧ م ، و ١٨١٨ م) .

(٧) **وليم هازليت** William Hazlitt (١٧٧٨ ــ ١٨٣٠ م) ، في « عن الشعر بوجه عام » المنشور سنة ١٨١٨ م .

(٨) **بيرسي بيسه شيللي** Percy Bysshe Shelley (١٧٩٢ ــ ١٨٢٢ م) ، من « دفاع عن الشعر » لأول مرة سنة ١٨٢١ م ، ونُشِرَ سنة ١٨٤٠ م .

(٩) **توماس دي كوينسي** Thomas De Quincey (١٧٨٥ ــ ١٨٥٩ م) من « رسائل إلى شاب أهمل تعليمه » عام ١٨٢٣ م .


★ جون كيتس ★

(١٠) **توماس كارليل** Thomas Carlyl (١٧٩٥ ـ ١٨٨١ م)، من مقاله «ملامح» المنشور سنة ١٨٣١ م.

(١١) **جون ستوارت ميل** John Stuart Mill (١٨٠٦ ـ ١٨٧٣ م)، من بحثيه «ما الشعر»، و«نوعان من الشعر» جُمعا في «أفكار عن الشعر وأنواعه» لأول مرة سنة ١٨٣٣ م، ثم سنة ١٨٥٩ م.

(١٢) **ألكسندر سميث** Alexander Smith المتوفى سنة ١٨٥١ م، من «فلسفة الشعر» الذي كتبه سنة ١٨٣٥ م.

(١٣) **جون كيبل** John Keble (١٧٩٢ ـ ١٨٦٦ م) من «محاضراته عن الشعر» (١٨٣٢ م ـ ١٨٤١ م)، نشرت سنة ١٨٤٤ م.

(١٤) **إدجار ألن بو** Edgar Allan Poe (١٨٠٩ ـ ١٨٤٩ م)، من بحثه «مبدأ الشعر» المنشور سنة ١٨٥٠ م.

وبتأمّل تلك القائمة المتنوعة من المؤلفات، نجد معظمها مما يدخل في الفن ـ **والأنواع التشكيلية** Plastic arts منه بخاصة ـ فيما رُصِدَ عن وليم بليك مثلاً، وعن أحد أنواع الأدب كالدراما عند **أوجست فون شليجل**، وسبعة منها تتجهة إلى الشعر وحده هي مقدمة «أقاصيص غنائية»، و«دفاع عن الشعر»، و«فلسفة الشعر»، و«أفكار عن الشعر»، و«مبدأ الشعر»، و«ما الشعر» ومحاضرات كيبل عن الشعر!.

وفي كل الظروف والملابسات التي صاحبت كتابة تلك التأليفات بدا أن للشعر ذي الطبيعة الخالدة قيمة متفرّدة فطن إليها الرومانسيون، وهذه القيمة يمكن الآن وقد تعمقت النظرة إلى الشعر أن يكون مرجعها إلى أنه كان وسيظل شكلاً من أشكال المعرفة. هذا على الرغم من تردُّد الجهاليين إزاء تلك القيمة المرتبطة بالحقيقة، وإن يكن تردُّدهم يوقعهم فيما لا يحبون أن يقعوا فيه وهو الكذب.

فالشعر ـ بما هو أدب ـ تخييل، أي محاكاة فنية لفظية، وذلك من خلال نظرة عامة للوجود، وتحكم هذه النظرة فلسفة مترابطة الجوانب. وهنا يكون عكْسُ التخييل ـ إذن ـ الواقع، وفي الواقع تكمن الحقيقة على نحو ما فصّله الرومانسيون المتأخرون والواقعيون.

هذا شيء، وأما الشيء الآخر فهو أننا نستطيع استقطاب الرومانسية الإنجليزية بغير ما لغط به الأوروبيون، أي بعيداً عن البلبلة الاصطلاحية الأصولية التي عمَّتْهُم.. وبالرغم من أن وردزورث كان يقدم في الأقاصيص الغنائية شعراً جديداً، فإنه لم يشر إلى الاصطلاح قط.

كذلك لم يشر إليه كوليردج في «سيرة أدبية» ولا شيللي في «دفاع عن الشعر»، ثم هو لم يرد في ذكر «شعراء البحيرة». والوحيد الذي ذكره توماس كارليل الذي كان مقروءً عند الألمان بدرجة جيدة، لكن ليس في «ملامح» التي اختار بعضها فوكس وإنما في «مكانة الأدب الألماني» الذي أبدى فيه وجهة نظر في كانْت وشليجل وشيلر وغيرهم (ص ١٤٣) وفيه قال في معرض حديثه عن شيلر: «لا تزعجنا الخلافات حول الكلاسية والرومانسية».

الأفكار المحورية

يرى فوكس في بعض مقدمات فصول الكتاب أن كثيراً من المواقف والأفكار والأساليب وصل ببعض خطوط التنظير في النقد الرومانسي عند إدجار ألن بو إلى الذروة. غير أن **ماتيو أرنولد** Matthew Arnold يُبدي ميله نحو آراء **أرسطو** (ص ١٩٩). مما يعني أن التحوّل النقدي بالشعر كان متذبذباً ومستمراً، حتى لتصبح «**الإلياذة**» و«**الفردوس المفقود**»، مقطّعات غنائية أو قصائد قصيرة عند تنيسون Tennyson ويفتن بو بهذه المقولة مثلما افتنّ كوليردج **بكانْت** في تقويمه للخيال من خلال كتابه «نقد العقل الخالص» (ص ص ٢٠٩، ٢١٥)، وعدة من رومانسيي إنجلترا **بفرنسوا رينيه دي شاتوبريان** الفرنسي (ص ٢١٠).

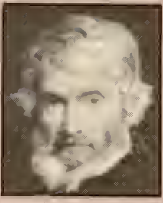
فإذا تركنا هذا كله ـ وهو كما نرى مجموعة ملحوظات متفاوتة القيمة ـ إلى أهم محاور الفكر الرومانسي في النقد، نراه يتجه إلى الشعر في ثلاثة موضوعات: **أولها** عن طبيعة الشعر، **وثانيها** عن لغة الشعر، **وثالثها** عن الخيال في الشعر.

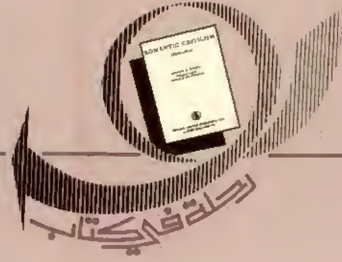
وسنحاول عن طريق جَمْع الفكرة لصِنْق الفكرة المناسبة لها ـ على طول الكتاب ـ أن نعرض لتلك الموضوعات كلٌّ على حدة.

طبيعة الشعر

كان وردزورث أول شاعر إنجليزي مشهور يُعرِّف الشعر ويدافع عنه ويسأل عن كيفية إبداعه ـ فينضم من هذه النقطة الأخيرة إلى زمرة المتحدثين في السيكولوجية ـ وذلك في مقدمة الطبعة الثانية من ديوان «أقاصيص غنائية» وبلغته نفسها يقول:

«ذُكِرَ لي أن أرسطو قال إن الشعر أكثر أنواع الكتابة فلسفة، وإنه كذلك، وهدفه الحقيقة العامة ـ لا المرتبطة بفرد أو بمكان ـ التي لا تستند إلى برهان خارجي، ولكن تسكبها العاطفة نابضة في القلب... **الشعر هو صورة الإنسان والطبيعة**، وإذا كان ثمة صعوبات تُعيق كاتب السير والمؤرخ فيتضاءل ما يرجى منهما من جدوى، فأقل منها ما يواجهه الشاعرُ إذا كان يدرك ما لفنه من شرف. إن الشاعر لا يكتب إلا تحت قيد واحد فقط، هو على التحديد إتاحة المتعة pleasure المباشرة لأي إنسان لديه من العلم ما يُفترض فيه... ولو استثنينا هذا القيد لما بقي ما يحول بين الشاعر وصور الأشياء... وليس في الظن أن ضرورة إتاحة المتعة المباشرة، حطٌّ من فن الشاعر، بل على العكس اعتراف بجمال الكون»، (ص ٣٦).


★ توماس كارليل ★



غير أن تلك المتعة هي ــ في الحقيقة ــ سبيل الشاعر إلى تحقيق **المعرفة** Knowledge من منطلق أن الناس والأشياء تتبادل التأثير والتأثر وتهيئ الطبيعة لهم هذا التفاعل، حيث يكون عقل الإنسان وكأنه بطبيعته مرآة تنعكس عليها أو فيها أجمل خصائص الطبيعة وأكثرها متعة «وهكذا يناجي الشاعر الطبيعة بعامة وهو مدفوع بشعور المتعة الذي يرافقه طوال تأمله»، (ص ٣٧).

على أنه وهو يرى أن الشاعر إنسان يتحدث عن الناس يركّز على العاطفة ويصرّ على أن تلك العاطفة لا تتسم بالحيل الأسلوبية، وإنما عن طريق انبثاقها من تأمل الشاعر في موضوعه، ومن جراء اعتماده الوزن الذي يكسب الشعر مزيداً من السحر فيسهل من ثَمَّ توليدُ الإحساس الفوري في نفس القارئ (ص ٤٠).

يقابل هذا الكلام الواضح ــ وقد لا يوافق عليه كثيرون ــ غموضاً يشوب آراء وليم بليك وبخاصة عندما يربط الشعر من حيث هو ماهية بالأفعال الروحية، ويملي على الشاعر إملاءً فورياً وعلى مرات دون تفكير مسبق ولا إرادة (ص ٢٠) ولأن وردزورث يغلّب الجانب الطبيعي على الجانب الروحي في الشعر إذن هو «ليس شاعراً، بل لعله يكون فيلسوفاً مجدفاً ويعادي كل إلهام» (ص ٢٢).

وعبوراً بأوجست شليجل الذي كان يرى الخلق الشعري نشاطاً تلقائياً أو لا شعورياً «يبحث جاهداً عن ميلاد معجز جديد» (ص ص ٥٠، ٥٩) نلتقي بكوليردج الذي يتحدث عن القصيدة حديثاً يبدو فيه التردد، ويسلّم مبدئياً أو على سبيل الجدل بأن القصيدة إذا كانت تتميّز ــ من حيث هي شعر ــ عن النثر بالوزن والقافية، فهي تشارك النثر في تحقيق المتعة، وإن يكن غرض الشعر ومضمونه يقدمان أساساً آخر لتمييزه من النثر.

وفي حديثه عن المتعة يقرر أنّها في القصيدة تأتي من الكلّ ومن كل جزء فيها على حدَة، وتكون غايتها المباشرة. وهنا لا بُدَّ أن يقال إن القصيدة الحقة عمل تتآزر أجزاؤه ويفسّر بعضُها بعضاً، كما تنسجم جميع الأجزاء في نطاق التناسب مع أهداف التنسيق، ويؤيد ذلك المتفلسفون في جميع العصور، ثم يضيف قوله:

«وإذا سلمنا بأن هذا تحديد مقنع للقصيدة، فلا بد أن نبحث عن تعريف للشعر. ولعل كتابات **أفلاطون وتيلور الأسقف وبيرنت** Burnet في النظرية المقدسة Theoria Sacra تقرر أن أسمى أنواع الشعر قد يكون بلا وزن وبغير الغاية التي تتميّز بها القصيدة، ثم إنّ الإصحاح الأول من سفر أشعيا ــ بل جزء كبير من السفر ــ هو شعر بالمعنى المؤكد لهذه المتعة، وإن يكن من الخطأ الظن أن المتعة وليس الحقيقة truth هي الغاية للمباشرة له» (ص ص ٩٠، ٩١).

كذلك يضيف قوله: «**إن الشاعر في أكمل حالاته يبعث النشاط في النفس الإنسانية... يبعث نغمة وروحاً من الوحدة تصهر الأشياء معاً بتلك القوة التركيبية السحرية التي سميناها بالخيال... وأخيراً نقول إن الفهم الجيد هو جسد العبقرية الشعرية والتوهم بزتها والحركة حياتها والخيال روحها التي توجد في كل جزء وكل مكان، وتشكل الجميع في كلٍّ ذكي لطيف» (ص ٩٣)**.

وربما كان شيللي بعد هؤلاء ــ وكذلك بعد هازليت الذي تحمس للشعر بغير موضوعية في مقاله «عن الشعر بوجه عام» ــ نقول ربما كان من أهم مَنْ تحدثوا في هذا الفن في مؤلفه «دفاع عن الشعر». كتبه سنة ١٨٢١م، ونُشِرَ سنة ١٨٤٠م، وحَرَصَ أن يَرُدَّ فيه على **بيكوك** Thomas Love Peacock في مؤلفه (**عصور الشعر الأربعة** The Four Ages of Poery) الصادر سنة ١٩٢٠م، والعصور هي: **الحديدي** (الأغنية غير المصقولة)، **والذهبي** (شكسبير)، **والفضي** (بوب)، **والنحاسي** (وردزورث وكوليردج).

وعنده أن أسمى إلهامات الشعر تنحلّ إلى عناصر ثلاثة هي صراخ العاطفة المحتدمة وأنين الشعور المتضخم واستجداء المشاعر المتكلفة، على نحو ما توجد في كتابات «هذا الوردزورث المريض بالأحلام» (ص ١١٨).

ويقرر في ردّه على بيكوك أن الشعر ــ بما هو مركز المعرفة ومحيطها ص ١٣٢ ــ شيء طبيعي في الإنسان، وأنه ــ في أسمى أشكاله ــ يعانق الفلسفة والتاريخ. وإن تاريخه ليبيّن أن قيمته أو فائدته الاجتماعية صارت الحاجة إليها شديدة، ولم يفتقدها، كما افترض بيكوك، وإنما هو ينزع دائماً عن العالم قناع المألوف ويقدم الجمال الناعس متمرداً «الجمال هو روح أشكاله» (ص ١٣٥).

وأما الشاعر فيشارك في «الخالد والمطلق والواحد» وليس للزمان والمكان والعدد صلة بمفهوماته وتصوّراته... **وإن الشعر ليعنى بالجميل والخير... ويبدع عناصر جديدة للمعرفة والقوة والمتعة**» (ص ص ١٢٢، ١٣٢).

والحقيقة أن شيللي بمثل هذه الأقوال إنما كان يقدم نظرية ذات ملامح رومانسية كثيرة عن الشعر من حيث هو معنيٌّ دائماً بالمشاعر وقد ارتبط بأصل الإنسان، وبما هو «تعبير عن الخيال» (ص ١٢٠)، و«ينبثق إلهاماً من منطقة لا شعورية باعتباره أغنية غير متعمدة» (ص ١٣٣).

وما يأتي بعد ذلك لتوماس دي كوينسي لا يذكر بجانب ما صدر عنه شيللي، ثم لا يُعدُّ جديداً رأي توماس كارليل في أن الشاعر متنبئ وملهم إلهاماً مؤكداً بذلك الجانب اللاشعوري (ص ص ١٤٥، ١٤٧). وكذلك رأي جون ستيورات ميل صاحب التطرّف في نظرية التعبير الشعرية، على أساس أن **الشعر هو «الشعور في حالة اعتراف الشاعر عن ذاته**


★ جوته ★

لذاته في لحظات الوحدة » (ص ص ١٥٨ ، ١٦٣) ، و « **الشاعر الذي يجعل شعوره معلّمه الوحيد يكون عظيماً** » (ص ١٧٣) .

مثل هذا وذاك تفريع على **المثل الأفلاطونية** ، وتشقيق لما قيل في المتعة والتعليم وخلود الشعر وعلاقته بالأخلاق ــ وكان شيللي قد قرّر أن علم الأخلاق ينسّق العناصر التي يشكلها الشعر ــ وأخيراً قدرته على إعادة إبداع ما يعرض من أشياء .

وإذن نسرع إلى ألكسندر سميث في مقاله « فلسفة الشعر » لنراه يرفض أن يكون هذا الفن تعبيراً عن العاطفة . وإذا كان مع وردزورث ثم ميل في « تحديد الشعر بتصوير حالات الشعور » ، ومع جون ميل وحده في أن « **البلاغة تسمع ــ مفترضة وجود من يسمع كي يقتنع بحقيقة ما ــ والشعر ينصت إليه** » (ص ص ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٨٦ ، ١٨٧) ، فإنه يضع مقولة مضادة antithsis استغلّها **ريتشاردز** I. A. Richards في تمييز اللغة العلمية ــ وهي أداة النثر ــ من لغة العاطفية . والمعروف أنّ كولريدج هاجم وردزورث في زعمه أنه لا يوجد خلاف جوهري بين لغتي النثر والشعر ، وزاد سميث فوضع نظرية تعبيرية للشعر متضمنة مصطلحات شتى جرى بها النقد الحديث ــ عند ريتشاردز وغيره ــ فيما بعد (ص ص ١٧٤ ، ١٧٥) .

ويأخذ جون كيبل **بالنظرية التعبيرية** من حيث إن الشعور هو جوهر الشعر ، مع ملاحظة أنه يعبّر تعبيراً متنكراً عن العاطفة وليس مباشراً يخفف عن القلب مثلاً ثقله . ويضيف أن الموسيق أقرب إلى الشعر من سائر الفنون ، وأن وظيفة هذا الفن توشك أن تكون دينية كما تكون ضرباً من العلاج « أنزله الله للإنسان » ، وكان جون ستيوارت ميل قد وجد في قصائد وردزورث مثل هذا العلاج في أزمته العقلية (ص ص ١٩٢ ، ١٩٥) .

وأما إدجار ألن پو ــ وهو يوضع إلى جانب الكتّاب الأوروبيين ــ فقد هاجم بدعة التعليمية التي صدر عنها زملاؤه في أمريكا ، وخلع أرفع القيم على الشعر الغنائي مطوراً فكرة « **التدفق التلقائي للمشاعر القوية** » التي صدر عنها وردزورث (ص ص ٢٧ ، ١٦٧ ، ١٩٩) ، وركز على الموسيق من حيث إنها إبداع إيقاعي للجمال ، ولا شأن لها بالحقيقة ولا الأخلاق طالما كانت المتعة المطلقة في الشعر ناجمة عن « تأمّل الجميل » ، ولا تُعد القصيدة جليلةً « إذا احتاجت إلى أن يبرهن فيها على ذلك » (ص ص ٢٠٥ ، ٢٠٦) .

لغة الشعر

لن نطيل الحديث في هذا الموضوع ، لأننا وقفنا عند بعض أطرافه في أثناء البحث عن ماهية الشعر ووظيفته . لكن ربما كان من الضروري أن نعرف ثلاثة آراء أو أربعة ــ هي الأبرز في الكتاب ــ لأشهر من عَرَضَ للغة الشعر من وجهات نظر رومانسية .

وبطبيعة الحال يوضع في المقدمة وردزورث باشتراطه اللغة العادية ــ وليست المتكلفة المصنوعة ــ أداة للتعبير . وهنا نراه يقول : « أما الهدف الرئيسي الذي أريده من تلك القصائد (١٨٠٢ م) ، فهو اختيار أحداث ومواقف من الحياة العامة وأصفاها جميعاً بلغة استمدها قَدْرَ الإمكان من كلام الإنسان العادي ، وأضفي عليها في ذات الوقت ضرباً من الخيال يبرز تلك الأمور في قالب غير عادي . . . ولا يسعني على أية حال أن أتجاهل صرخة العصر احتجاجاً على سخافة التفكير أو تفاهة اللغة التي دخلها بعض معاصرينا ــ أحياناً ــ في مؤلفاتهم المنظومة » (ص ص ٢٦ ، ٢٧) .

إنه ــ كما يقول ــ ينبذ الطريقة الشائعة في رفع الأسلوب الشعري إلى ما فوق مستوى النثر . وإذا كان يقع أيّ تجسيد في الشعر ، فليس مما يعدّ جزءً طبيعياً أو منظماً من اللغة ؛ لأن التجسيد ضرب من المجاز يحثنا الانفعال العاطفي على ممارسته في بعض الأحيان .

وقد اعترض كولريدج على ذلك بوجه عام ، زاعماً أن صديقه تبنّى شيئاً غامضاً لسوء الحظ ، ورافضاً ما يبدو من لغة التحكّم غير الكامل في مصادرها بجانب العبارات غير المنطقية والمبتذلة المتوهمة ، وكلها تبرز في فنيّة الشعر العادي (ص ٧٣) .

وأما شيللي ، فقد توسّع شيئاً في بحثه عن لغة الشعر ، وقد ساوى بينها هي وعناصر اللون والشكل والتقاليد السلوكية الدينية والمدنية « إلا أن الشعر بالمعنى الخاص يعبّر عن التنسيق اللغوي » (ص ١٢٣) .

و « لغة الشعراء تصطنع دائماً نمطاً خاصاً من تكرار الأصوات ، يتسم بالانتظام والتآلف ، ولا يكون الشعر بدون ذلك شعراً ، ولا يمكن الاستغناء عنه في إيصال تأثيره » (ص ١٢٤) .

هو يعني الانسجام اللفظي على أية حال ، ذلك الانسجام الذي يتمّ باختيار الملائم من الألفاظ وبارتباط الصوت بالمعنى . ومن هنا تُفْقِدُ الترجمةُ أو تُفْسِدُ تلك العلاقة الفريدة « غير أنّ الشاعر لا يحتاج في عملية الانسجام ــ أي التآلف Harmony ــ إلى أن يحتذي الشكل التقليدي » ، وبغير ذلك الاحتذاء تتحقق المتعة (ص ١٢٩) .

وأما كيتس ــ وهو الشاعر الذي اعتاد أن يجدّد عقله بدراسة **شيكسبير وميلتون** ، ووقع في أخطاء نتيجة قراءته معاصريه وردزورث وكولريدج ــ فلم يقدّم آراء خاصة للغة الشعر ، ولا كذلك هازليت الذي اكتفى بتقديم عبارات غامضة نوعاً ما ، منها قوله « **الشعر لغة الخيال والعواطف . . . وهو اللغة العامة التي تربط بين القلب والطبيعة** » (ص ١٠٩) دون أن يحسم تردُّده بين اللغة الخاصة بالخيال واللغة العامة الرابطة القلب بالطبيعة .

كذلك دي كوينسي الذي كان عالة على وردزورث ، وتوماس كارليل صاحب مقولة الشاعر الملهم العارف بالغيب ، وجون ستيوارت ميل الذي عمد إلى ذكر العرب مع التتار ممثلين للبداوة في عصره (ص ١٥٤) .

وقد قال إن الشعر هو الأفكار والكلمات التي تتجسّد فيها العاطفة تلقائياً




★ شاتوبريان ★ ★ كانط ★

(ص ١٦٣)، والشاعر المثقف كوردزورث يرى موضوعه نثراً ثم يصفه شعراً، وأما الشاعر بطبعه كشيللي فإنه يرى موضوعه شعراً بحق (ص ص ١٦٤، ١٦٥)، ويمثل هذا ونحوه ـ من تنظير فلسفي مطلق إلى عمليات التدريب العقلي ـ انصرف تماماً عن اللغة، وكان ألكسندر سميث أكثر سداداً منه في فهم الشعر بمصطلحات اللغة وفي دعوته إلى تحليل لغة الشعر من حيث هي «اللغة التي تتخذ منها العاطفة مخرجاً لها حتى ليصبح من الضروري التفرقة الحادة بين النثر والشعر» (ص ص ١٥٨، ١٧٦).

الخيال في الشعر

هذا هو الموضوع الأخير والبارز الذي يمكن تشكيله من تناثر الآراء التي يستوعبها هذا الكتاب، وفيه يتضاءل قَدْرُ وردزورث وبخاصة بعد أن قرّر استعمال اللغة البسيطة الأولية التي تتجنب ـ عادة ـ الزينة العابرة.

وحين حاول كوليردج أن يتلافى هذا النقص، جعل الخيال محوراً لبحثه الفلسفي في ماهية الشعر، وقد خَصَّ الفصل الرابع عشر من «سيرة أدبية» بحديث موجز عن ذلك الخيال أولياً كان أو ثانوياً.

«واعتقد أن الخيال الأوليّ هو القوة الحيوية أو الوسيلة الأولية لكل إدراك إنساني، وأنه تكرار في الفعل المحدود لعملية الخلق الخالدة في الأنا المطلق. وأما الخيال الثانوي فهو صدى الخيال الأوليّ، يعايش الإرادة الواعية، ويشبه الأوليّ في نوع وظيفته ويختلف معه في الدرجة وطريقة العمل فقط.

إنه يذيب وينشر ويشتت من أجل أن يعيد الخلق من جديد. وإذ تصبح تلك العملية شاقة، يحاول ـ برغم كل شيء ـ أن يرتفع إلى المثال الأعلى وأن يوحِّد.

إنه حيويّ بطبيعته، حتى وإن تكن كلُّ الموضوعات ـ بما هي موضوعات ـ ثابتة ميتة، وأما الوهم فإنه على العكس من ذلك ليس لديه ما يتحرك فيه. هو في الحقيقة ليس إلا وسيلة من وسائل ذاكرة متحررة من ربقة الزمان والمكان، ويمتزج ويتأثر بتلك الظاهرة التجريبية للإرادة التي نعبّر عنها بكلمة اختيار. بيد أن الوهم ـ شأنه شأن الذاكرة العادية ـ لا بُدَّ أن يحصل على مادته جاهزة وفْقَ قانون التداعي» (ص ص ٨٩، ٩٠).

على أن شيللي زاد الأمر وضوحاً عندما وصف الشعر بأنه تعبير عن الخيال، وأن اللغة هي أداة الخيال التي يخلقها الخيال نفسه تلبية لحاجاته، مع ملاحظة أنه ـ أي الخيال ـ وسيلة للخير الأخلاقي طالما عمل على توليد التعاطف (ص ص ١٢٠، ١٢١). وقد يكون التمرس بالخيال قمة البهجة، لكن التمرس بالمنطق أكثر جدوى، ومن ثم يبدو أن الشعر الذي يضيء من الداخل ويتلوّن كالوردة ويذوي أيضاً لا يشبه المنطق بمعنى أنه ليس خاضعاً لتوجيه قوى العقل الإيجابية (ص ص ١٢٩، ١٣٣، ١٣٦).

ويبدو هذا أكثر دلالة على فكرة الخيال عند الرومانسيين ـ الإنجليز على الأقل ـ مما يقوله **هازليت** مثلاً إن الشعر لغة الخيال والعواطف، وإنه محاكاة للطبيعة «والخيال والعواطف جزء من طبيعة الإنسان... ولكن ليس مجرد وصف الأشياء ورصْد المشاعر الطبيعية ـ مهما يكن وضوحها ـ بداعم غاية الشعر النهائية من غير تحليقات الخيال» (ص ص ١٠٩، ١١٠).

فما يقرره هازليت هو من قبيل التحمس غير المثمر كثيراً، ومن قبيله تعميات كارليل في الإلهام وفي الشاعر العارف (ص ١٤٣). وتشبه إلى حد ما قول جون ستوارت ميل «إن وصف الأشياء يعني تصويرها من خلال انتظامها في الألوان ورؤيتها بعين الخيال... أي باستيحاء أشد عوامل الشبه والمفارقة إثارة» (ص ١٥٧).

غير أن ميل يزيد فيتحدث عن الصور التي يرسمها العقل ـ بعد التسليم بوجود الأفكار أو الصور لوجود الشعور ـ فيقول إنها والكليات يبنيها الخيالُ مما يقدمه التوهّم من عناصر (ص ١٦٥). وفي حديثه عن شيللي مقابلاً لوردزورث يقول إن الألوان عنده زاهية كالحياة عندما يقع تحت تأثير حالة شعورية طاغية ولَّدتها التجربة أو ألفها «الخيال المتوهج بحيوية الحقيقة... وما كان لخيال قط أن يُفْعَم بالصور الحسية كخيال شيللي» (ص ص ١٦٧، ١٦٨).

وفي الملحق نجد **إيمانويل كانْت** يلوّح بوجود ثلاثة مصادر ذاتية للمعرفة: الإدراك الحسي، الخيال، الاستبطان (ص ٢١١). وفي معرض حديثه عن الطاقة التركيبية أي التي تملك جمع المتعدد في معرفة واحدة يقفز ما يسميه بالخيال الخصب الذي يحلّ محل البداهة، ويصبح مبدأ الوحدة الضرورية هو النتيجة الوحيدة لقوة الخيال ـ من حيث هو وظيفة عمياء من وظائف الروح «ونسمي تركيب المتعدد في الخيال متجاوزاً حين يكون ـ بدون تميز من الحدْس ـ موجهاً إلى ترابطات بدهية للمتعدد فقط... ووحدة الاستبطان في علاقتها بتركيب الخيال هي الفهم» (ص ص ٢١٢، ٢١٣). أي إن الخيال عند كانْت هو في حدّ ذاته قوة تركيب بدهية طالما استهدف الوحدة الضرورية في تركيب ما هو متعدد المظاهر!.

ثم بكلام شديد العمومية لفرانسوا رينيه دي شاتوبريان، يختم فوكس الكتاب، فلا نضع أيدينا إلا بمشقة على ما يمكن أن يكون تكملة للكتاب.

لقد طرق الرومانسيون آفاق الروح والميتافيزيقا بجسارة، فلم يكن بُدٌّ لفرانسوا من أن ينبهنا إلى أنّ تلك الآفاق حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، لم تكتشف بعد كما ينبغي (ص ٢١٧). وإن المرء ليرجو السعي وراء تحقيق هذا الهدف، وبخاصة أن أوروبا أوغلت في التقدم الحضاري، وكثير منها براق خادع حتى إن حشود الكتب التي تتناول الإنسان ومشاعره قد تجعلنا خبراء ولكن دون خبرة، مع أن «الخيال لا يزال غنياً خصباً ومليئاً بالأعاجيب».

مطالعات في الكتب

الزيات.. والرسالة

عرض: عبد السلام هاشم حافظ

بتقدير وتحية نبارك الجهد المتواصل **لدار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع**، التي دأبت على تغذية المكتبة العربية بفنون من الكتب الأدبية والعلمية.. وعن دراسات في الصحافة الأدبية أصدرت دار الرفاعي عام ١٤٠٢هـ، كتاباً تسجيلياً عن (**الزيّات والرسالة**).. من تأليف **الدكتور محمد سيد محمد**، أستاذ الصحافة المساعد بجامعة الرياض، وله بضعة مؤلفات من نشاطاته الأدبية بموطنه في القاهرة.

وإننا لنتساءل بدورنا: ومن لا يعرف مجلة «الرسالة» وصاحبها، وهما ألصق شيء بمسيرة النهضة الأدبية في مصر، وارتبطت بها العديد من الأقلام الجيدة والرائدة؟.

لقد أدت (الرسالة) دوراً مميزاً في الأدب والصحافة الراقية، وفي العلوم والثقافة بوجه عام.. خلال أكثر من عشرين عاماً من بداية الثلاثينات إلى منتصف الخمسينات الميلادي.. ولقد شغلت الرأي الأدبي العام، كما كان يتلقفها شداة الأدب وكباره بنفس المستوى.. ومنها انطلقت أقلام مبدعة جديدة، وحملت الكثير من القضايا الهامة في البلاد العربية.. فلا غرابة بأن تكون (الرسالة) مدرسة فكرية.. إنتاجاً وأسلوباً.. مادة وتجديداً.. أبحاثاً ونقداً.. وما كان أجمله من عهد هو عهدها.

لهذا، فإن تأليف كتاب (الزيّات والرسالة) سبق أدبي ووفاء لرسالة القلم وللعمل الفكري الجاد.

يطالعنا المؤلف في **الفصل الأول** من الكتاب مؤرخاً لسيرة الزيّات بين عامي (١٨٨٥ و ١٩٦٨م) بين يومي ولادته ومغادرته للدنيا العابرة.. فيتحدث بدءً عن (صبي في **كفر دميرة القديم**) مسقط رأس الزيّات **ـ وهو تابع لمركز طلخا بمحافظة الدقهلية ـ** وعن والدي الزيات يروي المؤلف في قوله: «كان والده يعرف القراءة والكتابة، وهو أمر نادر في قرى مصر إذ ذاك، وكانت أمه تمتاز بالذكاء ورجاحة العقل».

وفي القرية تلقى الطفل أول تعليمه بدراسة **القرآن الكريم** حتى أتم حفظه وهو بعد في الحادية عشرة من عمره.. وهكذا بدأ مشوار حياة حافلة بالعطاء الأدبي الرائع والكفاح الصامت، ثم درج إلى **جامعة الأزهر** ينهل العلم وينتقل منها إلى **الجامعة الأهلية المصرية المسائية** عام ١٩٠٨م.. وعن هذه الفترة نستمع إلى الزيّات يتحدث عن نفسه وزميليه الحميمين: طه حسين ومحمود الزناتي، يقول: «كنا ننتقل من حلقة العلم إلى درب الأدب، إلى مجلس الشعر ومنه إلى دار الكتب، ومنها إلى الجامعة القديمة، ومن الجامعة إلى إدارات الصحف نعرض عليها ما كنا نسميه يومئذ شعراً، ثم ننتهي إلى دار أحدنا نتدارس ما حصلناه من علم ونتذاكر ما حفظناه من أدب».


★ الزيّات ★

بعد ذلك نعرف أنه من خلال عمل الزيات مدرساً، كان يواصل دراسته الجامعية ليحصل عام ١٩١٢م، على **الليسانس في الآداب** من الجامعة الأهلية تلك.. وعلى الرغم من اشتغاله بمهنة التدريس، فقد راح ينجز أول كتاب له سنة ١٩١٦م، وقد اكتسب شهرة واسعة وهو (**تاريخ الأدب العربي**)، وقد زاد فيه ليصبح بعد أربعة أعوام متكاملاً موثوقاً منه.. وهو بأسلوبه الرصين ومعلوماته الواسعة يعد مرجعاً.

ومع بداية عام ١٩٣٣م، بدأت رحلة الزيّات مع مجلته (**الرسالة**) المعروفة التي تعد مدرسة أدبية في عصرها.. نشطت فيها الكثير

من الأفكار ، كما أشاعت ألواناً بديعة في الفن الأدبي والنقدي .

ويواصل المؤلف حديثه عن باقي مؤلفات الزيّات .. فمن ترجمته عن الفرنسية لقصّتي : (**آلام فرتر ، ورفائيل**) إلى وضعه لكتاب (**في أصول الأدب**) ، ثم كتابه (**دفاع عن البلاغة**) ، والكتاب الذي فقد مخطوطاً ، كان قد ألّفه الزيّات وهو مدرّس بالعراق وأسماه (**العراق كما رأيته**) ولفقدانه قصة معروفة .

ولقد كتب وترجم الزيّات قسمين لكتابه (**مختارات من الأدب الفرنسي**) ـ شعره ونثره ـ . وأخيراً عرفنا للزيّات كتابين لمقالاته الممتازة .. أحدهما (**من وحي الرسالة**) وهو مجموعة مقالاته التي كتبها في مجلته (الرسالة) .. وبه **حصل على جائزة الدولة عام ١٩٥٣م** ، والثاني جاء بعنوان (**في ضوء الرسالة**) ، وهو يضم المقالات التي كتبها ونشرت في مجلتي (**الأزهر والهلال**) ، وفي صحيفتي (**الشعب والجمهورية**) .

ويتحدث المؤلف عن الأصالة في أسلوب الزيّات فيقول : « وتقوم الأصالة عند الزيّات على أساسين ، الأول استخدام اللفظ في موقعه ، ثم الابتكار في تصوير الفكرة أو رواية الموضوع » .

كما تحدث المؤلف عن خصائص أسلوب الزيّات ، والإيجاز والتلاؤم الموسيقي في كتاباته إلى أن قال : « نستطيع القول إن الزيّات يعامل كتاباته كما يعامل النحات تمثاله ، وإنه كان يؤدي دور صائد اللؤلؤ والصائغ الماهر معاً » .

ثم قال عن مجلة (الرسالة) : « وما دامت وجهة الرسالة الإحياء والتجديد ، وطبيعة الشباب الحيوية والتجدد ، فلا بد أن يتوافيا على مشروع واحد » .

ويستطرد المؤلف في الحديث عن منهج كتابات الزيّات وأسلوبه من الاجتهاد في اختيار الموضوع واللفظ إلى التعفف ونقاء الفكرة ، فالعاطفة الجياشة والمنطقية والترتيب في سرد الأفكار والهدوء والاتزان والقوة والإتقان .. واستخدامه (لبعض الألفاظ العربية التي تحتاج إلى قاموس) .. ويتناول المؤلف في حديثه جوانب من حياة الزيّات وخلقه القويم .. مصلحاً ورائداً .

في **الفصل الثاني** يعمد المؤلف في حديثه عن (تاريخ الرسالة) .. التسمية والفكرة لإصدار هذه المجلة القوية ، العدد الأول .. مراحل الرسالة الأربع .. حيث إنها بدأت نصف شهرية ، ثم هي أسبوعية بعد عام ، ثم في عام ١٩٤٠م ، صدرت باسم (**الرسالة والرواية**) لمدة خمسة أعوام ، حيث بدأت مرحلتها الأخيرة مع عام ١٩٤٥م ، بعد **الحرب العالمية الثانية** ، واستمرت حتى فبراير (شباط) ١٩٥٣م .

وفي **الفصل الثالث** ـ وهو أطول فصول الكتاب ـ يتحرّى المؤلف في كتاباته حول ما كان يجري من أجل (تحرير مجلة الرسالة) : كتّابها .. أبوابها .. المعارك الأدبية التي كانت تدور بموضوعية وبتحريك للأفكار وترشيد الأذهان .. ويعتبر **الفصل الرابع** مكملاً للفصل الثالث .. حيث تناول قضايا مجلة (الرسالة) التي كانت تطرح على صفحاتها مثل : قضية الإسلام .. قضية العروبة .. قضايا المجتمع المصري ومشاكله .. الفنون والآداب والعلوم والفلسفة باعتبارها زاداً إنسانياً وحضارياً .

ويخصّص المؤلف **الفصل الخامس** للحديث عن أعمال الإخراج والإدارة لمجلة (الرسالة) ، وعن التوزيع لها والإعلان فيها ..

ثم يأتي **الفصل الأخير** ، ليتناول فيه المؤلف تحليلات وتقييماً لدور مجلة (الرسالة) في الحياة الأدبية والفكرية في المجتمع .. وعن الفراغ الذي ملأته (الرسالة) ، وتقدير الأدباء لها ، وتأثيرها على القراء . في البلدان العربية التي كان أدباؤها وشداة الأدب فيها يتابعون إصداراتها ويبحثون عن أعدادها في أكثر من مكان .

ويواصل المؤلف حديثه عن أصداء مجلة (الرسالة) وأثرها الأدبي كمدرسة أدبية كانت نافذة للأدب العالمي وللتعبير الأدبي السليم .

وأخيراً ، في كلمة الخاتمة يقول المؤلف في بعض سطورها : « وإذا كان نجاح العمل الأدبي يتحقق بالخبرة الذاتية ، إلا أن الخبرة الموضوعية ضرورة لنجاح العمل الاقتصادي . وقد كانت (الرسالة) مجلة أدبية ومشروعاً اقتصادياً ، وقد استطاع الزيّات أن يحقق نجاحها بالخبرتين » .

وقد عرفنا أن من أهم أسباب توقف مجلة (الرسالة) عن الصدور ، هو التقديرات الباهظة لمصلحة الضرائب التي لا ترحم .. وكان المفروض أن تتدخل الدولة يومها لإعفاء صاحب (الرسالة) من تلك الضرائب القاصمة للظهر .. وكان يمكن أن يقدم الدعم المجزي ليتواصل صدور (الرسالة) .. ولعلها كغيرها من حالات أوضاع هذه الدنيا التي تتعرض للاضطراب حيناً .. وللإرهاق حيناً آخر .. إلى أن تصمت إلى الأبد .. كما صمتت (الرسالة) الأصيلة .. وصمت غيرها كثير .. وتبقى مجرد ذكرى كريمة عزيزة نابضة بالإبداع والتوهّج والتاريخ الذي لن تبلى صفحاته الوضيئة .. « أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .





المذنبات

★ السنة لهب الشمس وتشكيل ريح الشمس ★

بقلم : م . سمير صلاح الدين شعبان

كان الظهور المفاجئ للمذنّبات (COMET) البراقة في سماء الليل يثير شغف جميع الناس على وجه البسيطة ، وتولد عندهم الشعور بالرهبة ، والخوف والتشاؤم .

يروي الفلكي الأميريكي الشهير (**كارل ساغان CARL SAGAN**) في كتابه « **الكون COSMOS**) أن **الإغريق** شبهوا المذنبات « **بالشعر المتدفق** » ، بينما كان العرب في الجاهلية ينظرون إليها على أنها « **سيوف ملتهبة** » . أما الفلكي الإغريقي الشهير **بطليموس** فكان يعتقد أن المذنبات تجلب الحروب ، والجفاف ، حتى يصل بها الأمر إلى خلق « الأوضاع المضطربة » .

أقدم السجلات التاريخية على ظهور المذنبات موجودة في الكتاب الصيني القديم «كتاب الأمير **هواي نان**» ، الذي يصف حملة الملك (**وو WU**) ضد (**زو ZHOU**) في عام ١٠٥٧ قبل الميلاد .

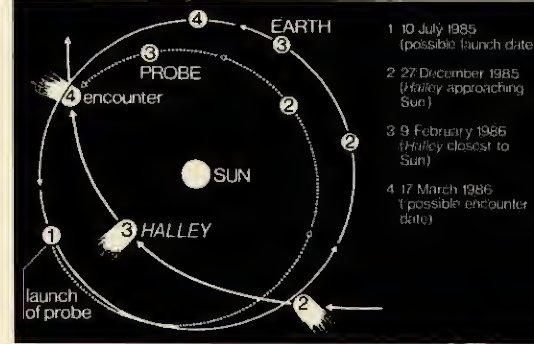
وفي عام ١٠٦٦ م ، شاهد **النورمانيون** عودة أخرى لمذنب هالي .

وفي عام ١٣٠١ م ، شاهد الرسام (**جيوتو GIOTTO**) اقتراباً آخر لمذنب هالي ، فضمّنه إحدى لوحاته الجميلة . وفي عام ١٤٦٦ م ، سبب ظهور « المذنب الكبير» الذعر بين صفوف **الصليبيين** في أوروبا .

تبديد غموض المذنبات

من ناحية أخرى ، فقد كان فلكيو القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين غير مقتنعين

★ اقتراح نيفل كالدر لإطلاق مركبة في ١٠ تموز (يوليو) عام ١٩٨٥م، تتبع المسار المنقط، لتلتق مع هالي في ١٧ آذار (مارس) عام ١٩٨٦م ★



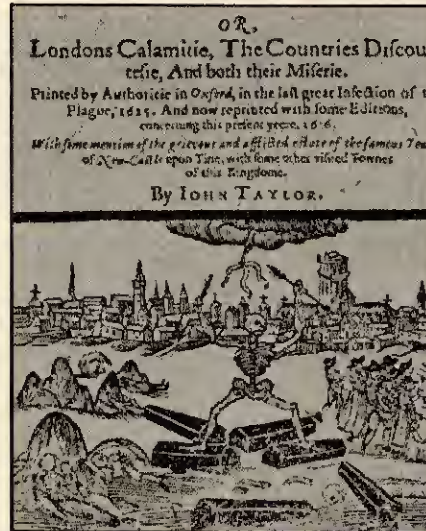


★ الفلكيون ربطوا بين التنجيم والفن عند قدوم مذنب عام ١٦٦٤م ★

بعمليات التهويل هذه، وكانوا شغوفين بالمراقبة المتأنية للمذنبات. وقد شبهها الفلكي الألماني (**كبلر** KEPLER) «بالأسماك التي تسبح في البحر»، وأرجع سبب تألقها إلى ضوء الشمس الساقط عليها؛ نظراً لأن ذيل المذنب كان يتجه ـ في جميع الحالات ـ مبتعداً عن الشمس.

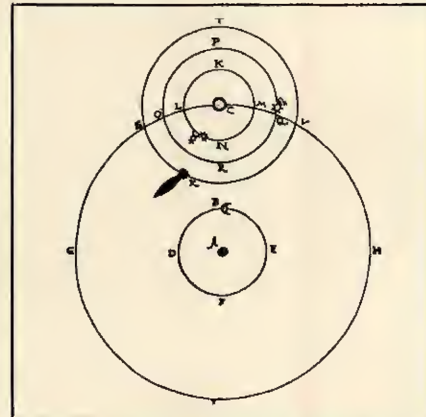
إسحاق نيوتن نفسه قضى الليالي الطوال بحثاً عن المذنبات بعينه المجردة، قبل اختراعه للمرقاب (التلسكوب) العاكس، حتى سقط مغشياً عليه من الإرهاق والتعب. وبالنتيجة فقد وافق نيوتن على آراء (**براهي** BRAHE) **وكبلر**، بأن المذنبات المرئية من الأرض لا تتحرك ضمن غلاف الأرض الجوي ـ كما كان **أرسطو** يعتقد في الماضي ـ بل تجوب الفضاء على مسافة تتجاوز **القمر**، لكنها لا تتخطى مدار **زحل**. وحسب رأيه، فإن المذنبات تتألق بصورة مشابهة للكواكب؛ عن طريق عكس ضوء الشمس الساقط عليها.

لكن أحد أصدقاء نيوتن، الفيلسوف الطبيعي (**إدموند هالي** EDMUND HALLEY) لم يشأ الاكتفاء بهذه الآراء «المتناثرة»، وصمم على وضع المذنبات في الموقع المناسب من تصور البشرية للكون، ووضع حدٍّ لجميع التكهنات والمخاوف التي تثار حولها. ومن سوء حظه فقد وُلد في عام ١٦٥٦م، حيث كانت دراسة المذنبات في أزمة، بينما كان «مذنبه» بعيداً عن الشمس، يتحرك نحوها، لكنه لن يصل إليها إلا بعد مضي ٢٦ سنة.



OR,
Londons Calamitie, The Countries Discour
tesie, And both their Miserie.
Printed by Authoritie in Oxford, in the last great Infection of th
Plague, 1625. And now reprinted with some Editions,
concerning this present yeere, 1636.
With some mention of the grievous and afflicted estate of the famous Town
of New-Castle upon Tine, with some other visited Townes
of this Kingdome.
By IOHN TAYLOR.

★ لقيت الكتب التي تنسب الأوبئة إلى المذنبات رواجاً كبيراً ★



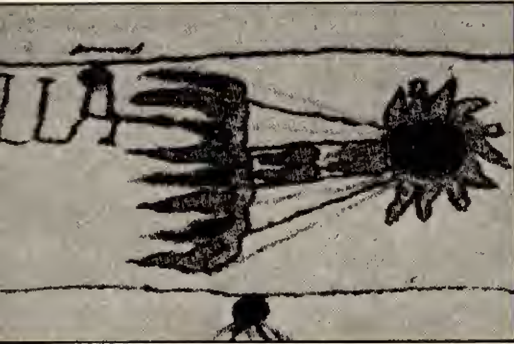
★ مخطط يبيّن مسار المذنب لعام ١٥٧٧م، حول الشمس، بينما تدور الشمس حول الأرض ★

في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٦٨٢م، كان إدموند هالي يراقب السماء عبر مرقابه الخاص، الذي بناه في **إيسلينغتون** بالقرب من **لندن**. وفي تمام الساعة السادسة والنصف من صبيحة ذلك اليوم، نجح هالي في مشاهدة المذنب، الذي يحمل اسمه حتى يومنا هذا. بعد



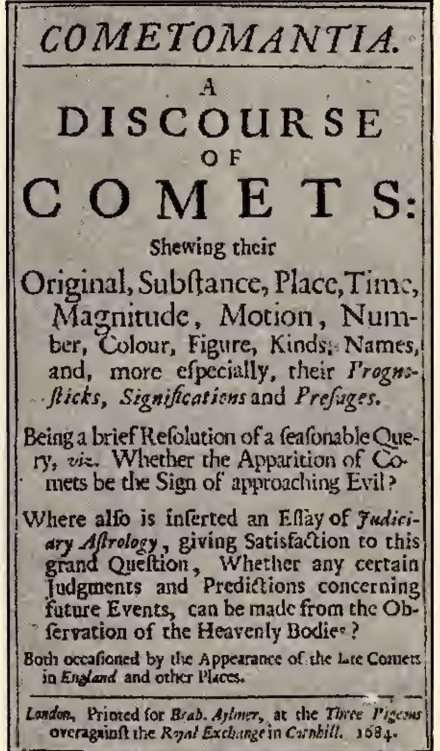
★ حيرة فلكيي القرن السابع عشر الميلادي، في تفسير حركة المذ

★ رأس مذنب هالي في عام ١٩١٠م ★





★ لوحة تمثل ملك إنجلترا هارولد من مذنب عام ١٠٦٦م ★


COMETOMANTIA.

A DISCOURSE OF COMETS:

Shewing their Original, Subſtance, Place, Time, Magnitude, Motion, Number, Colour, Figure, Kinds, Names, and, more eſpecially, their *Prognoſticks, Significations* and *Preſages*.

Being a brief Reſolution of a ſeaſonable Query, *viz.* Whether the Apparition of Comets be the Sign of approaching Evil?

Where alſo is inſerted an Eſſay of *Judiciary Aſtrology*, giving Satisfaction to this grand Queſtion, Whether any certain Judgments and Predictions concerning future Events, can be made from the Obſervation of the Heavenly Bodies?

Both occaſioned by the Appearance of the late Comets in *England* and other Places.

London, Printed for *Brab. Aylmer*, at the *Three Pigeons* overagainſt the *Royal Exchange* in *Cornhill*. 1684.

★ يعكس غلاف كتاب «كوميتومانيا COMETOMANIA» الخوف الذي تسببه المذنبات في القرن السابع عشر الميلادي ★



★ كاريكاتور فرنسي من القرن التاسع عشر الميلادي، عن الأرض والقمر ★

ذلك بعام كامل تقريباً، تحادث هالي مع (**روبرت هوك** ROBERT HOOK) حول إمكانية التوصل إلى قانون عام للجاذبية يحكم حركة جميع أجرام الأسرة الشمسية. وقد أعلن (**كريستوفر رن**) عن مكافأة رمزية لمن ينجح في ذلك أولا. لكنهما أخفقا في ذلك. لذا فقد خطر ببال هالي في آب (أغسطس) عام ١٦٨٤م، استشارة العالم اللامع في كمبريدج إسحاق نيوتن.

فوجئ هالي عندما أخبره نيوتن بأنه توصل إلى حل مشكلة الجاذبية الكونية؛ لكنه يشعر بأنه قد ارتكب بعض الأخطاء الحسابية. لكن هالي نجح في إقناع نيوتن بضرورة التركيز لتقديم وصف شاف، لجميع العلماء في سائر بقاع العالم، يفسر حركة القمر، والكواكب، والمذنبات أيضاً.

أضحى مذنب عام ١٦٨٠م، المثال التوضيحي الأساسي لنظرية الجاذبية. كان نيوتن قد راقب هذا المذنب بنفسه. وبعد إلحاح هالي لمعت في ذهن نيوتن فكرة رائعة: فلو كان المذنب الذي اتجه مبتعداً عن الشمس في أواسط كانون الأول (ديسمبر) عام ١٦٨٠م، هو نفس المذنب الذي شوهد يقترب من الشمس بالاتجاه المعاكس في تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه، عندها يعني ذلك أن المذنب قد غير اتجاهه في هذه الفترة. قام نيوتن بإعلام هالي بأن المسار الصحيح للمذنب يشابه «قطعاً زائداً» بصورة

«تقريبية» . بعدها رسم نيوتن مخططاً توضيحياً ، وترك لهالي مهمة إجراء الحسابات الرياضية .

انكب هالي على إجراء الحسابات المعقدة . وفي عام ١٧٠٥ م ، بيَّن هالي أن المذنبات البراقة التي ظهرت في سماء الأرض في كل من الأعوام ١٥٣١ م ، ١٦٠٧ م ، و ١٦٨٢ م ، إنما هي **مذنب وحيد** ، يقترب من الأرض مرة كل حوالي ٧٦ سنة . وعليه فقد تنبأ بعودة هذا المذنب مرة أخرى في أواخر عام ١٧٥٨ م .

انتظر العلماء الأوروبيون مقدم مذنب هالي بفارغ الصبر ، وبالفعل فقد ظهر في الخامس والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) ١٧٥٨ م .

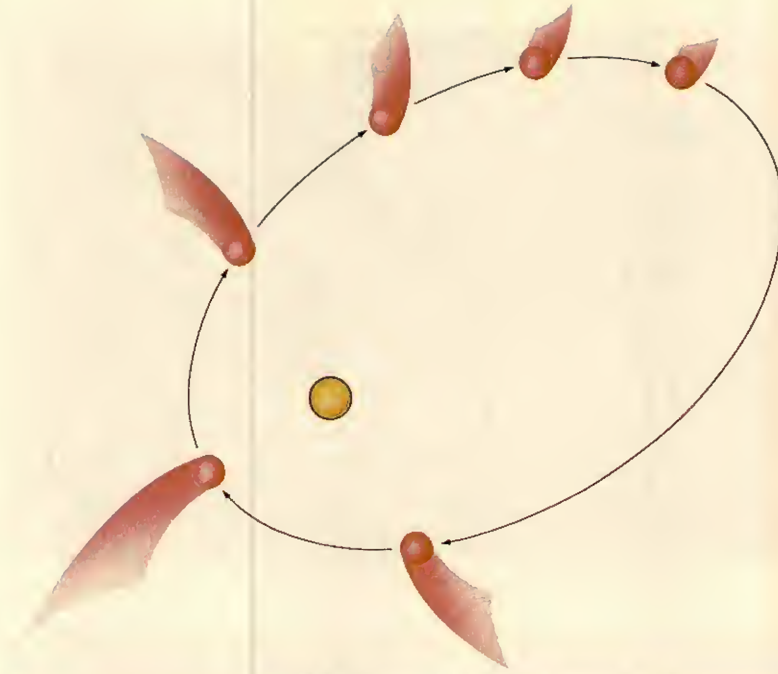
وتكرر ظهوره في عامي ١٨٣٥ م ، و ١٩١٠ م ، ويتوقع اقترابه في بواكير عام ١٩٨٦ م . وهذا يؤيد **«المسار الإهليلجي»** الذي اقترحه هالي ، وينفي المسار المستقيم الذي اقترحه كبلر لهذا المذنب أثناء ظهوره في عام ١٦٠٧ م . ومع الأسف لم يتمتع هالي برؤية الإثبات الرائع لفكرته ، فقد توفي في **غرينيتش** في عام ١٧٤٢ م .

وجد هالي بالحساب أن مذنبه يبتعد عن الشمس حتى ٣٥ وحدة فلكية (الوحدة الفلكية هي المسافة الوسطية التي تفصل الأرض عن الشمس وتقارب ١٥٠ مليون كيلومتر) . وفي ذلك الوقت كان ذلك رقماً قياسياً للمسافات . ففي بواكير القرن الثامن عشر الميلادي ، كانت الأسرة الشمسية تنتهي عند مدار زحل ، الذي يبتعد عن الشمس بصورة وسطية بحوالي ٩,٥٥ وحدة فلكية .

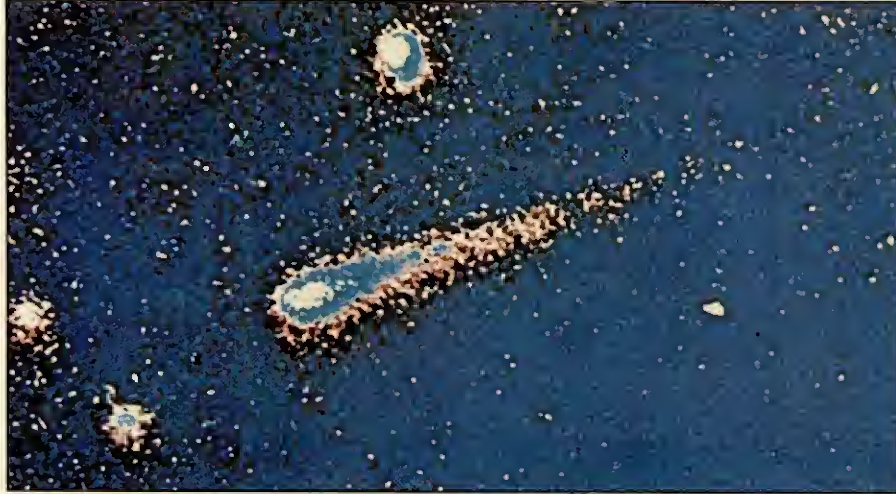
لكن الفلكيين المعاصرين يعرفون أن هالي ليس أبعد المذنبات عن الشمس . وهناك عدد كبير من المذنبات التي تنقض من أعماق الفضاء على الشمس . بعض هذه المذنبات يتأثر بقوى جذب الكواكب العملاقة ــ **المشتري وزحل** ــ فيبقى «مأسوراً» ضمن الجزء الداخلي من الأسرة الشمسية بضع عشرات آلاف السنين حتى تتفكك وتتلاشى .

مظهر المذنب

تتعذر مراقبة المذنبات ــ عموماً ــ بدون استخدام المرقاب (التلسكوب) إلا أن بعضها



★ ذيل المذنب يتجه مبتعداً عن الشمس في جميع الحالات ★

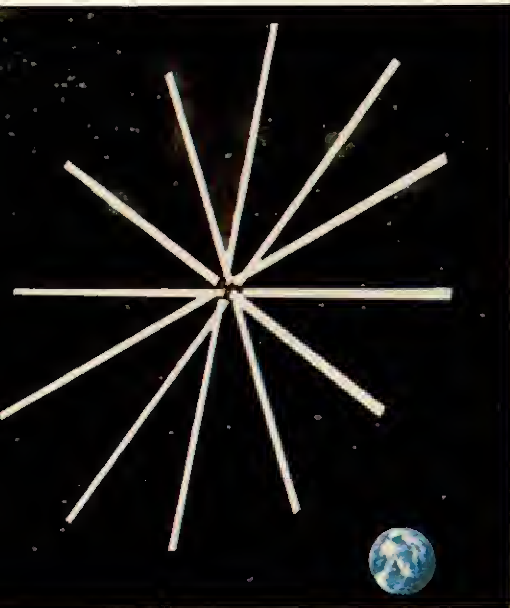


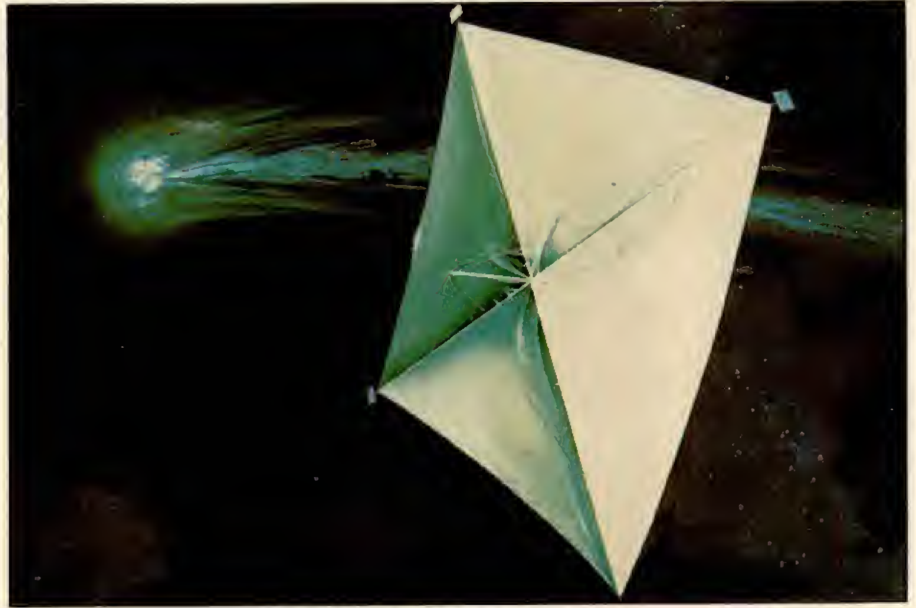
★ ظهر مذنب كوهوتك KOHOUTEK في عامي ١٩٧٣ ــ ١٩٧٤ م ★

يصبح في بعض الحالات الخاصة شديد البريق ، يسمح برؤيته بالعين المجردة . وتجدر الإشارة هنا إلى أن كل مذنب يتميَّز بمظهر خارجي خاص به ، قد يتغيَّر بشكل ملموس ، خلال فترة زمنية قصيرة لا تتعدى بضعة أسابيع أحياناً ، إذا كان المذنب قريباً من الشمس . ورغم ذلك يمكن القول إن البنية العامة لجميع المذنبات تبدو متقاربة إلى حد بعيد .

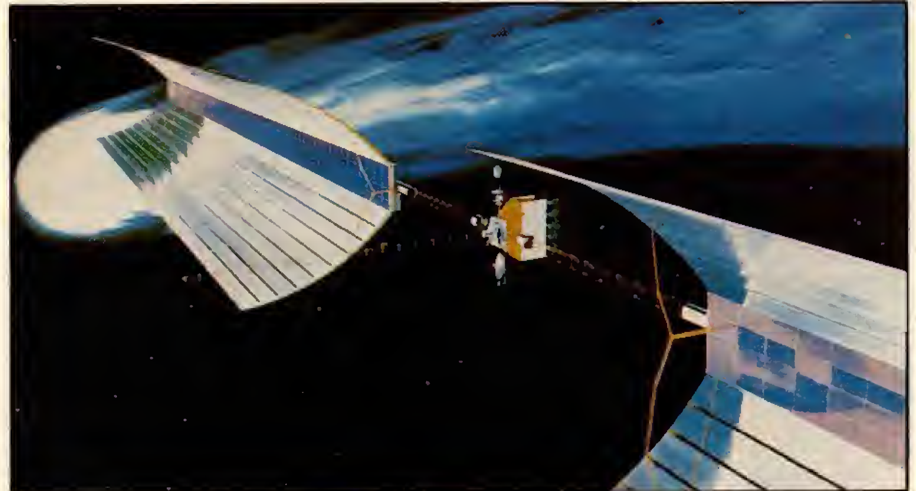
يتكون المذنب من **رأس** (أو نواة) براق ، تحيط به (**ذؤابة** COMA) أقل بريقاً ، ومن (**ذيل** TAIL) يتشكل عادة أثناء اقتراب المذنب من الشمس ، علماً أن الذيل يتجه في جميع الحالات مبتعداً عن الشمس إلى مسافات شاسعة غالباً .

يتصاعد بريق المذنب بصورة ملموسة عند اقترابه من الشمس وهنا يتم عكس جزء كبير من ضوء الشمس بصورة مباشرة ، إلا أن جزءً من البريق الذي تراه العين قد يتولد ضمن المذنب نفسه نتيجة التسخين الشمسي . عندما يكون المذنب بعيداً جداً عن الشمس لا يظهر له أي ذيل مرئي . وحالما يبدأ بالاقتراب من الشمس إلى حد كاف ، عندها يبدأ الجليد والمواد الأخرى في جسم المذنب بالانصهار ، فتنطلق الغازات التي تشكل الذؤابة المحيطة بالنواة .





★ ثلاثة أنواع من المركبات اقترحها العلماء الأميريكيون في أواخر السبعينات لدراسة مذنب هالي في عام ١٩٨٦م ★



عندها يتآزر الضغط والإشعاع القادمان من الشمس على تبخير الجسيمات الدقيقة من النواة، وتنطلق في الفضاء، لتشكل الذيل الذي يتجه مبتعداً عن الشمس. بعد الدوران حول الشمس والبدء برحلة العودة، يبدو المذنب وكأنه «يدفع ذيله أمامه». وعلى هذه الشاكلة، **يفقد المذنب جزءً من كتلته الأصلية في كل مرة يقترب فيها من الشمس**. ولهذا السبب نجد أن المذنبات صغيرة المدارات، التي «تتردد» على الشمس خلال زمن قصير باهتة جداً، بينما تتحرك المذنبات البراقة على مسارات طويلة جداً.

تتعرض المذنبات لتحولات هامة وتبدلات سريعة أثناء تواجدها بالقرب من الشمس. فعلى الرغم من أن الذيل قد يمتد مئات ملايين الكيلومترات، فإن كتلة معظم المذنبات صغيرة جداً، مما يسهل انحرافها عن مسارها الأصلي، نتيجة تأثرها بقوى جذب كواكب الأسرة الشمسية، ولا سيما كوكب المشتري أكبر كواكب المجموعة الشمسية. وقد يؤدي ذلك إلى تغير مسارات المذنبات بمرور الزمن؛ مما يصعب التنبؤ المسبق بمواقعها في فترة زمنية محددة.

ليس هذا فحسب، ففي بعض الحالات قد يتحطم المذنب، وربما يفشل في التحرر من قبضة جذب الشمس بصورة نهائية، كما حدث مع مذنب (**بيلا BIELA**) الذي انقسم إلى شطرين في عام ١٨٤٥م.

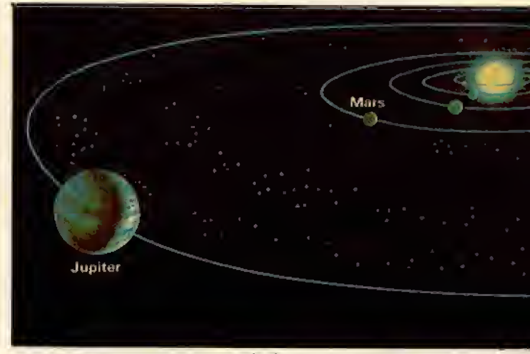
تصنيف المذنبات

بلغ عدد المذنبات المعروفة في عام ١٩٨٠م، ٦٦٦ مذنباً، قام الفلكي الأميريكي (**أرماند ديلسيم** ARMAND DELSEMME) من جامعة **توليدو** بولاية **أوهايو** بتصنيفها إلى المراتب التالية:

● **مرتبة (كوهوتك KOHOUTEK):** تتكون من حوالي ١٠٠ مذنب، تأتي من مسافة هائلة تتراوح بين ١/٢ و ١,٠ سنة ضوئية، أو حوالي ٣٥,٠٠٠ حتى ٦٠,٠٠٠ وحدة فلكية (بعد الأرض عن الشمس). تتميّز مذنبات هذه المرتبة بسرعتها الكبيرة جداً قرب الشمس.

● **مرتبة (ويست WEST):** تتكون من حوالي ٤٥٠ مذنباً، تصل إلى الشمس على مسارات قد يستغرق إكمالها حتى مليوني سنة. تمت مشاهدة ويست نفسه في عام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦م، بعد مدار «طوله» ١٦,٠٠٠ سنة.

● **مرتبة (هالي HALLEY):** هناك ١٦ مذنباً تتم دورتها حول الشمس في فترة زمنية تقل عن ٢٠٠ سنة. لا يبتعد أي منها بشكل كبير عن مدار كوكب **نبتون**. يعتبر هالي أشدها بريقاً.



★ يعتقد بعض العلماء أن أصل المذنبات كوكب قديم تهشم بين المريخ والمشتري ★

● **مرتبة (بونس ــ وينيك PONS – WINNECKE)** : هناك حوالي ١٠٠ مذنب تدور حول الشمس على مدارات صغيرة ، تتراوح بين ٥ و ٢٠ سنة . بونس ــ وينيك نفسه تستغرق دورته حول الشمس حوالي ست سنوات ، وتمثل عودته في عام ١٩٨٣ م ، الزيارة المسجلة رقم ١٩ . تعاني مذنبات هذه المرتبة من ضياعات كبيرة ، نظراً لحرف مساراتها تحت تأثير قوى جذب الكواكب .

● **مرتبة (إنك ENCKE)** : قام بإضافتها **نيفل كالدر** ، وتتكون من مذنب وحيد ، يدور حول الشمس على مدار « مأمون » نسبياً بين الكواكب الداخلية للأسرة الشمسية ، ويتم دورة كاملة مرة كل ٣,٣ سنوات . عودته في عام ١٩٨٤ م ، هي الزيارة المدونة رقم ٥٣ .

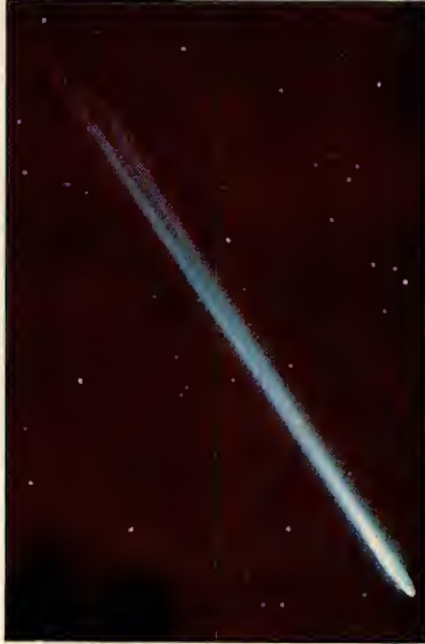
أصل المذنبات

في القرن التاسع عشر الميلادي ، قيل إن « البراكين » الموجودة في كوكبي المشتري وزحل ، هي التي تقذف بالمذنبات إلى الفضاء . وعندما أشار المعترضون على هذا الرأي أن قوة الانبثاق البركاني يجب أن تكون خارقة لحدود التصور حتى تتمكن من دفع المذنبات بهذه السرعات الكبيرة ، على الرغم من قوة الجذب العملاقة لهذه الكواكب ؛ اقترح أنصار هذا الرأي أقمار المشتري وزحل كمصدر بديل للمذنبات . وفي عام ١٩٧٩ م ، قامت مركبة الفضاء الأمريكية **فوياجير ــ ١** ببث صور للانبثاقات البركانية في قمر المشتري أيو ، لكنها لم تجد أي مذنب ينطلق من البركان .

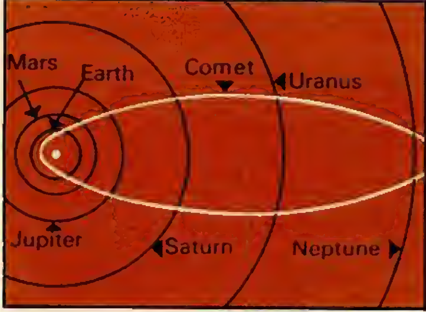
في عام ١٩٧٨ م ، أعرب (**توماس فان فلاندرن** THOMAS VAN FLANDERN) من جامعة ولاية واشنطن عن اعتقاده بأن المذنبات أتت من كوكب كبير نسبياً ، كان يدور حول الشمس بين مداري **المريخ** والمشتري ، لكنه تحطم قبل خمسة ملايين سنة فحسب . وأضاف فلاندرن : إن معظم مادة الكوكب « المنكوب » قد غادرت المجموعة الشمسية إلى غير رجعة ، لكن بعض شظايا نواته حافظ على مدار الكوكب الأصلي نفسه ، ضمن حزام الكويكبات (ASTEROID) بين المشتري والمريخ . ويعتقد فلاندرن أن المذنبات التي نراها في أيامنا هذه ، ما هي إلا بعض شظايا هذا الكوكب التي تم قذفها إلى مسافة بعيدة وقتها ، وهي تعود أدراجها إلى الشمس حالياً .

هذه الفرضيات ترجع أصل المذنبات إلى كواكب المجموعة الشمسية ، على عكس النظريات الأخرى التي ترجعه إلى الفضاء الفاصل بين النجوم . يصور (**ويليام نابير** WILLIAM NAPIER **وفيكتور كلوب** VICTOR CLUBE)


★ مذنب بروكس BROOKS ★


★ المذنب الكبير GREAT COMET ★


★ مذنب هالي HALLEX ★



★ مدار مذنب هالي ★


★ مذنب دي شيسو DE CHESEAUX ★


★ نيزك منفجر في جو الأرض ★

الشمس على أنها تمر مرة كل ٣٠ إلى ٥٠ مليون سنة خلال واحد من أذرعة مجرتنا ــ **درب التبانة** ــ وهناك تمر الشمس عبر سحب من الغبار، تنجح قوة جذب الشمس في تكثيف جزء منها إلى مذنبات جديدة. ويعتقد أنصار هذه النظرية أن آخر عملية «تخليق» انتهت قبل حوالي ١٠ ملايين سنة، وأن إمداد الشمس بالمذنبات الجديدة يتناقص بصورة سريعة.

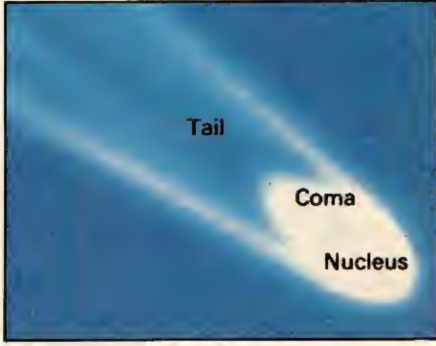
في عام ١٩٣٢م، بيّن (**أرنست أوبيك** ERNST OEPIK) بالحساب إمكانية وجود سحابة غير مرئية مكونة من المذنبات والنيازك (الشهب) محيطة بالأسرة الشمسية على مسافة بعيدة، محفوظة منذ ميلاد الأسرة الشمسية قبل حوالي ٤,٦ مليارات سنة.


★ وابل من النيازك ★

وفي عام ١٩٥٠م، قام الفلكي الهولندي (**جان أورت** JAN OORT) بإعادة النظر في حسابات أوبيك، ليجد أن هناك هالة عملاقة تشكل «سواراً» من الأنقاض الكونية، يحيط بالأسرة الشمسية برمتها. وأعرب (أورت) عن اعتقاده بأن هذه الحلقة العملاقة قد تكون «ملجأ» لحوالي ١٠٠ مليار مذنب، على بعد يتراوح بين ١٠,٠٠٠ و ١٠٠,٠٠٠ وحدة فلكية.

ولكن **كيف تغادر المذنبات هذا «الملجأ» وتتجه إلى الشمس في بعض الأحيان؟** أجاب (**أورت**) على هذا التساؤل بقوله: إن اقتراب أحد النجوم من سحابة أورت بشكل كاف، قد يؤدي إلى اضطراب مسارات المذنبات، مما يؤدي إلى «اقتلاع» بعضها، فيتخذ مساراً جديداً يدفع به نحو الشمس.

وفي عام ١٩٨١م، بيّن (**جاك هيلز** JACK HILLS) من معهد التكنولوجيا التابع لجامعة كاليفورنيا، وجود حوالي ١٠,٠٠٠ مليارات مذنب إضافي ضمن سحابة أورت الأصلية، تشكل حلقة «صغيرة» في داخل السوار الكبير. ونشرت مجلة «**ساينتيفيك أميريكان**» أن هيلز يعتقد أنه يحدث مرة كل حوالي ٥٠٠ مليون سنة أن يقترب نجم عابر إلى مسافة قريبة جداً من الشمس، بحيث يقتلع بعض هذه المذنبات من مداراتها المستقرة؛ مما قد ينجم عنه انعكاسات خطيرة على كوكبنا الأرضي؛ إذ سيصل



★ بنية المذنب ★

إلى المنطقة التي يحتضنها مدار الأرض حول الشمس حوالي مليار مذنب، خلال فترة زمنية تتراوح بين ١٠٠,٠٠٠ و ١,٠٠٠,٠٠٠ سنة، يصدم الأرض منها ــ حسب افتراض هيلز ــ ١٠ ــ ٢٠٠ مذنب.

ممَّا يتكون المذنب؟

منذ عام ١٨٦٨م، وجد (**ويليام هوغينس**) تطابقاً جزئياً بين طيف أحد المذنبات مع طيف **الغاز الطبيعي**. وهكذا توصل هوغينس إلى اكتشاف احتواء المذنبات على بعض المواد العضوية (مركبات عنصر الفحم). وفي العام التالي تمكن من كشف **السيانيد** أو (السيانور CN) المكوّن من ذرات عنصري الفحم والآزوت (**النتروجين**) في ذيل أحد المذنبات. وكان من المعروف وقتها أن السيانيد ينضوي تحت مجموعة المواد السامة. وحيث إن الأرض كانت على موعد مع هالي في عام ١٩١٠م، لذا فقد انتشر الذعر بين الناس، متجاهلين «خفة» ذيل المذنب، وأن الخطر الحقيقي لسم المذنب أصغر بمرات من خطر التلوث الصناعي في المدن الكبيرة.

كانت ردود فعل البشر في بواكير القرن العشرين الميلادي، مثيرة للغاية. وعلى سبيل المثال، فقد نشرت الصحف في ولاية **كاليفورنيا** عناوين غاية في الغرابة قبل أيام من اقتراب المذنب في ١٨ أيار (مايو) ١٩١٠م: «المذنب قادم، وصلاح الأزواج»، «قل، ألم تمت بسم السيانيد بعد؟»، «الجنس البشري بكامله يستعد لحمام غازي مجاني».

يعتقد (**ميتون** MITTON) أن المذنبات تتكون من الغازات، والغبار ومختلف أنواع المواد المتجمدة بنسب قد تتباين من مذنب إلى آخر، أما كتلة المذنبات فهي صغيرة جداً، ولا يتوقع أن يزيد قطر النواة الصلبة عن بضعة كيلومترات فحسب، وهذا يجعلها صغيرة جداً تستعصي على المراقبة المباشرة في الأحوال العادية. أما عند اقتراب المذنب من الشمس فإن المواد الجليدية تتبخر، ويرافق ذلك زيادة ملحوظة في نشاط الغبار.

إذن كيف السبيل إلى تحديد التركيب الكيميائي للمذنب؟ يستعين العلماء في هذا المجال بالتحليل الطيفي للضوء الصادر عن المذنب، فهو يمثل «بطاقة شخصية» تفضح العناصر الكيميائية الداخلة في تركيبه. ويشير **ميتون** في كتابه «علم الفلك ASTRONOMY» أن المكونات الرئيسة للمذنب هي عبارة عن جزيئات بسيطة صغيرة الوزن تحتوي على العناصر التالية: الفحم (الكربون C)، الآزوت (النتروجين N)، الأكسجين (O)، والهيدروجين H. ومن الأمثلة على تلك الجزيئات C2، CH، NH، OH و CO.

ممَّا يتكون الذيل؟ بما أن الذيل ينمو ويتسع بشكل مثير عند اقتراب المذنب من الشمس، فلا بد أن تكون الشمس هي المسؤولة عن تشكله أصلاً. ويعتقد العلماء أن المسؤول عن ظهور الذيل هو التسخين بواسطة أشعة الشمس و«ريحها» المؤلفة بالدرجة الأولى من الإلكترونات والبروتونات السريعة، التي تحمل شحنات كهربائية، تحرض الجزيئات في ذيل المذنب على إصدار الضوء والإشعاعات الأخرى. **ويُعتقد أن الذيل يتكون من جزيئات الغاز أو من جسيمات الغبار أو من كليهما معاً.**

يفقد المذنب الذي يقترب من الشمس خلال دورات قصيرة نسبياً بعض المواد التي تكون نواته، ويعتقد ميتون أن «**الضياعات**» قد تصل إلى واحد بالمائة في كل دورة. وبعبارة أخرى فإن كثرة تردد المذنب على الشمس يؤدي إلى تناقص شدة بريقه بشكل ملموس. ويُعتقد أن هذا ما تعرض له مذنب (إنك ENCKE)، الذي يزور الشمس مرة كل ٣,٣ سنوات.

المذنب والأنفلونزا

في نهاية العقد الماضي أعلن الفلكيان الفيزيائيان (**السير فريد هويل** SIR FRED HOYLE) و(**تشاندرا ويكراماسينغ** CHANRA WICKRAMASINGHE) في إنكلترا أن «**الحياة في الأرض بدأت في المذنبات، وأن المذنبات ما زالت تجلب الأمراض إلى الأرض** حتى أيامنا هذه».

المذنبات حسب هذه النظرية عبارة عن «كرات من الثلج» مغطاة بالمواد الغذائية الكونية، ذابت جزئياً فيما بعد. وفي فترة ميلاد المجموعة الشمسية، قامت كل كرة ثلج بتجميع مواد كيميائية كربونية، والمواد الأخرى الضرورية للحياة على سطحها من سحب الغبار الموجودة بين النجوم.

ولا يتسع المجال هنا للخوض في تفاصيل هذه النظرية حول أصل الحياة، وانتشار الأوبئة في الأرض، لا سيما موجات الأنفلونزا في عامي ١٩٥٧م، و١٩٦٨م. وأكتفي هنا بذكر تقييم الفلكيين وعلماء الأحياء في بواكير الثمانينات لهذه الفرضية، كما أوردها **نيغل كالدر** في كتابه «المذنب قادم»:

*

(أ) حملت المذنبات تنوعاً غنياً من المواد الكيميائية للأرض الوليدة (**معقول**).

*

(ب) بمقدور الحياة أن تنشأ في نوى المذنبات (**مشكوك به**).

*

(جـ) عدوى بعض الأمراض تنتقل بواسطة الهواء بصورة أسهل من الاحتكاك المباشر (**ممكن**).

★ صورتان لمذنب ويست WEST إحداهما من تكوين الحاسب الإلكتروني ★



(د) الأمراض تأتي من المذنبات الحالية (غير مقبول).

دراسة المذنبات

معرفة البشرية الحالية بالمذنبات محفوفة بكثير من التكهنات والتصورات المبنية على الحساب والافتراض ، ما زالت بحاجة للتمحيص العلمي ، المبني على القياسات التجريبية .

ولتحقيق هذه الغاية ، وللتوصل إلى كشف طبيعة المذنبات وتركيب مادتها الكيميائي ، لا بد من انتظار اقتراب مذنب « ديناميكي » ، فتي نسبياً ، لم يقترب من الشمس إلا مرات محدودة ، يحافظ على كمية كبيرة من الغازات في الحالة المتجمدة في نواته . وهذا ما حدا بالعلماء إلى استبعاد مرتبة المذنبات قصيرة الدورة على الفور . فهذه المذنبات تتم دورة كاملة حول الشمس في أقل من ١٢ سنة ، فهي تقضي بذلك معظم وقتها على مقربة من الشمس ، وهذا يكلفها تسامي كميات كبيرة من غازاتها ، وبالتالي اضمحلال المذنب بسرعة كبيرة .

وعلى العكس فإن أنسب المذنبات للدراسة العلمية هي المذنبات « الوليدة » ، التي تصل إلى الشمس على مدارها الإهليلجي الكبير للمرة الأولى . إلا أن هذه المذنبات تجلب معها نقيصة لا يستهان بها : فهي تظهر بشكل مفاجئ غير متوقع ، بصورة لا تتيح للعلماء الوقت الكافي للاستعداد لتنفيذ برنامج مراقبة واسع النطاق .

لم يجد العلماء بداً من السعي إلى حل وسط بين المذنبات النشيطة طويلة الدورة ، وتلك « الهرمة » قصيرة الدورة ، فلم يجدوا غير مذنب هالي ، الذي قدم أثناء ظهوره الأخير في عام ١٩١٠ م ، استعراضاً مقنعاً جداً ، وقام بتطوير ذيل يتجاوز طوله ٣٠ مليون كيلومتراً .

بينت الحسابات أن هالي سيعود إلى الاقتراب من الشمس في بواكير عام ١٩٨٦ م . وهذا ما حدا بالعلماء ومهندسي ريادة الفضاء للتفكير بمركبات الفضاء ممكنة الاستخدام لدراسة هذا المذنب عن كثب ، منذ بواكير السبعينات . وعلى التوازي تنامت فكرة إنشاء شبكة مراقبة أرضية عالمية ، تقوم بتوضيب نتائج قياسات المركبات الفضائية أولا بأول .

وفي عام ١٩٧٩ م ، قام العالم الأميركي (**لويس فريدمان** LOUIS FRIEDMANN) بتقديم اقتراح مشروع متكامل عن هذا الموضوع إلى هيئة بحوث الفضاء والطيران الأميركية (**ناسا** NASA) .

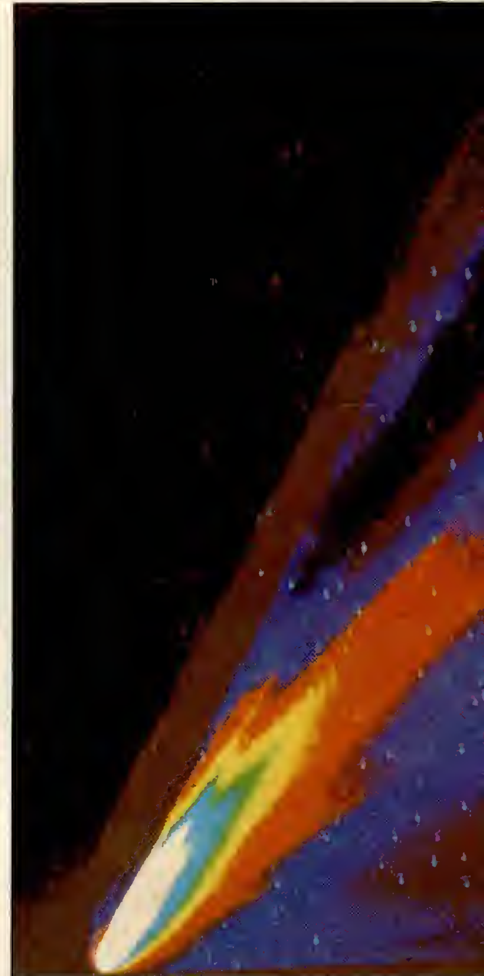
في ذلك الوقت كانت ناسا تسعى للحصول على التمويل الحكومي اللازم لرحلة فضائية إلى هالي ، تنوي إجراءها بالتعاون مع **هيئة الفضاء الأوروبية (إيسا ESA)** . وقد أثمرت الاتصالات الأولى مع الفلكيين الأوروبيين تشكيل ما يسمى « **بمجموعة العمل العلمي** » ، التي قامت بدورها بتطوير فكرة « **مراقبة هالي العالمية** INTERNATIONAL HALLEY WATCH » (I H W) . بعدها أعرب ما ينوف عن ٨٠٠ فلكي ينتمون إلى ما يزيد عن ٤٠ دولة عن استعدادهم للمشاركة في أعمال المتابعة والمراقبة الأرضية .

تم تتويج تحضيرات لتعاون دولي بعقد اتفاق بين (إيسا) **والاتحاد السوفييتي** يتعهد فيه السوفييت بتقديم موقع المذنب الذي تقيسه المركبات السوفييتية أولا بأول : فمن أن تقترب المركبة السوفيتية (فيغا ــ ١ VEGA-1) من المذنب في السادس من آذار (مارس) ١٩٨٦ م ــ أي قبل المركبة الأوروبية **غيوتو** GIOTTO ، بأسبوع كامل ــ حتى مسافة ١٠,٠٠٠ كيلومتر . وهذا يسمح بتحديد للموقع أدق من جميع القياسات الممكنة من سطح الأرض ، ولا سيما أن هالي سيكون في الأسابيع التي تسبق ذلك خلف الشمس ، فهو لا يظهر إلا في سماء النهار فحسب .

مقابل ذلك ستقوم ناسا بتسخير « **شبكة**

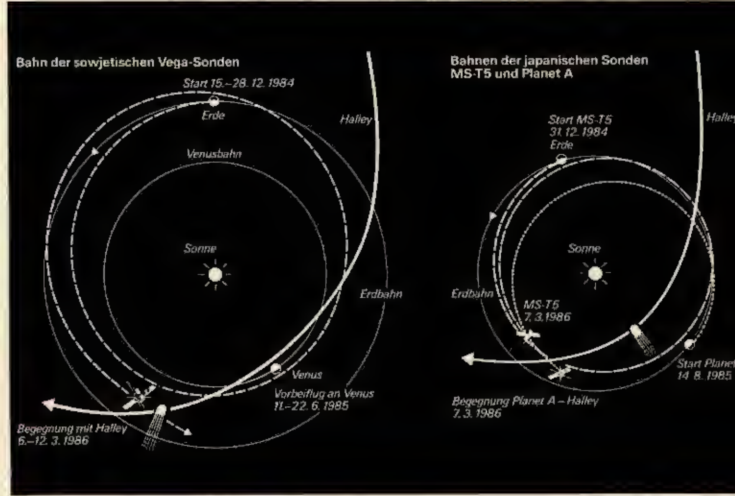


★ صورة نادرة تجمع مذنب ويست (في الأعلى) مع أحد النيازك (في الأسفل) ★





★ فوهة على سطح القمر بفعل المذنبات ★



★ الملتقى العالمي لمذنب هالي في آذار (مارس) عام ١٩٨٦ م، تشارك فيه مركبة أوروبية، ومركبتان سوفياتيتان ومركبتان يابانيتان ★

أعماق الفضاء DEEP SPACE NETWORK لتحديد مسار مركبة **ڤيغا**، وتقديمه للسوفييت.

تجدر الإشارة هنا إلى أن المهمة الأساسية «لمراقبة هالي العالمية» في الدراسة الفلكية للمذنب، ومتابعة الظواهر في ذؤابته المحيطة بالنواة، بالإضافة إلى البنية الرئيسة لذيل المذنب.

التسابق الدولي

في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٨٤ م، نشرت مجلة «صورة العلم» الألمانية، استعداد البشرية لإطلاق سبع سفن فضائية لدراسة هالي عن كثب في الأشهر الأولى من عام ١٩٨٦ م.

ففي كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٨٤ م، تنطلق المركبتان السوفييتيتان ڤيغا ــ ١، وڤيغا ــ ٢، إلى هالي، وفي حزيران (يونيو) عام ١٩٨٥ م، ستمران بالقرب من كوكب **الزهرة**، ليقوم كل منهما «بقذف» مجس يتغلغل في غلاف الزهرة الجوي، بعدها ستقومان بدورة كاملة تقريباً للالتقاء بهالي في الأيام الأولى من آذار (مارس) عام ١٩٨٦ م، وستقوم هاتان المركبتان بإجراء ١٠ تجارب مختلفة، منها دراسة طيف الغبار، وطيف الغاز غير المشحون، وكشف الجسيمات عالية السرعة. ويتعاون العلماء السوفييت في هذه المجالات مع بعض العلماء الذين ينتمون إلى دول مختلفة: **ألمانيا الاتحادية، فرنسا، النمسا، هنغاريا، بلغاريا، تشيكوسلافاكيا، وبولونيا**.

وفي ١٠ تموز (يوليو) عام ١٩٨٥ م، قام

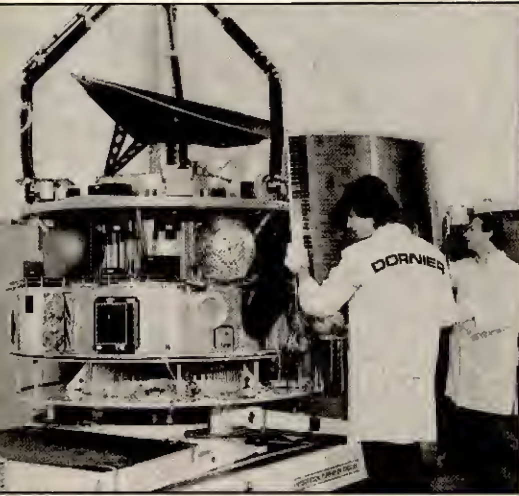


★ مذنب إيكيا ــ سيكي في عام ١٩٦٥م ★

صاروخ أوروبي من طراز (**أريان** ARIANE) برفع مركبة الفضاء الأوروبية (**جيوتو** GIOTTO) ، التي ستجري بدورها عشر تجارب أخرى على هالي . ومن المفروض أن تقوم جيوتو بالاقتراب من نواة هالي حتى مسافة ٥٠٠ كيلومتر ، مخترقة بذلك الأجزاء القريبة من النواة لذؤابة المذنب ، التي يتوقع أن تكون حاوية على كمية كبيرة من جسيمات الغبار ، المرافقة للغازات المتسامية من النواة .

★ المذنب هالي كما ظهر وهو يمر أمام الشمس في عام ١٩١٠م ، وتبدو الزهرة VENUS في أعلى اليمين ★





★ نظرة أخيرة إلى مركبة جيوتو وتركيب الخلايا الشمسية لتوليد كهرباء المركبة الأوروبية ★

الصينيون أيضاً يشاركون في هذا العمل العلمي . فهم سيقومون بإرسال بعض المناطيد المزودة بالمراقب إلى طبقات الجو العليا لكوكبنا الأرضي .

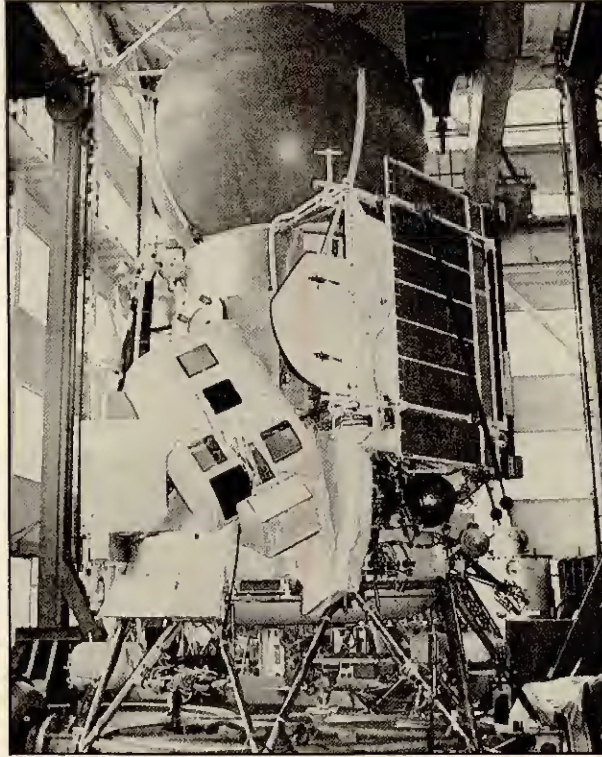
اليابان أيضاً لم يفتها شرف المساهمة في هذا المشروع العالمي ، عبر إطلاق أولى مركباتها التي تصل إلى الفضاء الفاصل بين كواكب الأسرة الشمسية : « **بلانيت ــ أ** PLANET - A » (أي الكوكب ألف) . وكذلك عبر مركبة مماثلة تقريباً (MS - T5) أطلق عليها اسم « **المنطاد التجريبي** » .

إن حداثة عهد اليابانيين بريادة الفضاء يجعلهم « متواضعين » في الدقة المرغوبة في إصابة الهدف ، وسيكتفون باقتراب بلانيت ــ أ حتى مسافة ١٠,٠٠٠ كيلومتر . ومن البديهي أن يركز اليابانيون على تلك القياسات التي تقدم نتائج مفيدة من هذه المسافة . لذا فقد تم تزويد بلانيت ــ أ بعدسة أشعة فوق بنفسجية ذات مضخم صور

إلـكتروني (CCD + CHARGE COUPLED DEVICE) ؛ لتصوير ذؤابة المذنب ، ولقياس التوزع الفراغي (ثلاثي الأبعاد) لبلازما ريح الشمس (الغازات الموجودة في حالة تأين ، والقادمة من الشمس) . أما « المنطاد التجريبي » الذي سيمر قرب المذنب في الوقت نفسه تقريباً على مسافة تقارب ١٠ ملايين كيلومتر فسيقوم بدراسة عدم استقرار البلازما ، وسرعة تدفق ريح الشمس حول نواة المذنب .

الموعد المنتظر

قام **دونالد يومانس** من هيئة (ناسا) بالتنبؤ بشدة بريق هالي في مختلف المراحل ، أثناء تبدل موقعه في السماء . أثناء اقتراب المذنب من الأرض سيكون غير مرئي للعين المجردة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥ م . في أواخر كانون الأول (ديسمبر) قد يتمكن المرء من العثور عليه بواسطة « منظار مقرب مزدوج BINOCULAR » بعد غروب الشمس . وسيكون مرئياً للعين المجردة في الأسبوع الثالث من كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦ م ، بعد الغروب عند الأفق الغربي ، لكنه لن يكون أشد بريقاً من نجم باهت . بعدها سيمر المذنب خلف الشمس فيضيع في ضوء الشمس الساطع .

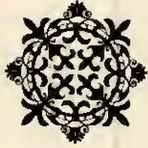


★ المركبة السوفييتية فيغا ★

بعد أن يصل إلى الجانب الآخر من الشمس ، يصبح هالي مرئياً من الأرض قبل الفجر بفترة وجيزة . في نهاية شباط (فبراير) قد تتمكن العين المجردة من رؤيته قبل شروق الشمس بساعة واحدة . بعدها سيشرق المذنب أبكر فأبكر كل يوم ، متجهاً أثناء ذلك نحو الجنوب . في ٧ آذار (مارس) سيكون على خط واحد تقريباً مع القمر . وفي أواسط آذار (مارس) سيمتد الذيل عبر ١/٦ (سدس) السماء أو أكثر من ذلك .

في ١١ نيسان (أبريل) يصل هالي إلى أقرب مسافة من الأرض ، وسيوضع في مركز القبة السماوية فوق **أستراليا ، نيوزيلندا ، والأرجنتين** ، وسيكون براقاً نسبياً . لكنه سيكون منخفضاً جداً في الأفق الجنوبي للناظر إليه من شواطئ البحر المتوسط ، وغير مرئي إطلاقاً من **شمال أوروبا** .

بعدها سيبدأ المذنب زحفه نحو الشمال ، لكن بريقه سيتناقص بالتدريج . **قد يتوصل المرء إلى أفضل مشاهدة في نصف الكرة الشمالي في الأيام الأخيرة من نيسان (أبريل)** . أما محاولة رؤية المذنب « المبتعد » في شهر أيار (مايو) فهي تتطلب استخدام مرقاب صغير .



المـراجـع

١ ـ م . سمير صلاح الدين شعبان ، ريح الشمس ، مجلة « **الفيصل** » ، العدد (٥٢) .

٢ ـ د . مظفر وسمير صلاح الدين شعبان ، البلازما ، الحالة الرابعة للمادة ، مجلة « **الفيصل** » ، العدد (٤١) .

٣ ـ J. MAN. ENCYCOPEDIA OF SPACETRAVEL AND ASTRONOMY. OCTOPUS, LONDON 1979.

٤ ـ I. NICOLSON. ASTRONOMY. HAMLYN, NEW YORK 1978.

٥ ـ K.F. SMITH. WIR UND DAS WELTALL. HUMBOLDT, MUENCHE 1971.

٦ ـ K. LINDNER. STERN HIMMEL. URANIA, BERLIN 1975.

٧ ـ H.V. DITFURTH. KINDER DES WELTALLS. KNAUR, MUENCHEN 1979.

٨ ـ S.F. MASON. HISTORY OF SCIENCES. COLLIER, NEW YORK 1977.

٩ ـ C. SAGAN. COSMOS. RANDOM, NEW YORK 1980.

١٠ ـ N. ARDLEY (ed). ENCYC LOPEDIA OF SCIENCE. WINDWARD, LONDON 1982.

١١ ـ D. L. MOCHÉ LIFE IN SPACE. A & W, NEW YORK 1979.

١٢ ـ D. CLARKE. ENCYCLOPEDIA OF GREAT INVENTORS & DISCOVERIES. CAVENDISH, LONDON 1978.

١٣ ـ C. RONAN. ENCYCOPEDIA OF ASTRONOMY. HAMLYN, NEW YORK 1978.

١٤ ـ M. BISACRE (ed). ENCYLOPEDIA OF SCIENCE AND TECHNOLOGY. CAVENDISH, LONDON 1979.

١٥ ـ M. BISACRE (ed). ENCYCLOPEDIA OF PLANET EARTH. CAVENDISH, LONDON 1979.

١٦ ـ J. MITTON. ASTRONOMY. SCRIBNERS, NEW YORK 1978.

١٧ ـ H.M. HAHN. 500 TAGE BIS HALLEY. BDW OKTOBER 1984.

١٨ ـ N. CALDER. THE COMET IS COMING. VIKING, NEW YORK 1980.

☆ ☆ ☆

التسابق الدولي إلى مذنب هالي

الدولة	الاتحاد السوفييتي		أوروبا إيسا	اليابان	
تسمية المركبة	VEGA – 1	VEGA – 2	GIOTTO	M5 – T5	PLANET – A
موعد الانطلاق	١٩٨٤ كانون الأول	١٩٨٤ كانون الأول	١٩٨٥ تمــوز	١٩٨٥ كانون الثاني	١٩٨٥ آب
نوع الصاروخ الحامل	PROTON	PROTON	ARIANE – 2	M – 3S II	M – 3S II
تاريخ اللقاء مع المذنب	٦_٣_٨٦	٩_٣_٨٦	١٣_٣_٨٦	٨_٣_٨٦	٧_٣_٨٦
المسافة إلى النواة (كم)	١٠,٠٠٠	٣,٠٠٠	٥٠٠	١٠ ملايين	١٠٠,٠٠٠
السرعة عند اللقاء (كم/ثا)	٨٠	٧٧	٦٩	المسافة بعيدة جداً	٧٥
البعد عن الشمس (وحدة فلكية)*	٠,٧٩	٠,٨٣	٠,٨٩	٠,٨١	٠,٨٠
البعد عن الأرض (وحدة فلكية)*	١,١٦	١,٠٩	٠,٩٨	١,١١	١,١٤
الوزن الإجمالي للمركبة (كغ)	١٠٠٠	١٠٠٠	٧٥٠	١٤٠	١٤٠
وزن الأجهزة العلمية (كغ)	١٤٤	١٤٤	٥٠	١٤	١٢
عدد أجهزة القياس	١٢	١٢	١٠	٣	٢
عدد عدسات التصوير	٣	٣	٢	–	١
عدد أجهزة مطياف الكتلة	٣	٣	٣	–	–
عدد أجهزة كشف الغبار	٢	٢	١	–	–
عدد أجهزة قياس البلازما	٣	٣	٣	٢	١
عدد أجهزة القياس المغناطيسية	١	١	١	١	–

* الوحدة الفلكية = ١٤٩ مليون كم

● اكتشافات علمية
● اكتشافات علمية
● اكتشافات علمية

طيور

ما السرّ في هذا التناسق العجيب الذي لا مثيل له في حركات دوران **طيور الرّف** المكوّن من مئات الألوف من أعداد الطيور وهي تهبط حلزونياً وبتدرّج حتى لتكاد ترى انعكاس بقايا أشعّة الشمس الغاربة على أجنحتها جميعاً في نفس الوقت.. وذلك في محاولة ناجحة للهروب من مفترسيها الكثر؟

بحسب ما يقول **عالم الحيوان (واين بوتس** Wayne potts**)** من **جامعة واشنطن** فإن رفوف الطيور تستخدم براعة غير عادية لأداء هذه الحركات المتناسقة الرائعة التي يتم التحكم فيها بوسائل متناظرة، لعلها أشبه ما تكون بحركات راقصي «**الكورس**» المنسجمة مع بعض.

وكل من يشاهد رفوف الطيور الكثيفة أثناء مناوراتها للهبوط وكيف أنّها تدور بسرعة وإحكام وانضباط مجموعات لا مثيل له وكأن بينها طرق تخاطب غير عادية ينصت لها جميع من في الرّف وينفّذها بيسر وسهولة ودقة، يندهش ويتمتع بآن واحد بهذا العرض الأخاذ.

وقد اختلفت الآراء حول سرّ هذا التناسق الدقيق المعجز في الحركة لآلاف الطيور مجتمعة، وقيل إنها تتبادل الأفكار بوسيلة ما أو أن هناك طريقة



براكين

في القرن السابع عشر قبل الميلاد، وبين حين وآخر كانت قرى كاملة تقع على **بحر إيجه** تختفي في البحر بعد أن تقلبها ثورات بركانية نشطة هائلة، وكانت هذه البراكين تلقي في طبقات الجوّ العليا، بالكثير من الرماد البركانيّ والغازات التي تحجب ضوء الشمس، مما يؤدي إلى خفض درجات الحرارة في مناطق شاسعة من الأرض.

وفي **غرب أمريكا الشماليّة** توجد أشجار صنوبر ضخمة pines تنمو عند قمم البراكين **وتعتبر من أقدم الأشياء الحيّة على الأرض**، وبحسب ما يقول العالمان **(فالموري لامارش** Valmore lamarche**)** و **(كاثرين هيرسشبويك** Katherine Hirschboeck**)** من **جامعة أريزونا** في **(توكسون)** فإن هذه الأشجار كانت تسجل هذه الثورات البركانيّة، وما ينتج عنها من تأثيرات في الجوّ بكل دقّة، وكان العلماء يعرفون منذ سنوات عديدة أن أشجار قمم البراكين الممتدة من **كاليفورنيا** إلى **كولورادو**، تُظهر في حلقات نموّ جذوعها السنوية آثار تضرّر واضحة، وبعد أقلّ من (٣٦) ساعة فقط من بدء ظهور الطقس المتجمّد الذي ينجم عن أيّ ثوران بركانيّ، ولأن هذه التضررات لم تكن من أي تأثير بيئيّ محلّي.

ويذكر **العالمان (لامارش) و (هيرسشبويك)** أنّهما تأكّدا من أن السبب في ظهور آثار هذه التضرّرات على

للتخاطب المغناطيسي الكهربي فيما بينها ، أو إن طيراً أو أكثر من أفراد الرّف يؤدي حركات معيّنة يفهم باقي أفراد الرّف ما المقصود منها .. فينحرفوا يميناً أو يساراً بردود فعل ملائمة لكل توجيه .

ويقول العالم (**بوتس**) إنه عثر على الجواب الصحيح بعد أن شاهد أفلاماً عديدة التقطها لحركات هبوط الرّف على الحركة البطيئة جداً ، وبعد أن قام بتحليل حركات طيور الرّف عن طريق تفحّص كل صور الفيلم وأطره ، فدوران الرّف يبدأ عندما يقوم أحد الطيور بالطيران المائل مرتداً نحو الرّف ، فتبادر الطيور القريبة منه إلى تبديل مسار طيرانها ببطء ، والطيور التي على طرف الرف تبدأ بالدوران ، فترى الطيور البعيدة عن الطرف موجة الحركة هذه وتوقيتها فتلتف معها تبعاً لتقديرها .

ويحدث التناسق الرائع في هذا الالتفاف تبعاً للتجاوب الذي تُبديه حركات الارتداد والالتفاف والموجة الدوّارة ، وإذا كان الطائر صاحب حركة الطيران المائل نحو الرّف بعيداً نسبياً عن الرّف فإن الطيور تستجيب بردود فعل أسرع لأن طيور الرّف جميعها تستطيع مشاهدة موجة المناورة الآتية نحوها ، ويستطيع الطائر تأخير أو توقيف موعد استجابة أو ردّ فعله بحيث تتطابق تماماً مع توقيت وصول الموجة إليه .

وقد التقط العالم (**بوتس**) صوراً لـ (٢٢) دورة التفاف متناسقة للرفوف وتبيّن له أنها جميعها تبدأ لدى قيام طائر أو اثنين من الرّف بحركة الاتّجاه المرتدّ إلى الرّف ، وعندما تصبح دورة المناورة للطائر المرتدّ في أوجها تكون سرعة الدوران (١٥) متراً في الثانية ، ثم تتّسع عملية المناورة ببطء لتتسارع حتى تتجاوز السرعة اللازمة لردود الفعل العاديّة ، **ولا تحدث مناورة الالتفاف إلا إذا كان الطائر البادئ بالحركة متجهاً نحو الرّف عائداً إليه داخلاً فيه** ، والتجاوب السريع مع حركة الطائر البادئ بالالتفاف هو الطريقة الصحيحة لتفادي التأخير في اتخاذ القرار .





هذا ومن المعروف أن الطيور الجارحة تميل إلى افتراس الطيور التي تنفصل عن الرّف ، وهذا قليلاً ما يحدث في رف الطيور ، وإذا حدث وانفصل أحد الطيور عن الرّف فلا يتبعه أحد من طيور الرّف .

ونرى في الصورة الكبيرة رفاً من طيور زمّار الرمل (**الطيطوي**) يهبط على الشاطئ عند الغروب حيث تلفّه الظلمة من الأعلى ونور الشمس من الأسفل ، والصور الصغيرة تُظهر بعض الحركات المتناسقة لعملية هبوط الرّف ، ويقول العالم (**بوتس**) : « **إن الدوران المتناسق للرّف لا يمكّن أيّ صقر أو باز من اختطاف أيّ طائر ليكون ضحيّته** » .



حلقات جذوع أشجار الصنوبر إنّما هو حدوث التجمّد بفعل درجات الحرارة المنخفضة التي كانت تعقب حدوث الثورات البركانيّة ، وعندما قاما بمقارنة الفترات التي حدثت فيها الثورات البركانية والفترات التي حدث فيها التجمد لآلاف السنين السابقة ، وجدا ارتباطاً مدهشاً لافتاً للنظر فيما بينها .

فبدراسة حلقات جذوع الأشجار ظهر فيها آثار للثورات البركانية الأربع التي حدثت فيما بين عام (١٨٨٢ م) إلى عام (١٩٦٨ م) ، التي ألقت بكميات كبيرة من الرماد والمخلّفات البركانية إلى طبقات الجو العليا ، وحتى أنهما وجدا آثاراً في بعض جذوع الأشجار لثورات بركان



جبل سانت هيلينز الذي ثار عام (٢٠٣٥) قبل الميلاد ، وهذه الآثار تشابه الترسّبات الغنية بالكبريت في ألواح جليد القارة القطبية (**أنتاركتيكا**) في (**جرينلاند**) وفي أمكنة أخرى من العالم .

وهذه التسجيلات الهامة على حلقات جذوع الأشجار عند قمم البراكين ، قدّمت للعلماء إمكانات هامة لقياس وتقدير مدى قوة الانفجارات البركانية القديمة ، وقدّمت أيضاً إمكانية التأريخ الصحيح لأزمنة حدوثها ولأزمنة حدوث فترات التجمّد ، وحتى إن العالمين المذكورين قد استطاعا تحديد التاريخ الذي حصل فيه ثوران **بركان (سانتوريني)** في بحر إيجه الذي أدّى إلى اختفاء قرى عديدة عام (١٦٢٦) قبل الميلاد .

ونرى في الصورة الكبيرة أشجار صنوبر قمم البراكين ، والصورة الصغيرة تُظهر آثار التضرّر الجليدي على نمو حلقات جذوع الأشجار لعام (١٨٨٤ م) التي ارتبطت بالثورات البركانية التي حدثت عام (١٨٨٣ م) .



• اللوحة :
موظفو نقابة متجري
المنسوجات :

● اللوحة المعروضة من أعمال المرحلة الأخيرة من إبداع الفنان حيث تفصلها ثلاثون عاماً كاملة عن لوحته الجماعية الفذة «درس التشريح على يد دكتور تولب» . وإذا كان فن اللوحات الشخصية الجماعية يوشك أن يكون فناً هولندياً خالصاً فإن «رمبرانت» كان الأبرز والأشهر من بين فناني القرن السابع عشر الذين ارتفعوا بهذا الفن ، وكان من بين هؤلاء المصورين «توماس دي كيسير» و«فرانز هالز» و«جان فيرمير» ، وقد طوّع رمبرانت مقتضيات هذا اللون من التصوير لتحقيق أهدافه في هذه اللوحة .

● جعل رمبرانت ركيزة لوحته هذه شخصاً غائباً عنها ، يفترض أنه التاجر الذي أقبل مطلاً على مجموعة الموظفين ، وبهذا تمكن من خلق مناخ من التوتر والحركة أو «الدراما» إن جاز القول في اللوحة . فالتاجر يطل على موظفي النقابة للحظة فتتوقف مداولاتهم ويتركز انتباههم على التاجر المقبل ، ناقلين إلى المشاهد الشعور بأنهم سيعكفون بعد لحظة على ما كانوا فيه .

● لعل أبرز سمات هذه اللوحة تحليل رمبرانت الدقيق للشخصيات التي يقدمها . حقاً إنه ما من حاجة تدعوه إلى إجبار ريشته على تملقهم ذلك أنه يميل بطبعه إلى تقدير بني وطنه جميعاً ، والنتاج النهائي هو تقويم بالغ اللماحية لرجال يلتفتون باحترام لعضو النقابة المقبل ، لكن التفاتتهم بعيدة عن الخنوع ، لأنها تلتف بوشاح الاعتداد بالذات .

● في اللوحة نفي للاتهام الموجه إلى رمبرانت بأنه صاحب الألوان المعتمة ، فالوجوه تتألق ، وعناق اللونين الأحمر والأصفر اللذين كان رمبرانت متعلقاً بهما يطلان من مقدمة اللوحة ، ثم هناك التوازن الرهيف بين شطري اللوحة حيث نرى في كل شطر مثلثاً من الوجوه دون أن يؤدي هذا إلى جمود اللوحة .

★ ★ ★

الفنان :
رمبرانت فان راين :

● ولد في ١٥ يوليو (تموز) ١٦٠٦م ، بمدينة ليون وتوفي بها سنة ١٦٦٩م ، عن ٦٣ عاماً .

● ولد لأب طحان رقيق الحال ، لكن ذلك لم يحل دون مواصلته التعليم في المدرسة اللاتينية حتى عامه الرابع عشر .

● أول أساتذته لا يزال مجهولا ، لكنه درس عقب ذلك على يد مصور في ليون يدعى «جاكوب فان سواينبرج» ثم درس على «بيتر لاستمان» في أمستردام وتأثر بالمصورين الإيطاليين «كارافاجيو» و«إلشايمر» .

● يعد أعظم فنان أرخ لحياته بصوره الشخصية وحلقت عبقريته من الصور الشخصية إلى اللوحات الجماعية وتألقت بصفة خاصة في الموضوعات الدينية .

● عاش حياة عاصفة تراوحت بين الوصول إلى قمة الشهرة والانحدار إلى هاوية الإفلاس ، لكن لوحته التي تصوره في عام رحيله تظهره راضياً بقدره متقبلاً الموت بتفلسف مرح .

● يعده النقاد واحداً من أعظم المصورين الذين استطاعوا التعبير عن تجليات الروح الإنسانية ليكون بذلك آخر فرسان الحرس القديم في التصوير قبل إطلال ما يعرف باسم «عصر المنطق أو العقل» .





على الأرض يتكاثر البشر..
وفي السماء تزداد النجوم

ليس طائر اللقلق stork هو الذي يلد النجوم، كما يقول المثل، بل إن النجوم stars تولد في الغاز والغبار الكوني للسدم Nebulas، مثل سديم ثلاثي الشقوق الذي نراه في (الصورة)، وحتى الآن فإن علماء الفلك astronomers يملكون المعرفة عن النهايات أكثر من البدايات، بمعنى إنهم يعلمون، ومنذ زمن طويل، كيف ينتهي النجم في السماء ويموت، ولكن لا يعلمون كيف تبدأ ولادته.

ولأن التلسكوبات البصرية على الأرض لا تستطيع أن توغل في أعماق سحب الغبار الكونية للسدم، لتكشف ما يجري بداخلها من عمليات تولد على أثرها النجوم، فقد أطلق هذه الغاية القمر الصناعي الفلكي الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء Isfrared (إيراس IRAS) إلى الفضاء يمسحه، واستطاع أن يمدنا بذخيرة من المعلومات الكونية عن كيفية ولادة ونشأة النجوم في السماء.

وقد ألقت هذه المعلومات ضوءً جديداً على السؤال الذي حيّر العلماء طويلاً.. وهو: هل نسبة ما يولد في السماء من نجوم تكافئ نسبة ما يموت؟.. أم إنه كما هو الحال على الأرض.. حيث لا تتناسب نسبة موت البشر مع نسبة ولادتهم، وبالتالي فإن أعداد البشر في ازدياد؟.

ولكي ينتج الشدّ الجذبي الذي سوف تبدأ منه عمليات ولادة النجوم يجب أن يتجمّع ما مقداره (١٠^{٥٧}) ـ (١٠) وإلى يمينها (٥٧) صفراً ـ ذرة من الهيدروجين، وذرات الهيدروجين هذه هي أكثر بكثير جداً من ذرات الرمل على شواطئ بحار ومحيطات الأرض كلها التي تقدّر بما مقداره (١٠^{٢٥}) ـ (١٠) وعلى يمينها (٢٥) صفراً ـ.

وهذا الكمّ الهائل من الذرات يجعل السحابة الكونية تنهار جذبياً collapse على نفسها، بحيث تبدأ في جوفها بدايات تشكّل النجوم، وتحت ضغط قوى الجاذبية الهائلة ترتفع درجات الحرارة لنسب عالية جداً، ولتبدأ على إثرها التفاعلات النووية الحرارية التي هي بداية حياة كل نجم، وعندما تبدأ هذه التفاعلات النووية الحرارية يبدأ النجم بطرح بعض من طاقته على شكل أشعة فوق بنفسجية ultraviolet، والطاقة التي ترتدّ من سحب الغبار المحيطة به يعاد إشعاعها على شكل أشعة فوق حمراء.

وقد استطاع القمر (إيرّاس) أن يكشف الكثير من نشاطات هذه المنابع الحرارية في مجال رصده في السماء، وبأكثر بكثير مما هو متوقع منه، وقدّر لمجرتنا درب التبّانة Milky Way أنها تنتج في كل عام نجماً واحداً بحجم شمسنا، كما اكتشف أنه يوجد في سحابة الغاز البين النجمي المظلمة (كاميليون chamaeleoni) ما لا يقل عن (٧٠) منبعاً حرارياً للأشعة تحت الحمراء، وهذه كلها مناطق تكوّن نجوماً حديثة ستولد، وفي السحابة الكونية الصغيرة (برنارد ٥ Barnard 5) وجد أربعة أماكن لولادات نجوم حديثة، كل نجم منها بحجم شمسنا تقريباً، وفي المجموع الكلي استطاع القمر (إيرّاس) خلال فترة وجوده في الفضاء التي استمرت حوالي (١٠) أشهر كشف ما لا يقل عن (٢٠٠,٠٠٠) منبع حراري في المناطق من السماء التي كانت ضمن مجال عمله، وهذه المنابع الحرارية جميعاً تمثّل ولادات لنجوم جديدة ستظهر في السماء.

ويقول العالم (تشارلس بيشمان) أحد العاملين في مشروع التلسكوب (إيرّاس): «لقد كان هذا عملاً رائعاً لأول تسجيل حيّ للولادات النجمية في السماء». وعالم الفلك (ريتشارد جرين) من مرصد (كيت بيك) يقدّر أن نسبة الموت النجمي السنوي صغير جداً ولا يتجاوز الـ (١٠$^{-١٤}$) نجم كل سنة ضوئية مكعّبة، ويعتقد بأنه بجوار شمسنا تكون النجوم التي تولد أكثر بـ (١٠) مرات من النجوم التي تموت، وعلاوة على ذلك فإن هناك نجوماً كثيرة تولد في السحب الكونية الكبيرة المنتشرة بكثرة لا تحصى في أرجاء السماء، يقابلها موت أقل للنجوم التي تشيخ، والنجم الذي تقدر كتلته بحجم شمسنا يظلّ يشعّ النور والحرارة لما لا يقل عن (١٠) آلاف مليون عام، بينما النجوم التي كتلتها بحجم (٢٥) من كتلة شمسنا، تعيش أقل، أي لحوالي (٩) آلاف



مليون عام ، والنجوم الأقزام الصغيرة تعيش طويلاً جداً ، حيث يقول أحد علماء الفلك ، وهو يضحك ، إنك تستطيع أن تقول إنها تعيش إلى الأبد .. وعلى هذا فلا خوف أبداً من نفاد الضوء أو الحرارة من شمسنا التي ستظل تشع النور والحرارة لآلاف الملايين من السنين القادمة .

وفي المستقبل البعيد ، ستتحوّل كل المادة في الفضاء « البين نجمي » إلى نجوم ، كما إن بعض النجوم ستنفجر وتموت ، وستتحوّل مادّتها إلى نجوم مرة ثانية وثالثة .. وهكذا من تراب وإلى تراب .

وكما في الأرض .. في السماء .. ناس تموت وناس تولد .. ونجوم تموت ونجوم تولد .. والبشر يزدادون على الأرض .. والنجوم تزداد في السماء .. ولكن إلى مآل .

زرع نخاع العظام

بقلم: د. محيي الدين لبنية



كان من قدر الطفل « ديفيد » أن يخرج إلى العالم بدون نظام مناعة طبيعي يحميه ضد الإصابة بالميكروبات المرضية وأجبرته ظروف المرض على الحياة داخل خيمة مصنوعة من البلاستيك تحت ظروف معقمة ، ولهذا سمي بـ « ابن الخيمة البلاستيكية » التي مكث فيها حوالي اثني عشر عاماً هي عمره . وخرج من الخيمة بعد أن أجريت له عملية زرع نخاع عظام حتى يتمكن جسمه من تكوين الخلايا المسؤولة عن خاصية المناعة الطبيعية ضد الإصابات الميكروبية .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

زرع نخاع العظام

تاريخ عملية الـزرع

عرفت عملية زرع نخاع العظام في أواخر الخمسينات من هذا القرن بأنها علاج فعال لأمراض خبيثة أو وراثية في الدم ، وتهدف هذه المعالجة إلى تحطيم خلايا نخاع العظام غير الطبيعية في جسم المريض ، والاستعاضة عنها بأخرى مأخوذة من شخص سليم . ويستطيع معظم المرضى الذين يعانون من اختلالات وراثية في الدم البقاء أحياء عدة سنوات فقط عند اعتمادهم على المعالجة التقليدية القديمة باستبدال الدم بين وقت آخر .

المرشحون لهذه العملية

يتحتم عند تعرض حياة المرضى المصابين باختلالات وراثية أو خبيثة في الدم للخطر والذين لا تزيد أعمارهم عن أربعين عاماً اللجوء إلى هذه الطريقة من العلاج ، وتزداد فرص نجاح عملية زرع نخاع العظام في الأطفال الذين تقل أعمارهم عن خمس سنوات عنه في المرضى الأكبر سناً نتيجة ضعف جهاز المناعة الطبيعي في الصغار ، وبالتالي انخفاض معدل حدوث رفض العضو المنقول لعملية الزرع ، ويمكن اللجوء إلى عمليات زرع نخاع العظام في العديد من الأمراض أهمها :

★ ابيضاض الدم الحاد منشأه نخاع العظام أو الليمف Acute Leukaemias (myeloid and Lymphoblastic) .

★ ابيضاض الدم الجيبي المزمن Chronic granulocytic Leukaemia .

★ حالات نقص المناعة الطبيعية في الجسم .



★ طحال متضخم لطفل مصاب بابيضاض الدم الحاد منشأه نخاع العظام ★

★ مرض العظام المرمرية Osteopetrosis .

★ فقر الدم المنجلي Sickle Cell disease .

★ فقر الدم غير المصنع الشديد Sevire aplastic anemia .

★ الورم الليمفاوي من غير نوع هودكن Non – Hodgkin; Lymphoma .

★ نقص إنزيم مورث مثل تناذر هيدرلر .

★ مرض الثلاسيميا الكبرى من نوع بيتا البحر الأبيض المتوسط (أحد أنواع فقر الدم) .

طريقة الزرع

تجمع أجزاء نخاع العظام من عظم الحرقفة أو من أحد العظام المسطحة لشخص سليم يوجد بينه وبين المريض توافق نسيجي ، ثم ترشح وتحقن الخلايا بمتوسط ١,٧ × ١٠^٩ خلية لكل كليوجرام من وزن جسم المريض عن طريق الوريد ؛ وتنتقل هذه الخلايا مع تيار الدم لتستقر في نخاع عظام المريض ، ثم تقوم هذه الوحدات النشطة بإنتاج كريات دم حمراء وخلايا دم بيضاء وصفائح دموية وخلايا ليمفاوية طبيعية خلال أسابيع قليلة بعد عملية الزرع .

صعوباتها

تواجه عمليات زرع نخاع العظام صعوبات رئيسية تقلل من فرص نجاحها هي :

أولا : وجود التوافق النسيجي بين المريض والمتبرع .

ثانياً : مرض رفض جسم المريض للزرع .

ثالثاً : الرعاية الصحية للمريض ابتداءً من مرحلة الزرع حتى نجاح الطعم وتأقلمه في الجسم .

ويمكننا فيما يلي التعرف على هذه المشاكل كل على انفراد :

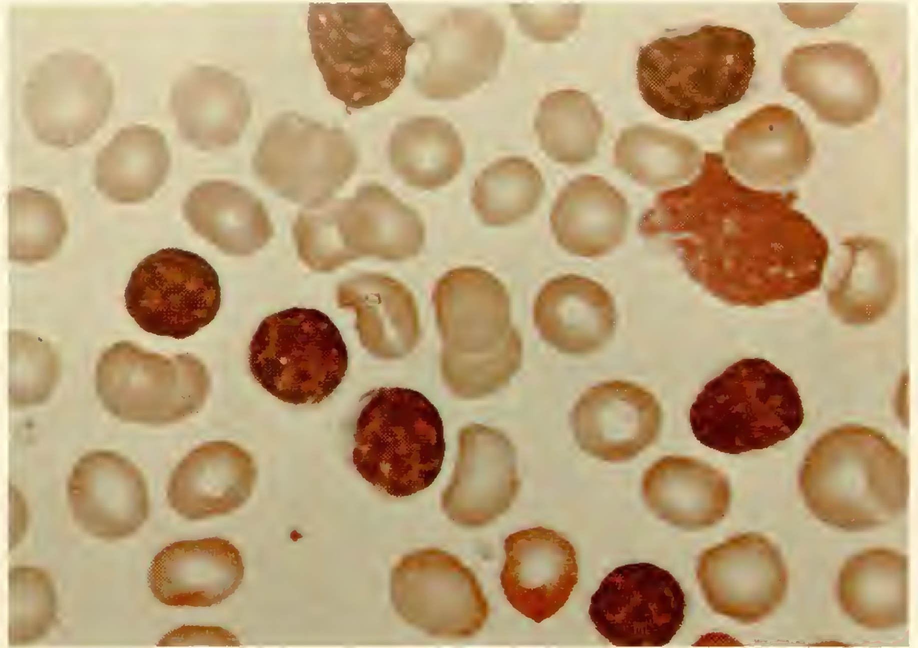
●● التوافق النسيجي بين المريض والمتبرع : يستلزم قبل إجراء عملية الزرع اختبار الدم **سريولوجياً** في المختبر للمريض وإخوته لمعرفة درجة التماثل النسيجي بينهما ، **وتزداد درجة احتمال تقبل جسم المريض لنخاع عظام منقول إليه ، أي يرتفع معدل نجاح عملية الزرع عندما**

سوى الحصول على نخاع عظام من أحد أقارب المريض أو سواه يوجد بينه وبين المريض درجة أقل من التوافق النسيجي .

●● مرض رفض الجسم للزرع : لا زال مرض رفض الجسم المريض للطعم المزروع Graft Virsus host disease أحد المضاعفات المرضية الخطيرة في عمليات زرع الأعضاء للإنسان ، وهو أحد العثرات الرئيسية في التطبيق الناجح لهذا النوع من المعالجة ، حتى عند تواجد تماثل نسيجي بين المريض والمتبرع له . ويزداد معدل حدوث النوع الحاد أو المزمن من مرض رفض العضو المزروع مع كبر سن الشخص الذي تجرى له عملية الزرع . ويحدث هذا المرض عند مهاجمة خلايا جسم المريض للخلايا المزروعة بوصفها أجساماً غريبة ، وهو المسؤول عن معظم حالات الموت المبكر للمرضى بعد عملية الزرع ، **وتتصف أعراض هذا المرض ، بحدوث حمى وظهور طفح جلدي ، ويرقان وإسهال ، وزيادة الحساسية للإصابات الميكروبية ،** وقد يظهر في جسم المريض بعد عملية الزرع حتى عند وجود نسبة اثنين بالمائة فقط من خلايا الدم الليمفاوية من نوع (ت) الناضجة النشطة المسؤولة عن ظهور مرض رفض الجسم الغريب المزروع .

●● الرعاية الصحية للمريض بعد الزرع : استعملت عدة مركبات في المعالجة المناعية للوقاية من حدوث مرض رفض الجسم لعملية الزرع اشتملت على **هرمونات ستيرويدية** لقشرة الغدة فوق الكلى Steroids **وميثوتركسات** methotrexate **وسيكلوفوسفاميد** Cyclophosphamide وغيرها ، وتكون جميع هذه المركبات ذات تأثير مثبط لوظيفة الخلايا الليمفاوية من نوع (ت) .

ولقد أعطيت للمرضى قبل وبعد عمليات الزرع لنخاع العظام لمدة عدة شهور ، كما يلجأ بعض الأطباء إلى تعريض جسم المريض قبل


★ غشاء دم لمريض بابيضاض الدم ذو المنشأ الليمفاوي المزمن ★

تكون أجسام التضاد لكريات الدم البيضاء البشرية Human Leucocyte antigeno (HLA) للمتبرع والمريض متوافقة بدرجة كبيرة ، وقد لا يكون أمام الأطباء إذا ساءت حالة المريض نتيجة التأخر في إيجاد تماثل نسيجي كامل بين المريض والمتبرع

★ نخاع عظم ساق طفل عمره ٥ سنوات مصاب بابيضاض الدم الحاد منشأه نخاع العظام ★



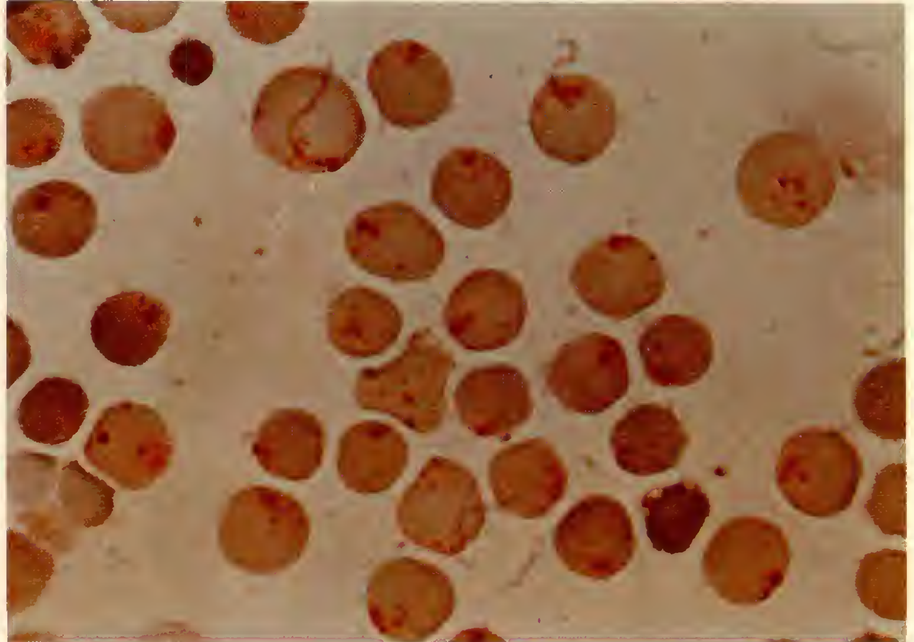
★ نخاع عظم ساق لرجل عمره ٦٨ سنة مريض بابيضاض الدم المزمن منشأه نخاع العظام ★



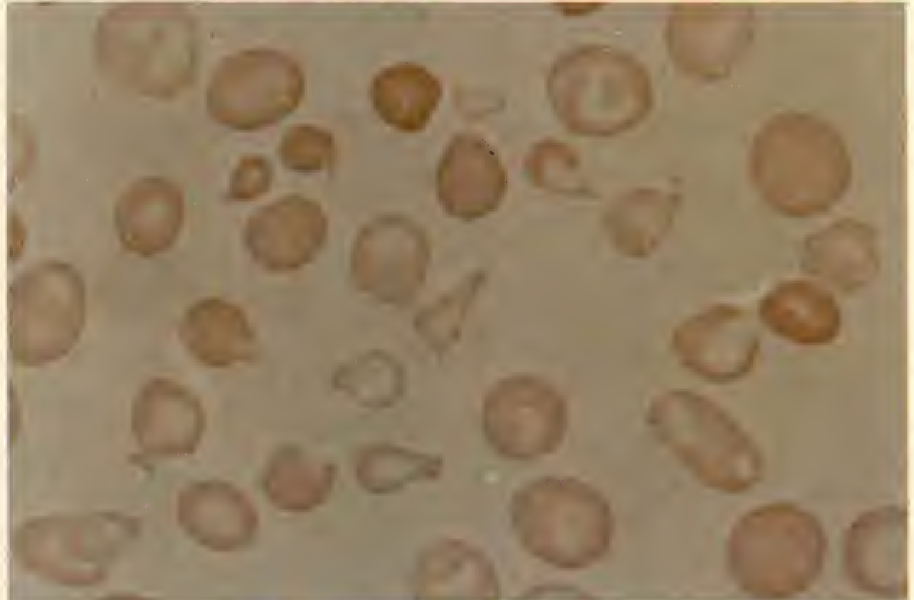
عملية الزرع إلى الأشعة التي تساهم في تحطيم نظام المناعة الطبيعي لديه.

وينشأ عن تناول المريض للأدوية المثبطة للمناعة الطبيعية السيترويدية، زيادة فرصة تعرضه لخطر الإصابة بالبكتيريا والفيروسات والفطريات المرضية لأشهر عديدة بعد الزرع نتيجة لضعف نظام الدفاع الطبيعي في الجسم، ويساعد العزل الشديد للمريض، بعد إجراء عملية الزرع، في جناح خاص بالمستشفى بعيداً عن التلوث الميكروبي، وإعطائه طعام معقم خالي من الميكروبات المرضية في إنقاص أعداد الكائنات الحية الدقيقة المرضية الموجودة طبيعياً في بيئة المريض وأمعائه، وبالتالي زيادة فرصة شفائه.

★ غشاء دم لمريض بالورم الليمفاوي لصانعات الليمف Lymphoblastic Lymphoma ★



★ غشاء دم طفل مصاب بالثلاسيميا الكبرى من نوع بيتا ★



مركب جديد

اكتشف العلماء حديثاً مركباً جديداً لتثبيط المناعة الطبيعية في الجسم وهو **سيكلوسبورين أ** والمعروف بـ «**ساندمين Sandimmun**»، وأصبح مصرحاً استعماله بعد حصوله على موافقة لجنة سلامة الأدوية الأميركية في منع رفض التطعيم والمعالجة الوقائية ضد مرض رفض الزرع. وهو تركيبياً عبارة عن سلسلة من الأحماض الأمينية متصلة معاً (ببتيد) نتيجة الفطر **Tolypocladium inflatum**. ويعمل هذا المركب بصورة خاصة في منع تكاثر الخلايا الليمفاوية من نوع (**ت**)، ويتميّز على المركبات المثبطة للمناعة الطبيعية الأخرى بأنه لا يؤثر على نظام الدفاع الطبيعي في الجسم ضد الإصابات الميكروبية، ويعد اكتشافه نقطة تحول هامة في عمليات زراعة الأعضاء، ولوحظ أن استعماله لفترات طويلة يجعل المريض عرضة لحدوث تسمم كلوي بفعل احتفاظ الجسم بالسوائل وارتفاع الضغط.

المستقبل؟

لقد واجهت عمليات زرع نخاع العظام في بداية عهدها معارضة شديدة لخطورتها وارتفاع تكاليفها الاقتصادية، إلا أن زيادة أرقام المرضى الذين شفوا واختفت معاناتهم بعد إجراء هذه العملية، شجعت العلماء على إعادة تقييم هذه الوسيلة العلاجية كإجراء ناجح يُعتمد عليه لأمراض الدم الوراثية الخبيثة وغيرها. وتجرى حالياً في مستشفيات المملكة المتحدة حوالي ١٣٠ عملية زرع نخاع عظام سنوياً، ويعتقد البعض فيها بوجود ما يقارب من ٥٦٠ مريضاً كل عام يمكنهم الاستفادة منها، وبلا شك فإن هناك أعداداً كبيرة من المرضى في أجزاء العالم المختلفة في أمس الحاجة إلى مثل هذا العلاج لتخفيف آلامهم ومعاناتهم وزرع بذور الأمل في نفوسهم باستمرار الحياة.

موسم الحرف

شعر: إبراهيم عبدالله مفتاح

ألقيت في نادي مكة الأدبي ضمن المهرجان الثقافي الذي نظمه النادي لشعراء المناطق وكان ذلك ليلة ١٧ ـ ١٨/ ٧/ ١٤٠٥هـ.

أتيت «مكة» في حرفي وفي قلمي ... معازفي ورؤاك البيض ملء فمي
أتيت مكة والتاريخ يملؤني ... زهواً فأهتز من رأسي إلى قدمي
أمام عيني من ماضيك ملحمةٌ ... تختال في أحرفي مجداً وفي كلمي
وفي خيالي من ذكراك أجنحةٌ ... من البطولات بين «الحل والحرم»
إني أتيتك والأشواق تعصف بي ... لكي أغنيك شعراً صادق النغم
لكي أناجيك من قلب يفيض أسى ... وتستبد به ريحٌ من الندم
أتيت مكة والأعباء تثقلني ... وبين جنبي أنواءٌ من السأم
عفواً مضيفتي إن زل بي قدمٌ ... واستنزفت كلماتي حرقة الألم
ففي روابيك ذكرى الأمس مشرقةً ... وفي لياليك مسرى آية القلم
وفي مغانيك تغدو النفس سابحةً ... تواقة للعلا في ذروة القمم
يا موسم الحرف هذا اليوم موعدنا . . ... مع القطاف جوار الكرم والكرم

★ ★ ★

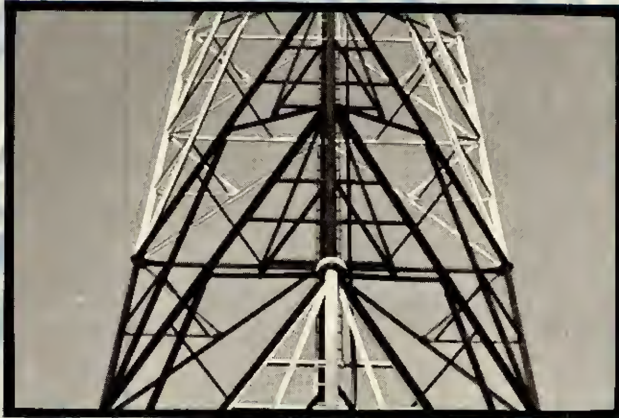
ماذا أقول لأوجاعي التي أكلت ... روحي وجاز لها بالعنف مص دمي
ماذا أقول وفي قدسي قراصنةٌ ... من الرعاع ومن قاذورة الأمم
يستنزفون ضروع الأرض إن نبتت ... ويطلقون عليها صرخة العدم
«القدس» يا مكتي تشكو مواجعها ... وتمّحي في عضال الداء والورم
وتلك «بيروت» قلب نازف ألماً ... لا يرحم الموت فيها أمن «معتصم»
تئن من جرحها الدامي مرنحةً ... كأنما هي لا تصحو ولم تنم
والتربة البكر كم نادت وكم هتفت ... يا موكب العصر صافح موكب القدم
صوت من الحق يا بطحاء أسمعه ... يدعو إلى وحدة في الرأي والهمم
تاريخنا أمة تبني حضارتها ... «بالسيف والرمح والقرطاس والقلم»

أصبح التخطيط لأنظمة القوى الكهربائية (Electric Powes Systems Planning) وخصوصاً في الدول النامية ضرورياً لتوفير الخدمة الكهربائية للمجتمع بشكل مستمر وبتكاليف معقولة. ذلك أن استمرار تدفق الطاقة الكهربائية وتكاليفها كانا ولا يزالان يحظيان باهتمام كبير في مجال التخطيط بعيد المدى لأنظمة القوى الكهربائية.

التخطيط بعيد المدى لأنظمة القوى الكهربائية

ماهيته.. أسسه.. أهدافه

بقلم: د. عبدالله محمد الشعلان



إن الطاقة الكهربائية تُعَدُّ دماء الحياة بالنسبة للمجتمعات الصناعية وغيرها، إذ يعني انقطاعها مشاكل جمة يعاني منها المجتمع بأسره، وينجم عنه توقف الإنتاج ووسائل المواصلات، وتتعطل مناحي اقتصادية عديدة، وبذلك تبدأ الخلايا الاجتماعية في التخلخل والانهيار.. لذلك فاستمرار تدفق الطاقة الكهربائية وتكاليفها عنصران مهمان في صنع القرارات للتخطيط بعيد المدى أو قريبه على حد سواء.. ومع ذلك فإن توفير طاقة كهربائية ذات تدفق مستمر لأمر بالغ الصعوبة، إذ إن صناعة الكهرباء تُعَدُّ أكثر الصناعات تكلفة وأكبرها عناء إذا قورنت بصناعات أخرى.

وتنحصر أهمية التخطيط الكهربائي في إمداد الإدارات ذات العلاقة بالمعلومات والإحصائيات اللازمة لمعالجتها وتجهيزها لتكون قاعدة لصنع القرارات السليمة للمستقبل، والتخطيط الذي يتم الآن لا بد وأن يستكنه المستقبل بالنسبة لأطوار ونمو الأحمال الكهربائية (الصناعية والزراعية والسكنية والحكومية)، وكذا تكاليف الإنشاء والمعدات ووقودها وإدارتها وصيانتها والزيادة المستقبلية في ذلك نتيجة للتضخم.

فالتخطيط بعيد المدى يُعَدُّ أساساً حيوياً للتنبؤ بأحداث المستقبل على مدى ٢٠ ــ ٣٠ سنة، ومدى تأثير أحداث الماضي على مرئيات الحاضر وتوقعات المستقبل، والتخطيط ــ على أي حال ــ ليس مضموناً أن يتم بالطريقة التي رسم بها في وقت من الأوقات، ولكن الإنسان بالملكات العقلية التي منحها إياه خالقه عز وجل يستطيع أن يسبر أغوار المجهول بشيء من العلم والتبصر والقياس، ولا شك أن تطور الوسائل والمعدات التقنية لا بد وأن يدخل في حسبان المخطط، إذ إن تطور الأحمال الكهربائية في الدول ذات النمو السريع مع تغير الأوضاع الاقتصادية والصناعية قد يجعل من عملية التخطيط أمراً بالغ الصعوبة لوضع الأسس السليمة له، فتصحيح القرارات التي صنعت في وقت ما أمر متوقع في أي فترة من فترات المستقبل.

يتألف النظام الكهربائي أساساً من مكوناته الثلاث وهي: **التوليد والشبكة والتوزيع** وما بين ذلك من محولات لرفع وخفض مستويات الجهد ومحطات فرعية للتوزيع. فالمرحلة الأولى وهي التوليد تحظى بالنصيب الأكبر من اهتمام المخططين لكونها المرحلة المبكرة من مراحل التخطيط وأدقها وأكثرها تكلفة، وهي التي تمثل مدى كفاية القدرة الكهربائية اللازم تواجدها لمجابهة أحمال الذروة مع احتمال أعطال بعض المولدات التي لن يتسبب عنها توقف الطاقة الكهربائية وحرمان المستهلك منها في أي وقت من الأوقات. ومن أهم الحوافز لتخطيط وتقدير كفاية قدرة التوليد المثالية هو

الحد من توقف الطاقة الكهربائية ، إذ إن ذلك يسبب ـ كلما طال زمنه كما أُشير في صدر هذا الحديث ـ إلى الارتباك والفوضى في مناحي إنسانية كثيرة ، لعل من أهمها توقف الإنتاج مع الخسارة المادية التي قد تفوق إلى حد كبير ثمن الوحدة الاسمي ، ناهيك عن الضجر النفسي الذي يصيب المستهلك والذي قد لا يضاهيه أي خسارة مالية على الإطلاق .

أنواع الوقود

ولتخطيط أي نظام كهربائي على المدى البعيد ، لا بد أن تكون هناك جملة عوامل تؤخذ في الاعتبار ومن ضمنها **نوع الوقود** المستعمل ، فأفضل أنواع الوقود في الدول البترولية **كالمملكة العربية السعودية** هو الزيت والغاز الطبيعي والفحم في **بريطانيا** ، والشلالات الطبيعية في **كندا** ، وكذلك استخدام اليورانيوم في إنتاج الكهرباء بالمفاعلات النووية في بعض البلدان الصناعية المتقدمة . وهذه المولدات التي تسير بأنواع الوقود المختلفة تلك لها محاسنها وعيوبها . والجدول الآتي يبيِّن التكاليف المقارنة لكل نوع :

وبالنظر إلى النوع الأول نجد أنه يتم بتكلفة أرخص وفي زمن أقل ، ولذلك فهو الأنسب لمقابلة الأحمال سريعة النمو وبخاصة في الدول النامية ، وبرغم تكاليف تشغيلها الباهظة إلا أنها ستكون مفيدة على المدى البعيد لمجابهة الأحمال المفاجئة ، إذ تمتاز هذه المولدات الصغيرة الحجم بسرعتها الفائقة في التشغيل وكفاءتها العالية على الأداء . وتأتي الأنواع الأخرى في الاعتبار لما تمثله من أهمية في استيعاب الأحمال ذات الطابع المستمر كالحمل الحكومي والزراعي وبصفة خاصة الحمل الصناعي لما يمثله من أهمية خاصة في الدول النامية ومكتملة النمو ولما يتطلبه من تدفق مستمر للطاقة الكهربائية يضمن توالي الإنتاج وعدم تذبذبه أو توقفه .

والنوع الثالث مألوف وشائع الاستعمال في الدول التي تتمتع بشلالات طبيعية **كشلالات نياجرا** ، في كندا أو مصادر مياه في بعض البلدان فهذا بلا شك يوفر في تكاليف التشغيل إذ إنها رخيصة جداً أو معدومة ، بغض النظر عن تكاليف إنشائها المرتفعة .

والنوع الرابع (المفاعل النووي) ، ويعتبر ذا قدرة عالية وتكاليف تشغيل معقولة نسبياً بالرغم من تكلفة الإنشاء الباهظة ، ولكنه في نظر المخططين يعتبر الآن أفضل بديل عن المولدات التجارية التي تعمل بالزيت نظراً لكفايته الاقتصادية وقدرته الحجمية لمجابهة الأحمال الكبيرة وبخاصة عندما ينمو الحمل الصناعي ويصبح وجود مثل هذه المولدات ضرورياً . وبرنامج الطاقة النووية يحتاج في الحقيقة إلى جهد كبير ووقت طويل منذ فترة التخطيط والمبادرة بتنفيذه حتى اكتماله وبدء إنتاجه ، إذ يجب أن تسبقه دراسة مستفيضة تأخذ في الاعتبار الجدوى الاقتصادية منه ، واختيار المواقع المناسبة لمحطات التوليد وتكريس الجهد لتدريب وإعداد الكوادر الفنية لاكتساب الخبرة اللازمة لتشغيل وصيانة المولدات وضمان عدم حدوث أي خطأ إنساني أو عطل آلي قد يسبب كارثة أو تسرب إشعاع نووي ، كذلك توفر الوقود اللازم للتشغيل ومن ثم التخلص من الفضلات النووية بشكل آمن وسليم وحتى لا يؤثر على البيئة المحيطة .

التجربة السعودية

وفي البلدان النامية وبخاصة السريعة النمو كالمملكة العربية السعودية ، يرى المخططون أن من الأفضل عدم التوسع في المولدات الصغيرة أو الغازية والتركيز على المولدات ذات الحجم المتوسط أو الأكبر لكفاءتها الأفضل ووقودها الأرخص . وحيث إن بعضاً من الدول النامية قد بدأت في استخدام المفاعلات النووية (Nuclear Reactors) لتوليد الطاقة الكهربائية ، فمملكتنا بحاجة إلى الشروع في تخطيط سليم لبدء برنامج استخدام الطاقة النووية ، وذلك لجدواها الاقتصادية وكبديل لاستخدام النفط الذي سيكون مادة خام قيمة لاستغلالها في صناعة البتروكيماويات في المستقبل .

ولعل الخلاصة التي أود أن أصل إليها ، هي أن التخطيط السليم لأنظمة القوى الكهربائية الحديثة يستهدف توفير أعلى مستويات الخدمة الكهربائية وبتكاليف اقتصادية معقولة ، إذ إن عدم الترشيد في الإنفاق على هذا المرفق إما أن يسبب إهداراً للقدرة الكهربائية ربما تنعكس آثاره على هيكل التعرفة والتي سيتحملها المستهلك ، أو ينجم عنه انقطاعات متتالية تنغص على المستهلكين وتعطل وسائل الإنتاج .

النوع	السعة بالميجاوات	تكاليف الإنشاء	تكاليف التشغيل	فترة الإنشاء التقريبية
غازية	١٠ ـ ٩٠	رخيصة جداً	عالية جداً	سنتان
بخارية	٢٠٠ ـ ٦٠٠	رخيصة	عالية	أربع سنوات
مائية	٤٠٠ ـ ١٠٠٠	عالية	رخيصة جداً	ست سنوات
نووية	٤٠٠ ـ ١٢٠٠	عالية جداً	رخيصة	سبع سنوات

المراجع

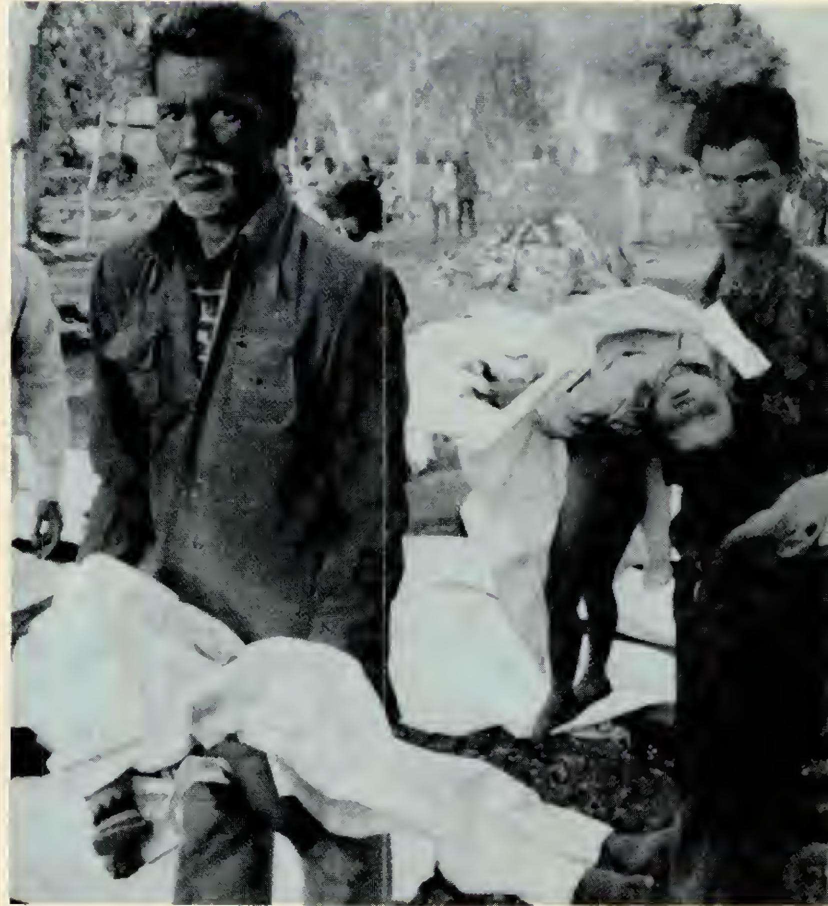
(1) A.M. Shaalan, "Reliability Evaluation in Long – Range Generation Expansion Planning" (Phd Thesis), 1984.

(2) R.L. Sulivan, "Power System Planning" (Book) McGraw Hill, 1977.

(3) R. Billinton and R.N. Allan, "Reliability Evaluation of Power Systems" (Book), Pitman Advanced Publishing Program, 1984.

قراءة في أخطار التكنولوجيا الحديثة

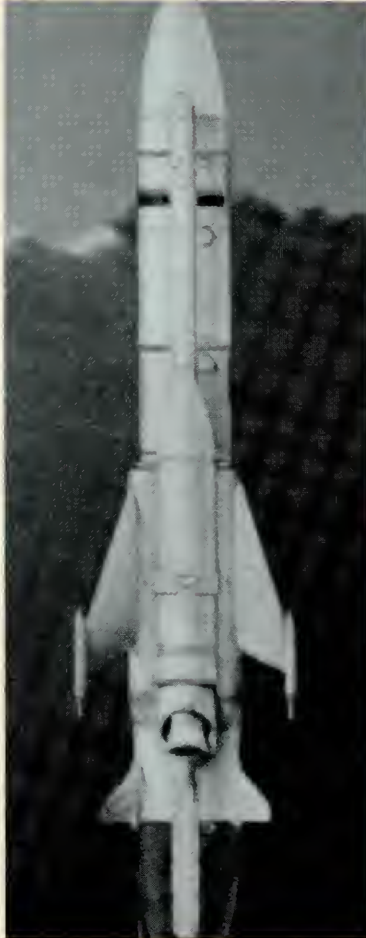
بقلم: د. سعد الحاج بكري



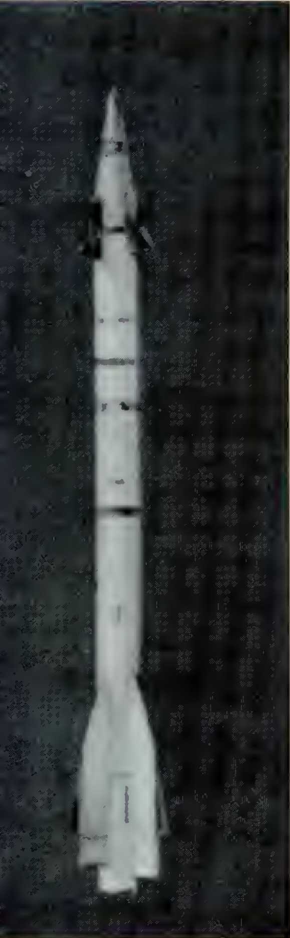
★ كارثة «بوبال» أكبر كارثة تكنولوجية في التاريخ حيث ذهب ضحيتها أكثر من عشرة آلاف نسمة، ومائة ألف أصيبوا بعاهات دائمة!! ★

سلسلة من الأحداث ودعت عام ١٩٨٤م، واستقبلت عام ١٩٨٥م، بينها كارثة كبرى، وبينها ما ينذر بالكوارث. أحداث شملت مختلف بقاع العالم، المتقدم منها والنامي. الكارثة الكبرى كانت من نصيب العالم النامي، لكن العالم المتقدم لم ينج من الإنذار بالأخطار. المتهم في هذه الأحداث واحد، إنه التكنولوجيا.

وتداعي الأحداث وما تحمله من أخطار خلال فترة وجيزة يستحق منا وقفة تأمل نستقرئ فيها مشاكل التكنولوجيا



★ الصاروخ الاميريكي MX ★



★ الصاروخ السوفييتي SS-20



★ خريطة توضح مسار الصاروخ الروسي الذي سقط خطأ قرب بحيرة «إيناري» الفنلندية ★



★ المفاعل الذري في هاريسبورج ★

الحديثة ، ونحاول مناقشة أساليب تجنبها .

الكارثة الكبرى التي حدثت لم تنتج عن صراع أو قتال ، وإنما جاءت من مصنع لإنتاج المبيدات الحشرية في مدينة « **بوپال** » عاصمة ولاية « **مادهيا برادش** » الهندية . في ليلة باردة من ليالي كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٨٤ م ، لاحظ أحد عمال الصيانة في مصنع شركة « **يونيون كاربايد** Union Carbid » الأميريكية ، القائم قرب محطة القطارات في مدينة **بوپال** ، وجود ضغط عال في أحد خزانات غاز « **الميثيل الأيزوسيانيت** Methyl Iso Cyanat: MIC » المستخدم لإنتاج المبيدات الحشرية . وقبل أن يستطيع هذا العامل ومن معه من خبراء الصيانة المناوبين في تلك الليلة أداء أي عمل مفيد ، كان هذا الغاز الأبيض السام قد بدأ ينطلق وينتشر على مدى واسع تحت تأثير الرياح الشمالية الغربية التي أصبحت تنفث الموت والدمار على كل ما تجده في طريقها .

عندما بدأت الكارثة كانت مدينة بوپال نائمة بأمان ، فإذا برياح الدمار تهز صدور الناس بالألم ، تخنق أنفاسهم ، وتحرق أحشاءهم ، وتخدش جلودهم . أكثر من مئتي ألف من البشر راحوا يركضون في

★ محطات توليد الطاقة النووية ، كادت تحدث كارثة بسبب إحداها في «ثري مايلز أيلاند» ★



قراءة في أخطار التكنولوجيا الحديثة

الشوارع ، يصرخون ، ويخففون من الضغط على صدورهم بالسعال الشديد . وكان ما كان ، أكثر من عشرة آلاف شخص فقدوا أرواحهم ، وأكثر من مئة ألف شخص أصيبوا بعاهات دائمة بينها العمى ، والعقم ، وأمراض الكبد والكليتين ، والشلل ، وتخرب مناطق من الدماغ . واعتبرت هذه الحادثة المريعة أكبر كارثة تكنولوجية في التاريخ .

وفي شهر كانون الثاني (يناير) عام ١٩٨٥ م ، وفي مدينة أخرى تبعد عن بوپال آلاف الأميال ، ولا تقع بين بلدان العالم الثالث ، وإنما تقع بين بلدان العالم الأول المتقدم ، وهي مدينة « **كارلسكوجا** » الواقعة في وسط **السويد** ، وقعت حادثة أخرى . ولم تؤد هذه الحادثة إلى كارثة ، وإنما كانت بمثابة إنذار لكوارث محتملة . فقد تسربت سحابة من غاز « **حامض الكبريتيك** » من أحد مصانع الكيماويات ، لكنه أمكن احتواء الحوادث ، ولم يكن هناك ضحايا .

وفي ليلة شتوية من ذات الشهر ، ونفس العام ، كان أحد صيادي الدببة في إحدى قرى النرويج على شرفة منزله قرب الحدود النرويجية الفنلندية حينما لاحظ عن بعد نقطة مضيئة تتحرك في الظلام ، وما إن اقتربت منه حتى بان الضوء أحمر مصفراً يبدد الظلام ، ويسير بسرعة هائلة تصاحبه ضوضاء شديدة اهتز لها المنزل . واستمر هذا الضوء في مسيرته مجتازاً الحدود النرويجية إلى فنلندة ليختفي قرب بحيرة « **إيناري** » الفنلندية .

وقد كشف الرادار النرويجي هذا الهدف المضيء ، وعرف أن غواصة سوفييتية تبحر في بحر « **بارنتس** » الذي يطل على الاتحاد السوفييتي والنرويج قد أطلقت صاروخاً بحرياً يعتقد أنه من النوع « SS - N - 3 » أو ما يعرف أيضاً بالرمز « شادوك Shaddock » ضمن مناورة بحرية نحو هدف بحري ، لكن الصاروخ ضل طريقه بسبب خطأ في التحكم وانطلق باتجاه البر النرويجي ليصل عبره إلى فنلندة . وقد أكد الاتحاد السوفييتي الحادث ، وقدم اعتذاراً رسمياً إلى كل من النرويج وفنلندة . ولحسن الحظ ، لم يكن الصاروخ محملاً برؤوس تدميرية ، لذا لم يؤد الحادث إلى كارثة ، ولو أنه أنذر بواحدة .

وفي الشهر التالي شباط (فبراير) من نفس العام ١٩٨٥ م ، كشفت منظمة الصحة العالمية عن حدوث وفيات بين المزارعين في إقليم « **البنجاب** » في **باكستان** نتيجة استخدامهم لبعض المواد الكيميائية المبيدة للحشرات دون مراعاة أصول الاستخدام وقواعد الأمان ، وذلك لأن المواد كانت وصلت إلى أيدي المزارعين في أكياس لا تحمل أي قواعد استخدام أو علامات تحذير .

وفي مطلع شهر آذار (مارس) عام ١٩٨٥ م ، وقع حادث جديد في مصنع آخر من مصانع شركة يونيون كارابايد الأميريكية ، هذه المرة **داخل الولايات المتحدة** نفسها ، وبالذات قرب مدينة في ولاية « **وست فرجينيا** » . فقد تسرب قدر بسيط من الغاز السام نقل على إثره أكثر من عشرة أشخاص إلى المستشفى .

هذه هي بعض الأحداث التي تتابعت خلال أشهر قليلة . وهناك في الغالب أحداث أخرى وقعت خلال تلك الفترة ، ولم يجر حصرها . فالغاية في هذا المقال هي استقراء أخطار التكنولوجيا بالأمثلة وليس بالحصر الإحصائي الذي قد يطول شرحه وإعداده . وتجدر الإشارة هنا إلى أنه على الرغم مما يبدو من تسارع الأحداث خلال الفترة المذكورة ، إلا أن كثيراً من مثل هذه الأحداث ، فيما عدا كارثة بوپال ، تحدث كل عام إن لم يكن أكثر من ذلك . ومن أشهر ما حدث في السنوات الأخيرة على سبيل المثال حادث تسرب الغاز من محطة توليد الطاقة النووية في جزيرة « **ثري ـ مايلز أيلاند** » في ولاية **بنسلفانيا** الأميريكية عام ١٩٧٩ م ؛ وكذلك حادث إنذار الهجوم النووي الذي أطلقه خطأ حاسب التحكم في وزارة الدفاع الأميريكية في نفس العام .

والآن ، وقبل محاولة وضع بعض الملاحظات حول ما سبق من أحداث ، سوف نحاول إلقاء نظرة أكثر عمقاً حول أهم تلك الأحداث ، كارثة بوپال ، من أجل استقراء أكبر قدر من العوامل المحيطة بمثل هذه الكارثة التي تهدد الإنسان الآن ، خصوصاً في العالم الثالث ، حتى مع غياب الصراعات والحروب .

مصادر الأخطار

فهذه التكنولوجيا عموماً سلاح ذو حدين ، الأول منها أداة مفيدة تعمل على توسيع قدرات الإنسان وإمكاناته في شتى المجالات ، وتقدم إليه حياة مرفهة تستجيب لمتطلباته ، وتحرص على راحته . أما الحد الآخر ، فهو أداة خطيرة مدمرة ، تشقي الإنسان إن لم تقتله ، وتنشر الآلام التي ربما تستمر في بعض الحالات أجيالا متلاحقة . والإنسان الحامل للتكنولوجيا في عصرنا ، موضوع تحت الاختبار ، فعليه في استخدامها أن يحسن استغلال جوانبها المفيدة ، على أن يقترن ذلك مع اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة ، إلى جانب حكمة العقل البشري الذي منحه الله له ، من أجل تجنب تأثير جوانبها الخطيرة .

ولن يستطيع الفرد الواحد أن يحقق ذلك ، إلا ضمن نطاق محدود للغاية ، هو نطاق **تكنولوجيا خدمة الفرد** ، التي لا تحتاج إلى تبادل التأثير مع الآخرين . ونظراً لأن التكنولوجيا في غالبيتها تتجاوز هذا المجال

الضيق ، لذا فإنه لا بد من وضع نظام مأمون لاستخدامها على مستوى المجتمع ، بحيث يحرص كل شخص فيه على احترام هذا النظام واتباعه في عمله وفي حياته الخاصة حماية لنفسه ولمن حوله من أبناء مجتمعه .

وكثيراً ما يكون ، حتى مثل ذلك ، غير كاف ، خصوصاً في مجالات التكنولوجيا التي تعم خدماتها العالم بأسره كوحدة متكاملة . عندئذ يكون من الواجب إيجاد نظام موحد للأمن التكنولوجي من الأخطار ، تحرص عليه وتتبعه المجتمعات الإنسانية كافة . فلئن وحدت التكنولوجيا العالم في خدماتها ، بعيداً عن الخلافات والصراعات السياسية ، فإن أنظمة الحماية من أخطار التكنولوجيا يجب أيضاً أن تأخذ طريقها إلى التوحيد . وهذا ما حدث ويحدث فعلاً في بعض المجالات ، مثل الطيران الدولي ، ولكن هناك مجالات أخرى كثيرة تحتاج إلى جهد كبير في هذا الاتجاه .

فهل كان يمكن أن يبقى مصنع يونيون كاربايد في مكانه إلى جانب التكاثف السكاني ، وهل كان يمكن إهمال كل التحذيرات والأحداث المحدودة التي رافقتها ، لو أن هذا المصنع كان في دولة متقدمة ، وليس في إحدى دول العالم الثالث .

لقد كان هناك أحداث في الدول المتقدمة ، حتى بين تلك التي استعرضناها خلال الفترة المحدودة ببضعة أشهر ، وكان بينها تسرب غاز في السويد ، وتسرب آخر في أحد مصانع يونيون كاربايد نفسها في الولايات المتحدة . لكن لم يصل أي من هذه الأحداث أو غيرها إلى مستوى كارثة بوبال . فقد تجمعت لتلك الكارثة أسباب كثيرة شملت : إهمال التحذيرات ، والتقصير المادي في عدم صرف الأموال لنقل المصنع أو رفع مستوى الأمان فيه ، وقصور الوعي العام عند الناس ، ومعارضة البعض للتحذيرات والإبقاء على الوضع القائم المتردي لأغراض كان الله بها عليماً ، وربما أهم من كل تلك الأسباب ، غياب نظام أمان علمي يحدده المتخصصون ، وترسمه التشريعات ، وتطبقه السلطات ، دون استثناءات .

إن ما سبق لا يعني بالضرورة أن الدول المتقدمة قد وصلت إلى درجة أمان كامل ، فلو كان ذلك صحيحاً لما حدثت الأحداث التحذيرية المحدودة سابقة الذكر في تلك الدول . **كما أن التقدم التكنولوجي المتسارع يحتم وجود تقدم مصاحب لعوامل الأمان وأساليب المحافظة على السلامة** ، وهذا يحتاج إلى عمل وجهد وبحث مستمر ، كي لا تسبق الأخطار عوامل الأمان . وتجدر الإشارة هنا إلى أن مسألة موازنة تكاليف الأمان مع احتمالات الأخطار ، مسألة تأخذها المؤسسات التجارية بعين الاعتبار . والتكاليف في هذه الموازنة هي ما يمكن أن يترتب على المؤسسة صاحبة الشأن ، وليس ما يمكن أن يحدث على أرض الواقع . وتدخل شركات التأمين كأحد العوامل الهامة في هذا المجال .

وصوت المصلحة العامة ، في مثل هذه المسألة ، هو أن يكون هناك نظام أمان متطور ، يضع سلامة الإنسان في مقدمة الأهداف قبل كل العوامل الأخرى .

مشكلة الوعي

وتبرز مشكلة قصور الوعي عند الناس في العالم الثالث واضحة جلية في كارثة بوبال ، حيث لم يبتعد الناس عن مصدر الخطر رغم الأحداث المحدودة المتلاحقة قبل الكارثة ؛ كما أن هذه المشكلة تظهر أيضاً في أحداث وفيات بعض المزارعين الباكستانيين نتيجة عدم معرفتهم بأصول استخدام أنواع من المواد الكيميائية . والنظرة المباشرة إلى هذه المشكلة تدل على ضرورة رفع درجة الوعي عند الناس بالتعليم والإرشاد . لكن هناك بالإضافة إلى ذلك مشكلة أخرى تقترن مع قصور الوعي ألا وهي الفقر . فحتى لو أدرك الفقير أن هناك خطراً يهدده ، فقد لا يملك إمكانات الابتعاد عن هذا الخطر أو محاولة تجنبه .

وحتى مع وجود الوعي والإمكانات المادية والأنظمة لتجنب الأخطار في الدول المتقدمة ، تبرز مشكلة أخرى استهلكت طاقات الإنسان على مدى الأزمان هي **مشكلة الصراع بين الأمم** . وفي هذا العصر الذي نعيش فيه ، تطورت تكنولوجيا الحرب في الدول المتقدمة إلى درجة أصبح استخدامها بكامل إمكاناتها دماراً للعالم بأسره ، مما أدى إلى أن يتجنب العالم الحروب العالمية ، ويعيش في سلام منها تحت تأثير التهديد بالدمار الشامل . ومثل هذا السلام يستحق أن نطلق عليه سلام الخوف أو سلام الرعب .

ومع سلام الرعب هذا تتكدس وسائل الدمار الحربية عند الأطراف المتنافسة في الشرق والغرب ، وتخضع للتجارب والاختبارات للتأكد من إمكاناتها والتهديد بها . وللخطأ في مثل هذه التجارب ثمن لا يدفعه بالضرورة أصحاب السلاح أنفسهم ، بل ربما أبناء أي أمة أخرى ، لأن أثر هذه الأسلحة لا يكون ضمن أرض محدودة ، وإنما يعبر القارات إلى أي مكان من العالم . وعلى الرغم من أن دولة مثل فنلندة مثلاً تحاول الابتعاد عن الانتساب إلى أي من معسكري الصراع الدوليين ، الأطلسي والناتو ، إلا أنها لم تسلم مع ذلك من الصاروخ الخاطئ الذي عبر النرويج ليسقط ضمن أراضيها . ولحسن الطالع في هذه المرة لم يكن ذلك الصاروخ محملاً برؤوس تدميرية .

مشاكل أخرى

لا يمكن في الحقيقة أن نعتبر أن ما سبق يعبر بشكل متكامل عن أخطار التكنولوجيا في عالم اليوم ، بل إن هناك مشاكل أخرى كثيرة تستحق الأخذ بعين الاعتبار ، خصوصاً في مجال الحياة اليومية للإنسان العادي . ومن الأمثلة على ذلك **الطعام الذي نأكله** ، فكثير منه طعام مصنّع أو محفوظ بمواد كيميائية أو ملون بالأصباغ أو مطيب بالنكهات . ويحتاج الاعتماد على مثل هذا الطعام إلى مراقبة طبية في إنتاجه ، وأنظمة في وضعه موضع التداول ، ووعي في تناوله ضمن الفترة التي يبقى خلالها ممكن الاستخدام دون أخطار محتملة .

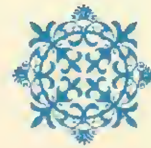


قراءة في أخطار التكنولوجيا الحديثة

ومن الأمثلة الأخرى حول ما يصادفه الإنسان في حياته اليومية **تلوث البيئة** الناتج عن الوسائل التكنولوجية المستخدمة . ومن ذلك مادة **الرصاص** التي تطلقها عوادم السيارات نتيجة احتراق الوقود في محركاتها . وتختلط هذه المادة في انطلاقها مع الهواء الذي يستنشقه الإنسان أو تتوضع على المواد الغذائية المكشوفة ، وغير ذلك . ولهذه المادة صفات سامة تؤثر على أنسجة الجهاز العصبي المركزي ، كما أنها يمكن أن تؤدي إلى تشوه الأجنة في الأرحام كما أثبتت أبحاث الدكتور هيربرت نيدلمان في مستشفى مدينة بوسطن الأميركية للنساء .

وفي هذا المجال أيضاً توصل الدكتور **جيروم نرياغو** ، من المعهد الوطني لأبحاث المياه في **برلينغتون** ، مقاطعة **أونتاريو** الكندية ، إلى أن أشراف الإمبراطورية الرومانية القديمة كانوا يستهلكون من الرصاص ستة أضعاف ما تسمح به المقاييس الطبيعية . وقد أحصى هذا الباحث عشرين إمبراطوراً رومانياً حكموا في الفترة من عام ٣٠ م ، إلى عام ٢٢٠ م ، عرفوا بإفراطهم في استهلاك الرصاص في طعامهم وشرابهم الذي كان يطبخ أو يُغلى في مراجل من الرصاص ، وعرفوا إلى جانب ذلك باضطراب أعصابهم وتصرفاتهم غير العقلانية التي لا شك أثرت على تداعي أوضاع أوطانهم .

وبعد ، فإن حديث أخطار التكنولوجيا حديث مليء بالأمثلة ، والمهم هو أن نعي أن علينا تجنب هذه الأخطار مجتمعين بكل الإمكانات والوسائل المتاحة . على أن يكون رائدنا في ذلك الحكمة والوعي ، ووضع سلامة الإنسان فوق كل الاعتبارات الأخرى . فالتكنولوجيا أصبحت بين أيدينا ولا نملك أن نرميها بعيداً عنا ، بل نستطيع أن نعمل بقول الحديث الشريف « اعقلها وتوكل » .



أعْمى مُبْصِرٌ

شعر: أحمد حسن القضاة

أعْمى بقلْبٍ (مُبْصِرٍ) يَبْدو سعيدَ الخاطِر
يَمْضِي إلى بَقَّالةٍ كَشَأْنِ شَخْصٍ (قادِرٍ)
تُعينُهُ عُكّازُهُ لا يَسْتَعينُ بِعابِر
يَبْتاعُ ما يَقْتاتُ أوْ يبْتاع صِنْفَ سَجَاير
شاهَدْتُه ورَغِبْتُ في اسْتِدْراجِهِ لِتَحاوُرِ :
يا صَاح قُلْ لي : كيْفَ أنْتَ معَ (النَصِيبِ) العَاثِر ؟
.. لَمْ تَسْعَدَنَ بِنَظْرَةٍ في الماضِي أوْ في الحاضِر
فأجابني : مَهْلاً ـ أخي ـ لِمَ تَحْكُمَنَّ بِظاهِر ؟
إنّي رَضيتُ (بقسْمتي) فالحَظُّ ليْسَ (بِخاطِري)
حُكْمُ الإلٰهِ مُقَدَّمٌ وَنَحْنُ طوْعُ أوامِر
كمْ مِنْ عيونٍ أسْلمَتْ أصْحابَها لِجَرائِر . !
تَزْني فتُرْغِمَ أهْلَها كَيْ يَنْظُروا لِحَرائِر
إنَّ العَمى يا صاحبي أحْرَى يُقالُ (لِخاسِر)



ندوة العدد

اعداد الندوة: محمد متولي

السنة الدولية للشباب



الشباب.. المشكلات والحلول

كان من الطبيعي أن تستكمل (الأمم المتحدة) ـ بصفتها هيئة عالمية ـ ما بدأته من اهتمام بأفراد المجتمع الإنساني في مختلف أعمارهم، فقد حددت لكل منهم عاماً دولياً مثل (عام الطفل) ـ (عام الكبار) ـ (عام المعوقين)[1]. من هذا المنطلق فقد جعلت من عام ١٩٨٥م، عاماً دولياً للشباب.

والشباب (نصف الحاضر وكل المستقبل) تلتقي فيهم كل الطموحات الفردية التي تشكل في مجموعها طموحات مجتمع ما، وفي الوقت نفسه تتجمع ذروة المشكلات الفردية التي تشكل في مجموعها مشكلات مجتمع ما.. من هنا نلمس أهمية القضية المطروحة في عام الشباب.. وهي الشباب بكل طموحاته ومشكلاته..

نضيف لنقول.. إن الشباب ثروة بشرية لا تقدر بمال.. وهذه الثروة تحتاج إلى رعاية وعناية كي تحقق كل ما هو منتظر منها من خيرات للبشرية في الحاضر والمستقبل.

ومجلة «الفيصل» تبادر من ناحيتها للمشاركة في هذا العام بهذه الندوة للتعرف من خلالها على مجهودات (الأمم المتحدة).. كما نتعرف على آراء رجال الفلسفة والأدب وعلم النفس في قضايا الشباب (الداء والدواء).. من أجل غد أفضل لهم ولمجتمعاتهم.

ندوة العدد

الشباب.. المشكلات والحلول

المشاركة ـ التنمية ـ السلم

المشاركة والتنمية والسلم .. ثلاثة شعارات للسنة الدولية للشباب قررتها الأمم المتحدة بقصد أن تحقق وعياً عالمياً لوضع الشباب وتبصير العالم بمشكلات الشباب وتطلعاتهم بغية إشراكهم في عمليات التنمية ..

ولأغراض إحصائية تحدد (**الأمم المتحدة**) سن الشباب من ١٥ إلى ٢٤ سنة، وتقول الإحصائيات إن عدد الشباب في العالم ٧٣٥ مليوناً في سنة ١٩٧٥م، ومن المنتظر أن يصل هذا العدد إلى (١١٨٠) مليوناً في سنة ٢٠٠٠ أي بنسبة زيادة متوقعة تصل إلى ٦٠٪ .. **وهذه الزيادة تساعد على تفاقم مشكلات الشباب في العالم مثل البطالة وعدم ملاءمة التعليم مع مساهمتهم الإنتاجية في المستقبل في تنمية مجتمعاتهم .. الخدمات الصحية الرديئة وسوء التغذية وغيرها من المشكلات الصحية والاجتماعية والثقافية ..**

ولقد وافقت اللجنة الاستشارية للسنة الدولية للشباب التي شكلتها الجمعية العامة للأمم المتحدة من ٢٤ دولة من الدول الأعضاء .. على برنامج محدد للتدابير والأنشطة التي يجب تنفيذها قبل السنة الدولية للشباب وخلالها .. ومن بين مقرراتها .

١ ـ الحاجة المحتملة إلى جهاز دولي معني بحقوق ومسؤوليات الشباب .

٢ ـ التأكيد على أهمية الاجتماعات الإقليمية في الاستعدادات للسنة الدولية للشباب وتشجيع إنشاء لجان تنسيق وطنية .

٣ ـ دراسة حملة عالمية لغرس الأشجار خلال السنة الدولية للشباب .

الإسلام .. والشباب



بعد استعراض تقارير (الأمم المتحدة) ننتقل إلى ندوتنا فنبدأ حوارنا مع الدكتور محمد إبراهيم الفيومي أستاذ العقيدة والفلسفة وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر .

●● هلا ذكرتكم بعض مواقف وأدوار الشباب في صدر الإسلام وبماذا أوصى الإسلام بالنسبة للشباب وكيف نظم العلاقة بين الأجيال ؟

● نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر .. (**أسامة بن زيد**) كان دون العشرين بقليل ورغم ذلك أمره الرسول صلى الله عليه وسلم على جيش سار به إلى الشام .. (**علي بن أبي طالب**) مثل من الأمثلة الفريدة في التاريخ .. وهو أول من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم، من الشباب .

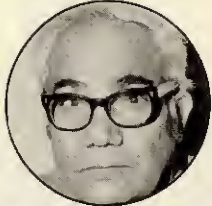
إن الشباب محور الأمة ومصدر قوتها وحق علينا أن نرعاه وحق على الشباب أن يؤدي واجب تلك الرعاية .

ولقد نظم الرسول صلى الله عليه وسلم العلاقات بين جيل الأبناء وجيل الآباء بقوله .. (**ليس منا من لم يحترم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا**) . وبذلك تكون نظمت العلاقة بين الأجيال على مبدأ الاحترام والتوقير .

●● ما هي نظرة الفلسفة الإسلامية للشباب ..؟

● هي نظرة بنائية قائمة على دعم الفضيلة من حيث بناء الأخلاق وعلى تهذيب السلوك من حيث العلاقات الاجتماعية من خلال مبادئ ربانية أوحى الله بها على رسوله صلى الله عليه وسلم قائمة على التربية العقدية المبنية على عقيدة أساسها التوحيد وعلى تشريع قائم على العدل وعلى أخلاق قوامها الرحمة .

القلق الروحي .. والعدوانية



وشارك في هذه الندوة، المفكر العراقي المعروف الدكتور يوسف عز الدين، برأيه في الشباب والقلق بقوله :

القلق .. والغربة .. والعنف .. من مظاهر العصر الحديث .. ظهرت متشابكة نتيجة عقدة نفسية فرضتها مؤثرات اجتماعية معينة تضافرت فسببت الاضطراب النفسي الذي أدى إلى اضطراب الذات الإنسانية .

ولعل من أبرز الأسباب التي أدت إلى هذا الاضطراب، الوقوف أمام نزعة **إثبات الذات**، وغريزة **الظهور الاجتماعي، وإبداء الرأي** .. التي تفرض على الفرد سواء أكانت من السلطة أم المؤدب أم الأسرة أم النقد بصورة عامة .

وبين عاملي كبت الرأي وإثبات الذات الاجتماعي .. تظهر **المقاومة** وتنجلي **العدوانية** .. لتفرغ الطاقة .. والتخلص من العناء الروحي المتكلس في اللاشعور .. ونتيجة الإخفاق الروحي والإحباط النفسي .. يكون الشاب عدوانياً مخرباً لأنه أصبح أسير **العصاب الوجداني** .

وقد تخفف من النتائج **سعة الثقافة، والمحيط الاجتماعي الكريم، والبيئة الحانية** .. لأن العلم وأصالة الموروث ودفء الحب والحنان تقلل من

عدوانيته .. وحقده .. وتزيد في قوته الروحية وثقته بنفسه فيحصل التعادل الوجداني .

إن ضياع الذات وضعف الشخصية تدفع الشاب إلى الاعتداء .. ويختار قادة الرأي ، وكبار المفكرين ومن هم أعلى منه طبقة ومنزلة اجتماعية .. فيفرغ حقده وبغضه فيهم ، للتخلص من المرض النفسي الذي ينوء بحمله .. لأنه لا يقدر أن يفرغه في السلطة أو الأسرة أو المسؤول .. خوف العقاب ، وحذر الجزاء الصارم . كمثل الزوج الذي يكسر أواني داره بعد أن أهانه رئيسه أو تقدم عليه زميله في مضمار العمل ونال ترقية .. كان يحلم بها لنفسه .

ومن أسباب القلق والغربة والعدوانية .. الإخفاق في حياة الإنسان الخاصة ، **كالحب أو الدراسة أو ضياع مركز كان يحتله ، أو طرده من مؤسسة كان يبرز ذاته من خلالها ..** ولما آذاه الطرد أو الإخفاق أو الضياع انهار روحياً ففرغ همومه وعدوانيته في أوعية الآخرين للتخلص من عقدته الثقيلة ورغباته المكبوتة وانفعالاته المتكلسة .

وقد تتولد العقد من مرض نفسي قديم أو خلل في الجسم أو عيب في السمات والشكل الخارجي .. ومتى ما كان الشاب مثقفاً ثقافة عالية أو كان له موروث حضاري عميق .. سما بهذا العيب وارتفع به وأدى خدمات كبيرة يخدم فيها مجتمعه لينال احترامه وتقديره ويغطي على هذا العيب أو العاهة الجسمية .. وتلك هي Super Wety Complex .

والقلق أزمة روحية .. تسبب الغربة .. والعدوانية .. عند كل البشر بدرجات متفاوتة .. تحكمها الثقافة .. ومحيط الأسرة .. وحياة المجتمع ونظرته لأفراده .

فالمجتمع العربي .. والمحيط الشرقي .. يخلق أفراداً غرباء في أوطانهم .. يعيشون داخل سجن نفسي جدرانه الفردية وأسواره الأنانية .. بعد أن عزل عن المجتمع .. وحرم من الإسهام في حياته .. وفقد الود الرقيق والصداقة الدافئة والمتعة الروحية العالية .

ولعل عدم إيمان المجتمع بقابلية الفرد المبدع والإنسان المجدد وقدرة الفردية ، حالت دون إفساح المجال له ليسرب رغباته وليثبت ذاته ، لأن المجتمع يخاف من الذكي اللامع والطموح المبدع فقد قال **(رسل)** : « ... **من أبرز الأخطار المعاصرة ـ خوف المجتمع ـ من الإنسان الشديد الذكاء الكثير الطموح ..** » .

إن الاستفادة الجادة من مصادر الحياة واستخدامها في سبيل البناء الصالح ، خير أسس الصحة النفسية بالاعتماد على الموروث الحضاري وأصالة التراث وحداثة الاتجاه الفكري .. مع تجنب مساوئ الغرب والاستفادة من محاسنه في الدفاع عن الحرية ، وإثبات الذات ، وإفساح المجال أمام الشباب السوي ليأخذ طريقه السليم .

وسوف يعيد للمجتمع العربي والشرقي صحته النفسية ويساير البناء الحضاري في التطور والإبداع والتجديد .

دور الآباء



ونتقل بالحوار مع الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية فنسأله :

●● الشباب .. نصف الحاضر وكل المستقبل .. بحكم السن هم في حاجة اليوم إلى التدعيم حتى يتمكنوا من تحقيق كل ما هو منتظر منهم في المستقبل .. ما الدور الذي يجب أن يقوم به جيل الآباء نحو الشباب ؟

● إن مرحلة الشباب التي تمتد ما بين ١٥ إلى ٢٥ سنة في الغالب .. وهي مرحلة يتعرض فيها الشباب لعوامل نفسية واجتماعية عديدة تخضع أساساً لنشأة وتربية الشاب وكلما كانت هذه التربية سليمة وحسنة استطاع الشاب أن يتغلب على جميع العقبات والأزمات وأن يخوض غمار حياته العملية بكل ثقة وأمل في حاضره ومستقبله .

والأب الناجح هو الذي ينفذ الوصية المشهورة **(لاعب ولدك سبعاً وأدبه سبعاً وصاحبه سبعاً ثم اجعل حبله على غاربه)** .

وهنا أحب أن أقف عند مرحلة المصاحبة التي نكاد أن نفوتها على شبابنا فلا نشركهم في أمور حياتنا في الوقت الذي يعتزون هم فيه أن يكون لهم رأي ومشاركة فعلية .. وعسانا نفعل ..

●● كيف السبيل إلى حماية الشباب من نفسه من ناحية وحمايته من الأفكار الهدامة والمظاهر الاجتماعية الفاسدة من ناحية أخرى ..؟

● لا شك أن وسائل الترفيه ذات أثر كبير في حياة الشباب على أن يرعى الآباء والمجتمع هذه الوسائل حتى لا تخرج عن أهدافها ..

ومن الأشياء الحميدة عنايتنا بالناحية الرياضية وما فيها من تربية جسمية وروحية .. ويسعدني أن هذه العناية أخذت تبدو وتظهر بوضوح في الأقطار العربية الشقيقة .. **هذا من ناحية .**

من ناحية أخرى نجد أن الشباب أكثر تقبُّلًا للأفكار الجديدة .. ومن واجبنا أن نفسح له الصدر فنستمع إليه ونناقشه في حرية وطلاقة ، وفي هذه المناقشة نصلح أخطاء نريد أن يبرأ منها الشباب .

ونضيف معلومات وخبرات تكون قد فاتت على الشباب .. أضف إلى ذلك أن دور **البيت والأسرة** على درجة كبيرة من الأهمية بمعنى أنه كلما كان حال البيت والأسرة مستقرًا ساعد ذلك على خلق شباب ناضج وقادر على النهوض بواجباته نحو نفسه ونحو مجتمعه .

ندوة العدد

الشباب.. المشكلات والحلول

مرحلة الشباب



ويعرج بنا الحوار إلى الدكتور يحيى الرخاوي أستاذ الطب النفسي.

●● ما السن الذي اصطلح على تسميته بمرحلة الشباب، وما تعريفكم لكلمة (الشباب)..؟

● في تقديري ليس للشباب سن معين فالشباب موقف ورؤية وصفة عامة وحسب الشائع وليس حسب رأيي فالشباب يمكن أن يمتد **من سن ١٥ إلى ٣٠ سنة**. ويمكن أن نعرف الشباب على أنه:

١ ـ الحفاظ على الأمل مهما كانت الظروف.

٢ ـ القدرة على الدهشة المتجددة حتى من أمور قديمة.

٣ ـ الإصرار على التعلم الدائم.

٤ ـ العمل على التغيير إلى الأفضل بأي قدر.. وأي إنسان مهما كانت سنه يستطيع أن يحافظ على كل ذلك بأي درجة معقولة لا بد أن نعتبره شاباً فعلاً.

●● بماذا يتميز الشباب العربي عن غيره من شباب العالم؟

● إن شبابنا يمر بامتحان خاص لأنه يتلق جرعة من الخارج مجتمعة وكبيرة وغير متناسبة مع ما يهيئه له تاريخه وقدراته الخاصة.. وفي نفس الوقت هو يجاهد في سبيل إحياء كل ما هو أصيل يميزه عن غيره.. وعلى شبابنا أن يعرف أن صعوبة هذا الموقف لا يعني استحالة حله..

إن زوال الحواجز بين الناس بفضل سرعة الاتصال يحتم الحوار المتبادل، لكن الأخذ على طول الخط دون تميز فهو خطر مرعب لا بد من الانتباه إليه.

●● هناك العديد من المشكلات التي تعوق الشباب عن تحقيق وجودهم وذواتهم.. ما أهم هذه العوائق وكيف التخلص منها؟

● إن الشباب من طبيعته أن يواجه المشكلات المعيقة وأنه لا يكون شاباً بحق إلا إذا أصر على تحديها.. ولكن هذا لا يعني أن نلقي عليه بكل المسؤولية.. وأرى أن من أهم المعوقات:

١ ـ طرق التعليم التي تفضل الحفظ على تنمية الإبداع.

٢ ـ الافتقار إلى الحوار الحقيقي مع من هم أكبر.

٣ ـ الخوف من كل جديد دون إعطائه الفرصة الكافية.

أما كيف يمكن التغلب على هذه العوائق؟ فالأمر يحتاج إلى تغيير نظم التعليم وإلى قدر أرحب من الحرية الفكرية.

●● كيف ترى شباب القرن ٢١.. وماذا ينتظر الشباب في هذا القرن من معضلات ترى ضرورة الكشف عنها من الآن لتكون أعين الأجيال الحاضرة عليها ولتبصير الأجيال المقبلة بها..؟

● هذا أصعب سؤال في الحوار كله.. فإني كلما نظرت إلى نتيجة الحائط ورأيت الرقم (١٩٨٥م) يتحداني فأتذكر أننا بعد ١٥ سنة سنكون في عام (٢٠٠٠) هذا الرقم المتحدي.. وأنا أتصور أن التحديات ستتلاحق بقدر لا يمكن معه التوقف للحساب.. فالآلة والتكنولوجيا ستزداد تدخلاً في حياتنا.. والكتابة والطباعة قد تختفي ليحل محلها الذاكرة ذات الأزرار. وسيهتز دور الأدب والفنون في تكوين وعي الناس لأن اللهاث قد يعوق دون وقفة للتأمل والتعمق والاستيعاب، والحروب الشاملة قد تكون أقرب احتمالا نتيجة لخطأ أو يأس.. وأحسب أن هذا يكفي، والحلول المأمولة لا بد أن تكون نظرة شاملة عالمية متعقلة يتعاون فيها كل البشر لإنقاذ الأجيال المقبلة.

الشباب.. والضعف اللغوي



ويختتم الأستاذ أسامة أحمد السباعي، مدرس الصحافة في جامعة الملك سعود بالرياض، هذه الندوة مدلياً برأيه في قضية لغة الشباب اليوم، قراءة وكتابة، من خلال تجربته الصحفية، فيقول:

خفق فؤادي لحظة أقبل عليّ فيها شاب نيجيري الجنسية ابتدرني بالسلام، ثم سألني بعض الأسئلة باللغة العربية.. فيها من فصاحة اللسان، وسلامة التعبير، ووضوح الألفاظ، وقوة التركيب، وطلاقة المعاني.. ما خلت معه أنني أمام شاب عربي، مهنته التدريس في اللغة العربية!

لقد عقدت المفاجأة لساني، فلم أعد قادراً على إجابته على أسئلته.. استعصت الكلمات على الخروج، فأخذت أزدردها واحدة تلو الأخرى، وأنا أتذكر حال شبابنا العربي الذي تفشت فيه ظاهرة **عدم الانسجام بينه وبين اللغة العربية.. نطقاً وكتابة!**.

أهذا الشاب الأعجمي الذي تربى في بيئة غير عربية، ولغته الأم ليست عربية، أراه يتقن العربية بمثل هذا الإتقان!.. وزميله الشاب العربي الذي

تغذى اللغة العربية ، ورضع منها ، وتعلمها في جميع مراحل دراسته ، لا يكاد يملك أسباب الحديث بها فضلاً عن إتقانها ، فنراه يعجز عن صياغة عبارة عربية خالية من اللحن ، ويستعصي عليه تركيب جملة سليمة تعبر عن ما في ذاته . . !

أحسبني لا ألقي الكلام على عواهنه ، ولا أطلق الأحكام جزافاً . . فإنني أتصدى لهذه الحقيقة من واقع تجربة شخصية عشتها منذ أربع سنوات ولا أزال . . من موقع عضويتي في لجنة قبول طلبة الثانوية العامة في **قسم الإعلام في كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود بالرياض** ، وقبول طلبة آخرين من كليات مختلفة يرغبون التحوّل إلى قسم الإعلام . . من هذا الموقع ، أُصاب **بصدمة « فصلية »** ـ مرة كل فصل دراسي ـ بواقع شباب المدارس والجامعات اليوم ، على مختلف جنسياتهم .

إن أقل ما يمكن أن يوصف به هؤلاء الشبان أنهم ما زالوا غير قادرين على السيطرة على اللغة العربية ، أسلوباً وحديثاً !

ما أسوأ ما نسمع ، حين يُطلب إلى الكثير منهم أن يقرأ من صحيفة ، أو مجلة ، أو كتاب . . **نسمع ضعفاً واضحاً في اللغة العربية . . نحواً ، وصرفاً ، وإملاءً ومفردات** . ولئن طلب إلى بعضهم المشاركة في مناقشة موضوع ما ، أو ظاهرة اجتماعية معينة ، ليقيس أعضاء اللجنة من خلالها قدرتهم على التعبير ، وعلى ترتيب الأفكار في أذهانهم . . لاستمتعنا بلحظات مضحكة مبكية . . **لغة أقرب إلى العامية منها إلى العربية الفصيحة ، مع ركاكة في التعبير ، وسطحية في المعنى** .

كيف يحدث هذا ؟! . . وقد حصل شبابنا على شهادة الثانوية العامة ؟ . . أو لا يعني مجرد الحصول على هذه الشهادة أن الخريج قد أجاد لغته القومية إجادة تامة ؟

إن شهادة الثانوية العامة التي يحملها الشاب ، في تعريف قاموس **« وبستر »** الأمريكي ، تشهد أن الطالب **« قد أنهى بنجاح واقتدار فهم لغته القومية »** . . قراءة وكتابة ، بالإضافة إلى **إلمامه ببعض المعلومات في المجالات العلمية والأدبية والإنسانية** .

إن هذا التعريف يؤكد أن أهم ما تشهد به شهادة الثانوية العامة أن يكون الطالب قد عرف لغته وفهمها **« باقتدار »** ، ثم يأتي بعد ذلك فهمه **« لبعض »** المعلومات العلمية والأدبية والإنسانية .

فكيف ابتعد شبابنا كثيراً عن هذه الحقيقة ؟ . . وعلى مرأى ومسمع من الجميع دون أن نحرك ساكناً ، فنصد الخطر الزاحف إلى جيلنا الحاضر مكتسحاً معه الأجيال القادمة ؟!

هل هذه هي كل الحقيقة في سلسلة الضعف اللغوي ، قراءة وكتابة ونطقاً ؟ . .

كلاَّ ، فينبغي أن لا ننسى وجهاً آخر من الحقيقة ، ذلك هو **رداءة الخط** ، وعدم وضوحه . . فضلاً عن الأخطاء الإملائية الكثيرة ، ذلك الضعف الذي لو حوسب عليه الشاب حساباً **غير دقيق** ، لما نجح أمام لجنة القبول إلا القليل جدًّا ، والذي لو وضع في اعتبار المصححين لإجاباتهم في امتحانات الثانوية العامة ، لما حصل شاب على الثانوية العامة ، إلا من رحم ربك !

في رأيي إن ضعف شبابنا في لغتهم يعود إلى الأسباب التالية أو بعضها :

(١) ضعف مناهج اللغة العربية في المدارس .

(٢) قد تكون المناهج قوية ، وإنها لفرط قوتها أصبحنا في حاجة إلى تبسيط وتيسير .

(٣) ضعف الاهتمام لدى مدرسي اللغة العربية على مختلف فئاتهم وجنسياتهم . . بدءً بقواعد النحو والصرف ، ومروراً بقواعد الإملاء ، وانتهاءً بأسس البلاغة . . وضعف اهتمامهم بمتابعة الطلبة والتصرف معهم بجدية أقل مما ينبغي .

(٤) ضعف مستوى بعض مدرسي اللغة العربية أنفسهم . . فهم لم يتمكنوا منها بعد ! . . وفاقد الشيء لا يعطيه . . وإذا تمتع ذلك البعض بمستوى جيد . . فهم غير مؤهلين للتدريس . . فالعلم شيء . . وإيصاله إلى المتلقي شيء آخر .

(٥) وجود أبواب مقررة في المنهج ، ليس لها ضرورة إلا للمختصين من طلبة العلم في اللغة العربية .

إذن . . ما الحلول المقترحة للقضاء على هذه المشكلة ؟

إن كان لي أن أطرح حلولا . . فإن **أول ما يتصدرها : إعادة النظر في مناهج اللغة العربية وآدابها** . . من ذلك **تبسيطها** (أي المناهج) **وتيسيرها ، وإلغاء ما لا حاجة للشاب المثقف العادي به** .

وثانيها : تأهيل المدرس القوي في مادته . . فكثيراً ما يعود ضعف الطالب إلى ضعف المدرس نفسه !

وثالثها : فتح معاهد أو فصول مسائية مجانية تدرس اللغة العربية . . قواعدها وصرفها وآدابها ، دون مقابل . ويلتحق بها مختلف طبقات الشباب ومهنهم ، طلبة . . وموظفين ، تجار . . وحرفيين ، إذاعيين . . وصحفيين .

فإذا كنا نسمح للمؤسسات الثقافية الغربية بفتح أبوابها في بلادنا ، لتعليم اللغات الأجنبية ، فبالأحرى أن نفتح ـ نحن ـ أبوابنا في شكل معاهد تعلمنا لغتنا وآداب لغتنا !؟

ورابعها : زيادة الجرعة اللغوية والأدبية التي تعطى للطلبة في الأقسام العلمية من المرحلة الثانوية ، فخريج القسم العلمي لن يفلت من سوار اللغة فإنه غداً سيكتب باللغة العربية . . شاء أم أبى ، وسيحتاج في أبحاثه ودراساته إلى اللغة ، فكونه موجَّهاً توجيهاً علمياً لا يعطيه جوازاً يسمح له بالمرور إلى الحياة وهو لا يحسن نطق لغة تلك الحياة ، ولا يمنحه حصانة تستثنيه من الكتابة الجيدة ، إذا تطلبت ذلك ظروف عمله .

بين هديل الحمائم وجوى الغربة

بقلم : صالح بن سليمان الوشمي



الحمام تلكم الطائر الوديع الجميل المنظر العذب التغريد ، ربطت ذلك الطائر الذي يجوب الفضاء ، ويقف على غصون البان والغضى ـ ربطته بالمحبين رابطة خفية ـ وجد فيها أصحاب البيان ، وأرباب الشعر ـ ممن تفاعلت ملكاتهم مع ما يحز في ضمائرهم ـ وجدوا فيها متنفساً لجواهم ، ومعبراً قد يرونه متكأ لإسقاط ما يعتلج في نفوسهم من هموم الغربة ، ولواعج الشوق للحبيب الذي يرونه بغيتهم المحبوبة ، وضالتهم المفقودة .. أو للوطن الذي تلقاهم وهم ضعاف البنية ، حتى درجوا وترعرعوا فوق أرضه وتحت سمائه ، فشربوا شوقه وحبه .

إن هذا الطائر الذي كثيراً ما يلحق باسمه اليوم السلام ، سواء في التعبير أو الرمز ـ ولعله سر يعود إلى ما يقال : إن ذلك الطائر أول من جاء ببشارة السلامة لمن حُمِلَ في سفينة نوح عليه السلام ـ .

لقد سبق إلى التعريف على وداعة هذا الطائر وإلفته ، وجمال رؤيته ، وعذوبة صوته شعراء خاطبوه بالعواطف ، وبثوه لاعج الشوق ، وحسبك من العاطفة حين تجيش شعراً عذباً ، ولفظاً متقن السبك رحباً .

إن الطلائع من شعراء العربية وجدوا في طائر الحمام الجميل رسالة أو رسولا يبلغ الرسالة ، وينقل التحية والشوق ، حينما لا برق ولا هاتف آلي .. فقد وجدوه أليفاً وكأنه يصغي إلى نجواهم ، وشاطرهم غربتهم فأنسوا به وأنس بهم . يقول **الجاحظ:** ومن مناقب الحمام حبه للناس وأنس الناس به[1] . فما هي العلاقة في اختيار هذا الطائر من بين الطيور التي قد يوجد منها ما قد يفوقه ظرفاً ورشاقة ، لا أدري إن لم تكن ألفته حيث يسكن الأبراج ويأوي إلى البيوت التي تكن الحبيب .. ثم هو يهتدي إلى مكانه داخل المدينة وإن كثرت داراتها وتعددت أحياؤها ، وتشعبت مسالكها ، وفي هذا رمز على حفظ المودة .. وإلفه للمكان والإنسان الذي نجح في تطويعه وتدريبه على حمل الرسائل ـ كحمام الزاجل سابقاً ـ يقول الجاحظ : ومن كرم الحمام الألف والأنس والنزاع والشوق ، وذلك يدل على ثبات العهد وحفظ ما ينبغي أن يحفظ[2] . ويقول **الدميري :** ومن طبع بعض الحمام أنه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ ويحمل الأخبار .. ويأتي بها من البلاد البعيدة[3] .

إن لم تكن هذه العلاقة التي جعلت منه رسول المحب إلى الحبيب ، فهي سر أدركه كل مدنف في هديل الحمام ونوحه ، فشاطره هذا الجوى المبهم ، وإن كان هذا الطائر طليقاً في الفضاء فهو يحس بأنه حبيس جوى عميق ، وهوى قديم لا يفصح عنه ، فيكون في هديله ونوحه ما يذكي شجون وشوق الشاعر الذي يقول :

وإني لمجلوب لي الشوق كلما
ترنم في أفنانكن حمام

ويقول[4] :

دع ذكرهن فما تزال تشبه
ورقاء تركب حانياً ميادا
تدعو حمائم أيكة بهديلها
يخضعن حين يجبنها الأجيادا
يا ويحهن حمائماً هيجن لي
شوقاً يكاد يصدع الأكبادا

وقول الآخر[5] :

ألا قاتل الله الحمامة غدوة
على الأيك ماذا هيجت حين غنَّتِ
تغنت غناءً أعجمياً فهيجت
جَوَاى الذي كانت ضلوعي أكنَّتِ

وحيناً يرى الشاعر العربي في الحمامة وهو مغترب عن ألف نفسه وخاصة حينما ترتل هديلها الشجي ، يرى بأنها صورة من واقعه في البعد ، وقد شط به المزار ، وبعد عن الدار ، يقول الشاعر[6] :

إذا نادى قرينته حمام
جرى لصبابتي دمع سفوحُ

يــرجع بــالدعاء على غصــون
هتــوف بــالضحى غَرِدٌ فصيـحُ
هفـا لهـديله مـني إذا مـا
تغــرد سـاجعاً قلـبٌ قـريحُ
فقلــت حمـامة تــدعو حمــاما
وكل الحـب نــزّاعٌ طمــوحُ

ويأنس الشاعر لنوح الحمام ليبثها شجوه ويحملها بوح ضميره، كقول **توبة بن الحُمَيِّر**[٧]:

حمـامة بـطن الـواديين ترنّمي
سقاك مـن الغـر الغـوادي مـطيرها
أبيـني لنـا لا زال ريشـك نـاعماً
وبيضــك في خضراء غضٌ نضـيرها

وقول الآخر:

ألا يا حمـامات اللـوى عـدن عـودة
فـإني إلى أصواتكنَّ حـزينُ
فَعُدنَ فلما عُدْن كِدْنَ يمتنني
وكدت بـأشجاني لهـنَّ أُبـينُ

وقد يتعاطف الشاعر مع الحمامة حين يراها في شباك الصياد أو قفص البائع.. فيناجيها وربما يفتديها بمـاله ليـطلق أسـارها، كما فعـل **عبد الله بن طاهر** ـ وقيل إنه الشاعر **اليمان بن اليمـان** ـ حينما اجتاز بمحلة الطاق ببغداد فشد انتباهـه نوح حمامة في قفص بـائع بـالسوق.. فاشتراها وأطلقها وقال[٨]:

نــاحت مـطوقة ببـاب الـطاقِ
فجـرت سـوابق دمعـيَ المهـراقِ
كانــت تغـرد بـالأراك وربمـا
كانــت تغـرد في فـروع السـاقِ
فرمى الفـراق بهـا العـراق فـأصبحت
بعـد الأراك تنـوح في الأسـواقِ
فُجِعَت بـأفرخها فـأسبل دمعهـا
إن الـدموع تبـوح بـالمشتاقِ

إلى أن قال:

بي مثل ما بـك يـا حمـامة فـاسألي
مـن فـك أسرَكِ أن يحـلَّ وثـاقي

وطائفة أخرى من الشعراء ولعلهم ممن أدمى الجوى قلوبهم، وقرح الحب جفونهم، يشاطرون الحمامة هـديلها، ويـؤكدون أنهـم يفـوقونها بالدموع السفواح، فالحمائم تنوح بدون دموع، يقول أحدهم[٩]:



بين هديل الحمائم وجوى الغربة



دعت فوق أفنانٍ من الأيك موهنا
مطوقة ورقاء في إثْر آلفِ
فهاجت عقابيل الهوى إذ ترنمتْ
وشبت ضِرامَ الشوق تحت الشراسيفِ
بكت بجفون دمعها غير ذارفٍ
وأغرتْ جفوني بالدموع الذوارفِ

وشاعر آخر تذكر فلذات كبده وهو **بالري** وقد صدحت بقربه حمامة فقال[10] :

وأرقني بالريِّ نوح حمامة
فنحت وذو الشجو الحزينُ ينوحُ
على أنها ناحت ولم تُذر دمعة
ونحت وأسراب الدموع سفوحُ
وناحت وفراخها بحيث تراها
ومن دون أفراخي مهامه فيحُ

ويكاد الشاعر **عروة بن حزام** يشك في نوح الحمام إذا قاسه على ما به من جوى يقول[11] :

أحقاً يا حمامة بطن وج
بهذا النوح أنك تصدقينا
غلبتك بالبكاء لأن ليْلي
أواصله وأنك تهجعينا
وأني إن بكيتُ بكيتُ حقاً
وأنك في بكائك تكذبينا
فلستِ وإن بكيتِ أشدَّ شوقاً
ولكني أسرُّ وتعلنينا
فنوحي يا حمامة بطن وج
فقد هيجتِ مشتاقاً حزينا

ولعل الشاعر الفارس **أبو فراس الحمداني** هو الوحيد الذي يؤنب الحمامة على نواحها وهي طليقة بأعلى الشجرة، فكيف به وهو أسير القضبان[12] :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة
أيا جارتا هل تشعرين بحالي؟
معاذ الهوى ما ذقتِ طارقة النوى
ولا خطرت منكِ الهمومُ ببالي!

إلى أن قال :

أيضحك مأسورٌ وتبكي طليقة
ويسكت محزون ويندب سال
لقد كنت أولى منكِ بالدمع مقلة
ولكن دمعي في الحوادث غال!

لقد جسم أبو فراس بهذه المناجاة مع تلك الحمامة الطليقة بُعدَ ما بين نوحها وهي طليقة، وما يحترق في نفسه من جوى ولوعة، وهو سجين، فكيف تبكي وهي طليقة، فما هو السر..؟.

ووراء هذا السر يعبِّر الشاعر السعودي في مقطع حالم مناجياً ذلك الطائر الأليف، محاولا استطلاع ذلك السر، وما بهم في مطلبه، وما غمض في شكواه يَقول[13] :

حمامة البان من بالنوح أغراكِ
حتى اشرأبَّ من الأصداء مغناكِ
لو في البكاء على الأفنان تعزية
من الشجون لكنُّا قد عذرناكِ
فهدي الرَّوْعَ ما الشكوى بمجدية
في معشر بات ينهانا وينهاكِ؟

ثم يقول :

كم أشعل الوجد ناراً في جوانحنا
تكاد تبصره في الحي عيناكِ؟
فجئت بعد لتلك النار مضرمة
رحماكِ من حرقة الأحزان رحماكِ

ويقول :

الله أعطاكِ صوتاً لا مثيل له
بين الحمائم مثل الطوق حلاَّكِ
فيه التلهف للماضي وآونة
ذكرى اللقاء وطوراً أنة الشاكِ
يشاكل النفس في إبهام مطلبها
فلستُ أعرف منه اليوم مغزاكِ!

الهوامش

(١ ، ٢) الجاحظ : كتاب الحيوان ، جـ ١ ، ص ص ٤٤٩ ، ٤٨٠ .
(٣) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، جـ ١ ، ص ٢٥٨ .
(٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) أبو علي القالي : كتاب الأمالي ، جـ ١ ، ص ص ١٣١ ، ١٣٣ .
(٨) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ .
(٩ ، ١٠) أبو علي القالي : كتاب الأمالي ، جـ ١ ، ص ص ١٣٠ ، ١٣٢ .
(١١) محمد بن بليهد : صحيح الأخبار ، جـ ٢ ، ص ٦٩ .
(١٢) أبو فراس الحمداني : ديوانه ، ص ٢٣٨ .
(١٣) حسن محمد الشنقيطي : النهضة الأدبية في نجد ، ص ١١٧ .

بقلم: د. يوسف عز الدين

ذات الأخشاب المصقولة

كانت الأزقة والطرق ساحات لعبنا وصخبنا، وكنا نثير زوبعة من الغبار وعاصفة من الفوضى والصراخ في ركضنا ومصارعتنا وعبثنا. إذ لم تكن الأزقة والطرق مرصوفة أو معبدة.

وتتعالى أصواتنا غبطة، وترتفع سروراً إذا ما جاء أحد أبناء القرى المجاورة، وقد حمَّل حماره بإنتاج القرية الزراعي. لأننا نجد لذة عجيبة، ومتعة غريبة عندما نتحرش بالحمار أو نعبث بالقروي، فقد ننهب خيارة أو نسرق رمانة، أو نشد ذيل الحمار، أو نضربه. وقد نرمي حمل (**القصيل**) أيام الربيع عندما يأتي به ليبيعه لأصحاب الخيل من حوذي وشرطي.

إنها رغبة العبث الداخلي وتصريف الطاقة الجسمية، ونظرة الاستعلاء التي تظهر عند الحضري متى رأى ابن القرية الساذج الذي تشرق الطيبة من محياه والوداعة في سيماه.

كانت الحياة في (**بعقوبة**)[1] ساذجة رتيبة لا تختلف عن القرية كثيراً، وسكانها يظنون بأنها مدينة لأن فيها (**سراي**)[2] الحكومة ومركز الشرطة والمحاكم والمدرسة الابتدائية ومركز بيع الحاصلات التي تأتي من القرى والأرياف ومكان تعليم أبناء الموسرين.

وكنا نحب الطالب القروي ونعجب به لأنه كان يحضر دائماً قبلنا. ومنهم المتفوق الهادئ والسمح الرضي الخلق يأتي، وقد تدلت المخلاة من كتفه وفيها كتبه وقطعة من خبز شعير أو حنطة وتمرات يأكلها متى ذهبنا ظهراً إلى بيوتنا وعندما نعود للدرس ثانية نراهم في دراسة ومناقشة وحفظ.

وكانت وسائط السفر أقدامنا لا نكترث بالمطر والوحل والبرد والحر، لأننا سرعان ما نصل إلى بيوتنا القريبة من المدرسة. لكن الطالب القروي يقطع المسافات ليصل إلى قريته أو إلى المدرسة.

فنتألم أشد الألم.. عندما كانت تقلبات الجو تحول دون حضورهم إلى المدرسة، وقليلاً ما يتأخرون.

وعندما تنتهي الفترة الثانية عصراً، يُدَق الجرس، ونصطف ثم نخرج بانتظام وهدوء. وما إن نترك عتبة الباب حتى يتعالى الهرج والصخب ويبدأ الطلاب بإظهار الثوب (**الدشداشة**) الذي أخفيناه في السروال وحشرناه في رجليه. إذ فرض علينا أن نرتدي هذا السروال اللعين.

وفي الشارع تثار الخصومات والمطالبة بالثأر بين الأطفال ويبدأ الانتقام من الخصوم، ويبدأ العراك، والصراخ، والسباب:

- **لماذا أخبرت المعلم عن غيابي؟**.
- ● لماذا مزقت دفتري؟.
- **لماذا قضمت مساحتي؟**.
- ● لماذا كسرت قلمي؟؟.

إنها ساعة الحساب المتأخرة خوفاً من المعلم وسطوة المدير. وسرعان ما يظهر رجل طويل القامة، يحمل على كتفه كيساً كبيراً فيصرخ بالأطفال صرخة مدوية، فتنتهي الخصومات ويهرب الجميع ويتفرق الصحب خوفاً من طوله الفارع ووجهه المربد الغاضب، وكأنهم خافوا أن يضربهم بالكيس الكبير.

لم نكن نعرف ما في الكيس، إنما كان يكبر مرة ويصغر أخرى، وبدأنا نتساءل.. أين يذهب (**شلغيم**) كل يوم بهذا الكيس؟! لعله يعمل في دار المتصرف (**المحافظ**) قرب محطة القطار الذاهب إلى **بغداد** ويشتري ما تحتاج إليه أسرة المحافظ من السوق!!.

وتساءلنا.. **إن الناس تتسوق صباحاً**...

فأجاب أحدنا.. هذه ميرة المساء.. إنه بيت المتصرف.. ولا بد أن عنده ضيوفاً كل يوم...





ـ **كلا إنــه كيس شعير!** .

ـ ويحـك هـل يـأكل المتصرف خبز شعير! .

ـ **لا بد أن يكون كيس حنطة (عجيبة) أو كيس رز عنبر من الـدرجة الأولى** .

لم نصـل إلى شيء نتفـق عليه . فقد كان الرجل يأتي مع الدقائق الأولى من تركنا المدرسة ويحضر عندما تبـدأ سـاعات العـراك ومـلازمة الأيـدي للانتقام!! .

إنـه يلبس بـدلة خـاصة به ... لا تشبه ملابس العـريف الذي يسير وراء المتصرف ويقف بباب داره . وليست مثل ملابس ابن عم **جاسم الجنـدي** ... إن له صلة وثـق بـالمتصرف وإلا ما تحدث مع المعلمين والمدير وضحك معهم ورحبوا بـه هـذا الترحيب الحار .

بقيت محتـويات الـكيس تشـغل أذهـاننا ، وعنـدما كان يـظهر ويـدير ظهـره نهمس بحذر ..

ـ **إنها حنطة!!** .

ـ لا .. شـعير (سبركلان)[٣] .

ـ **اسكت إنه تمن[٤] عنبر من الدرجة الأولى** .

وبعـد أن يبـدد بصرخـته العراك تخيم علينا الألفة ، ويبـدأ الحـديث عـن حـوادث المحلات **فصبحـي** ولد له ولد ، **وبيـت بنـدر** عنـدهم حفلـة زواج ، ووالـد **محمـد الـديري** قـد مـات ... ولـكن في نشرة الحوادث خبر جديد وغريب ... فقـد بنيـت بنـاية في محلـة (السراي) وإنها جميلة ، وأبـوابها مصقولة تلمع كالمرآة حتى تـرى وجهك في خشبها ... وفيهـا زجاج جميل وتغلق ذاتياً ... إنها من السمنت والطابوق!! .

كان الاستغراب شديداً لأننا لا نعـرف أننـا بحـاجة إلى بنـاية جديدة مـا دامـت أبنيـة الـدولة كاملة كالسراي والمحاكم والشرطة والمدرسة .

حفزنا حـب الاسـتطلاع إلى رؤيتها .

كيف نرى البنـاية ذات الأخشاب المصقولة؟ .

لم يـكن لهـا غـير طـريق واحد ، والذهاب إليها من داخل السـوق المسـقوف ، رفض **ابـن البقـال** الفـكرة حتى لا يـراه أبوه ، وسوف يبقيه معه ليساعده وتضيع فرصة المشاهدة .

ورفض **ابن العطار** فـكرة عبور القنـطرة ، لأن دكان والـده فـوقها ومـتى يـذهب سيبقيه في الدكان ليذهب إلى القيلولة .

وحسم **مجيد** الموقف فقال :

ـ نعبر النهـر ونتجنـب السـوق والقنـطرة .. مـن المعبر المقابل لبيت الخبـازة (رداسة) ونخرج من الباب .

● **لـكن هـل تـرضى الخبازة أن ندخل بيتها؟!** .

ـ نعـم فـإن أسرة مجيـد تشـتري منهـا الخبـز ... وقـد شـاهدتها تحمـل طبـق الخبـز وتوصله إلى بيتهم ...

اقتنع الجميع ، لأن مجيد ابن مـوظف ، ويشـتري الخبـز مـن السوق!! .

وذهبنا وكأننا نـدخل معـركة حـربية ... بـين خـوف الإخفاق ... ولذة الانتصار .

وكانت المصادفة حسنة ، فلم يـكن مـاء النهر مـرتفعاً ، وإذا خضناه لن يصل إلى الساق .

وهنـا بـرزت مشـكلة أخرى!! .

كيف يعبر مجيـد النهر وهـو لابس الحذاء والجورب ... فقد اعتدنا أن نرمي بالسروال والحذاء بعد أن ندخل بيوتنا ونلعب حفاة في الأزقة فخشن جلد أرجلنا .. أما ابـن الموظف فلم يسمح لـه بترك حذائه فهـو نـاعم الجلـد سـوف تـؤذيه صـخور النهـر وأحـجاره وقـد يجـرح وتلك مصيبة .

وبـدأ مجيد يفرض شرطـاً علينا بـأن يحملـه أحـد الأطفـال على ظهره ويعبر النهر بـه .. سرت همسة بين الأطفال وهمهمة علت فقـال أحـدهم إنـه سمين وثقيل ولا يمكن حمله ...



لكن ، لن نـرى البنـاية بدونه!! .

وتفتق ذهن أحدنا بأن يحمله اثنان بأن تتشابك أيـديهما ويجلس عليها ...

كان السـير في الماء محفـوفاً بـالمصاعب ... فـإذا سـقط فلن نقدر على إنجاز المهمـة ، لـذلك تحلـق الأطفـال حـوله ، وسـار الـطفلان بـكل تـؤدة وهـدوء وسـكينة ... حـتى وصـلنا الشاطئ بأمان فسكنت الأنفس وعلا الصياح والفرح .

وزادنـا غبـطة مـلاقـاة **(رداسـة)** الـودية ، والـترحيب بمجيد ابـن الـزبون الـدائم ... فأسرعنا نستبق الخطى إلى البـاب ومن حسـن الحـظ أن الأزقـة في تلك المحلة لم يرشها السقاء لأنها ليست من الأزقـة الـتي يمر بهـا المتصرف .

ووصـلنا البنـاية والفـرحة تتراقص أمامنا ، والإعجاب يطل

من بريق عيوننا . . . حقاً إنها لا تشبه بيوتنا ، وليست مثل السراي أو المدرسة أو المحاكم . . . إن لها درجات يصعد عليها الداخل ثم يتوارى وراء الباب . . . وفي كل درجة حديد يحتضن بناءها .

من يقدر على الدخول ؟! .

ومن يقترب من الباب الجميلة اللامعة المصقولة كالمرآة . . . نريد أن نعرف ما بداخلها . . . ولم يكن أحدنا يجرؤ على الدخول غير مجيد ، لأن والده كان موظفاً . . وهو محترم يلبس حذاء وجورباً .

فتقدم بخطى الواثق المطمئن . . وكنا نرقبه ، وكلما صعد درجة زاد خوفنا وحذرنا حتى وصل الباب ذات الأخشاب التي تلمع كالمرآة ، ووضع يده عليها ، ودفعها بهدوء . . ولما انسدت الباب ذاتياً لم نر شيئاً . . . فوجفت قلوبنا ، وزاد هلعنا . . وسرعان ما سرت الفرحة في النفوس . . وركضنا نحو الدرجات نستقبله استقبال الفاتحين ، ولكن لم نملك الجرأة للصعود وأخذناه إلى زاوية مقابلة ، وتحلقنا حوله ، وفي الوجوه ألف سؤال ، ولهفة حيرى تقفز من العيون . . .

قال : **لم أجد شيئاً غير رجلين يجلسان وراء الشباك ، وينظران إلى الخارج ، لعلهما يرقبان المارة ، من وراء زجاج الشباك .**

ـ أهذا كل ما رأيت ؟

وبانت الخيبة على النفوس .

أجاب : لم أقدر أن أرى غير هذا ، لأن الحاجز كان عالياً ، ولكن رأيت أحدهما يتحدث بالآلة التي يتكلم بها والدي مع المتصرف وصرخنا في فرح وكأننا اكتشفنا شيئاً عجيباً ، وقلنا بصوت واحد : **تقصد . . التليفون . . .**

لم نبرح أماكننا من أمام البناية . . . لأننا لم نعرف لِمَ بنيت .

وبينما كنا في حوار وهمس ، جاء رجل يحمل ظرفاً ودخل البناية ثم خرج ورمى الظرف في كوة مشقوقة في الصندوق الأحمر المبني في الحائط . . وكان كل أصحاب الظروف . . يرمونها بعد أن يدخلوا البناية في هذا الشق العجيب .



قال أحدنا وكان أبوه بزازاً[٥] .

ـ هذه دائرة البريد . . ألا ترون الظروف التي ترمى في الشق ؟! .

كانت رسائلنا ترسل مع المسافرين . . أما اليوم فنحن نرميها في الشق ؟ .

إذن كيف تصل إلى ذويها ؟! .

قال مجيد : هناك في الداخل هاتف ، فلا بد أن يقرأ الموظف الرسائل من هنا ثم تملى على موظف آخر في البلدان المختلفة .

قال آخر : إن أخي يرسل رسائله من بغداد ويقرأها أبي ويقول إن خطه سيئ . . ولو كان الكاتب موظفاً لكان خطه جميلاً . . وضحك أحدنا وقال : إنها ترسل بأن تبرم كالخيط وتدخل الأسلاك ثم تخرج من المدينة الأخرى .

فسخر منه ثالث وقال : **إنها ترسل خلال نفق طويل . . . طويل . . (ومد كلمة طويل) تحت الأرض حتى تصل إلى البلدان المختلفة .**

وبدأت خصوماتنا وأوشكنا على العراك والخصام ، وبينما كنا في احتدام النقاش برز الرجل الطويل من وراء الباب ووقف على أعلى الدرجات . . . ومعه الكيس فارغ . . فتسمرنا من الخوف ، وبدأ ينزل الدرجات بكل هدوء ، ولم يعرنا أهمية واتجه نحو الشق وأدخل مسماراً صغيراً وفتحت الباب .

وبدأ يحشو الكيس بالظروف . . وأخذنا نضحك بصوت مرتفع . . ونصرخ هازئين . . حنطة . . شعير . . تمن .

ومن تلك اللحظة لم نعد نخاف من (شلغيم) ومن كيسه الكبير ، لأنه ليس من أصحاب المتصرف ، وعرفنا أنه يأخذ الرسائل ويرسلها بالقطار الذاهب إلى بغداد .

الهوامش

(١) أصل باعقوبة . . . بيت المحاسب أو المفتش ، لأنها على الطريق التجاري وفيها موظف الكمرك . ومثلها باجسرا وباحدون وبكفيا .

(٢) لفظة إيطالية معناها دار الحكم . وليست مفرد سرية وجمعها سرايا .

(٣) أحسن أنواع الشعير الأبيض .

(٤) التمن : الرز .

(٥) البزاز : بائع البز وهو القطن أي بائع الأقمشة .

بقلم : كمال مرسي المحامي

المصيدة

في هدوء حذر ، ترك الجريدة بجانبه على الكنبة الأسيوطي ... خيل إليه أن ثمة دبيب في الحجرة ، تناهى إلى سمعه منذ لحظات. حانت منه التفاتة ـ على غير قصد ـ إلى اللقيمة المدهونة بالزبد فوجدها تتأرجح داخل المصيدة .

لم يكن الدبيب وهماً كما ظن . أرهف السمع وأحدّ النظر .. من سواه يمكن أن يؤرجحها ..؟ ذلك الفأر اللعين الذي دأب منذ أيام على العبث بطعامهم ، وأشاع بين العيال ، القرف فخرجوا إلى مدارسهم بلا إفطار .. لا بد أنه ـ في غفلة منه ـ وهو يطوف بنظره بين سطور الجريدة ، طاف حول المصيدة مستطلعاً فأرجح اللقيمة المدهونة بالزبد .. ليس في البيت الآن سواهما .. هو والفأر .. فالأولاد ما يزالون في المدارس ، وامرأته مزروعة في طابور الجمعية لشراء بعض حاجيات البيت الضرورية ، فطابور النساء اليوم أمام الجمعية أقصر من طابور الرجال ، وإلا لكان عليه أن يذهب هو إلى الجمعية .

عاد الدبيب ، مرة أخرى ، في مكان ما من الحجرة لا يستطيع تحديده على وجه اليقين ، فعاد يرهف السمع وهو ما يزال جالساً على الكنبة ، يطوف بنظره في أرجاء المكان .. ويطوف بذهنه المكدود في أرجاء الزمان ..

منذ أيام أكبّ الفأر على سترته الصوفية الوحيدة يعمل فيها قوارضه .. السترة التي يرتديها كلما سنح لقاء هام مع أحد رؤسائه في المصلحة .. قضم كتفها الأيمن وترك الأيسر ..

تحايلت امرأته على التلف وغطت الكتفين بقطعتين متماثلتين من مخمل بني اللون فغدت السترة صالحة للاستعمال مرة أخرى .. وعلى آخر طراز ...

فجأة رآه ...!! تجلّى خلف صيوان الملابس ، رأس أسود تبرق فيه عينان على حذر وترقب .. أحس كأن تياراً كهربياً يسري في جسده ، وقلبه يرجف .. كان يكره هذا الضرب من مخلوقات الله .. تلك المخلوقات النجسة يخشاها ويشعر بالغثيان كلما رأى فأراً ..

من النافذة الوحيدة في البيت المطلة على الطريق ، هبت نسمة من نسائم العصر ، أثارت خشخشة في صفحات الجريدة الملقاة بجانبه على الكنبة فوثب الفأر مختفياً خلف الصيوان ..

لا مرية أن الفأر تسلل إلى البيت من تلك النافذة فهي ـ في الحقيقة ـ لا تطل على الطريق وإنما هو الطريق الذي يطل عليها .. فالجالس في الحجرة لا يرى من النافذة إلا سيقان الراجلين على الطوار ... والطوار غالباً ما تتراكم عليه بالقرب من النافذة أكوام من ركام الفضالات والزبالة .. أما الحجرة الأخرى الداخلية التي تكمل البيت وينام فيها الأولاد ، فهي أحسن حالا ولا تطل على هذا الرصيف القذر غير المرصوف ، وإن كانت لا تعرف ضوء النهار وتسبح دوماً في ليل بهيم ولو أشرقت الشمس على كل الكائنات ..

تذمر الأولاد أول الأمر عندما نقل أسرته إلى هذا البيت بعد أن ضاقت بهم شقة أبويه .. غير أنه ـ في حزم ـ نهرهم وقال : «غيرنا يسكن القبور .. احمدوا ربنا ..» .

تناهت إلى سمعه نأمة وما هي إلا أن تجلّى الرأس المنساب من خلف صيوان الملابس يتشمم في محاذرة وشعيرات شاربه تتراقص وهو يرسل إليه من عينيه البراقتين ، بين حين وحين ، نظرات حذر واستطلاع ...

لا شك أن الفأر يتضور من جوع ولولا أنه كذلك لما تجاسر على الخروج بكل جسمه من خلف الصيوان واقترب من المصيدة .. دار حولها في فضول وعيناه تلمعان على اللقيمة المدهونة بالزبد . غير أنه أجفل هارباً خلف الصيوان حين رفع هو في هدوء وحذر ساقيه من فوق الأرض وجلس مقرفصاً على الكنبة .

إلامَ يبق هو والفأر وحدهما في البيت . . . ؟ الوقت صار غسقاً ، ملأ الحجرة عتمة ، وامرأته ما زالت مغروسة في طابور الجمعية . .!! ربما كان الأولاد الآن في طريق العودة من مدارسهم . . . مكدسين كغيرهم في الأتوبيسات . .

الغريب أنه رغم قرفه من الفأر تذكر وميض الأسى في عيني ولده الأكبر حين قال منذ أيام : إن ابن جارهم السبَّاك يأتي إلى المدرسة في سيارته الخاصة بينما هو . . ابن مأمور الضرائب . . تراق قواه كل يوم في زحام الأتوبيسات ، فلما لم يعلق على حديث الولد ، انبرت أمه ـ كعادتها ـ تستفزه وتتحرش به دون أن توجه إليه حديثها :

ـ لأن أباك لا يريد أن يفعل كغيره من خلق الله . .

رد على استفزازها متسائلاً :

ـ وما الذي يفعله خلق الله . . ؟

ـ لا يكتفون بوظائف الحكومة . .

ـ تقصدين ما عرضه عليّ ، ذلك المحاسب . . ؟

ـ مثلاً . . .

ـ ويعطيني أجراً شهرياً يناهز عشرة أمثال مرتب الحكومة . . ؟

ـ وما العيب . . ؟

لم ينفجر حينذاك في وجهها . . استطاع بصعوبة كتم قذائف الكلمات في صدره . . لم يقل لها إن العيب هو الرشوة المستترة في عرض المحاسب وإن ملفات عملائه كلهم ، تحت يده . . يستطيع بإشارة منه ، إعفاءهم جميعاً من الضرائب المستحقة . ويفقد كرامته ويطيح بشرفه بعد أن يغدو لعبة في يديه . . لم يقل لها إن العرض الذي أبداه المحاسب ، لقمة مدهونة بالزبد والعسل لتخفي سمها الزعاف . .

عادت اللقيمة المدهونة بالزبد تتأرجح من جديد داخل المصيدة . . لا بد عاد الجرذ اللعين وهو مستغرق في أفكاره ، يحوم حولها من جديد محاولا قضمها . . لم يقل لامرأته إنه لو قضمها ، سيفقد حريته بل حياته كلها . .

وما عتم أن عاد الفأر النفور مرة أخرى . . لم يطل به البحث والشم هذه المرة فقد اتجه إلى المصيدة مباشرة ، غير أنه لم يدخلها . . حام حولها مستطلعاً في حذر . . لا شك أنه لولا قرصة الجوع ويأسه الذريع من العثور على شيء آخر غير لقيمة المصيدة لما تهور هكذا وراح غير هياب أو وجل يبدو أمامه بهذا الوضوح الجلي . . ولا شك كذلك أنه يعلم بوجوده فقد أرسل إليه من عينيه البراقتين نظرات ملؤها التحدي . بل بدرت منه صأصأة كأنما يقول له : (أنا هنا . . فماذا أنت فاعل . .؟) استبانت له ، بغتة ، وشائج تربطه بهذا المخلوق الصغير البائس . . ففي حياتها مشابه واضحة . . كلاهما يعيش دوماً في حذر وخوف وترقب ، وفي إملاق وحرمان من أشياء كثيرة . . .

وتذكر حديث ولده الأكبر عن ابن السبَّاك وسيارته الخاصة . . وساءل نفسه :

لماذا لم يقل للولد إن مأمورية الضرائب التي يعمل فيها قد أطلق عليها الممولون المتعاملون معها اسم طراز فاخر من السيارات فأسموها . . (مأمورية المرسيدس) نسبة إلى السيارة الخاصة التي يقدمها كل ممول . . (هدية) إلى المأمور الفاحص لملفه . . .

وطارت خواطره عندما دق جرس الباب ، وأقبل الأولاد وأمهم ، كأنهم على ميعاد . . واختفى الفأر كأنما انشقّت عنه الأرض . .

★ ★ ★

وفي صباح اليوم التالي فوجئ الجميع بالفأر وقد أطبقت عليه المصيدة . . وأنفه المستدق منساب يتشمم بقايا اللقيمة المدهونة بالزبد . . وشعيرات شاربه تتذبذب وتتراقص . .

وغادر هو البيت متوجهاً إلى عمله . . .



الجسر

نزل من الحافلة ، تفحص المكان بدقة ، هذا هو المكان المقصود ، هذا هو الجسر الذي تمر من تحته القطارات ، وهذه محطة بيع البنزين . أخرج مشطاً وسرّح شعره ، وسوى ربطة عنقه ، وأخفى كُمّيْ قيصه الممزقين . تمنى أن تكون له بدلة جديدة وحذاء جديد ولكنه لم يعمل لمثل هذا اليوم حساباً .

ولقد تقدم به العمر ولم يعد يحفل بالمظاهر فهو يعيش وحيداً وليس له زوجة أو صديقة يتجمل من أجلها ، وابتعد عنه أصدقاؤه بعد أن تحسنت أحوالهم وتزوجوا وملكوا العقارات والسيارات . بقي موزعاً على شوارع المدينة ومقاهيها وحدائقها العمومية ،

متناثراً على المقاهي والمطاعم الفاخرة حيناً وعلى المطاعم الشعبية والحقيرة أحياناً ، يتناول ألواناً عديدة من الأطعمة على طاولة كبيرة نظيفة يغطيها شرشف أبيض يلمع تحت المصابيح المتعددة الساطعة الألوان زينت بباقات الورود ، أو يكتفي بالدخول إلى مطعم حقير ، يقف أمام طاولة متسخة عليها بعض قطع من لحم لا يدري ما نوعه ، ويأمر صاحب المحل بوزن بعض القطع ، يضعها في صحن حديدي ويرميها أمام معاونه الذي يلقيها في فرن انتصب في زاوية من زوايا الدكان فتتأجج النار وتتصاعد ألسنتها ويغمر الدكان دخان كثيف كريه الرائحة . تمر لحظات فيتغير لون قطع اللحم وتنكمش على نفسها فيخرجها المعاون ويضعها في الصحن ويقدمه له ، يأخذه شاكراً ويتجه نحو رف ويلتهمها بسرعة ويقدم لصاحب المحل بعض المليمات ويخرج ليرتمي في أول مقهى يعترضه ويشرب شيئاً ليزيل طعم التراب والملح العالق بفمه .

يذهب أحياناً إلى إحدى قاعات السينما فيشعر بالراحة والطمأنينة عندما يلفه الظلام ، ويضحك مع الضاحكين ويبكي مع الباكين ويصيح مع الصائحين ويصفق مع المصفقين ، ويحلم بزوجة تقاسمه أفراحه وأحزانه وهمومه ويمنزل يملأه ضجيج الأطفال وصراخهم وبكاؤهم ثم لا تلبث هذه الأحلام أن تتلاشى عند إضاءة الأنوار ، فيخرج ويواصل تسكعه .

وعندما تغلق المدينة أبوابها وتنطوي على نفسها وتنقطع المارة يجمع أشلاءه ويرجع منكفئاً إلى منزله فيجده صامتاً ، موحشاً ، بارداً .

تقدم نحو الجسر بخطى وئيدة ، وصل إليه ، اتكأ على حافة حاجزه الحديدي القصير ، نظر أمامه فرأى السكك تمتد خطوطاً متوازية إلى اللانهاية ، سكة واحدة أبت الانصياع ومتابعة القطيع فمالت إلى اليسار لتغيب بين الجدران العالية السوداء والأشجار الباسقة التي تعلو أغصانها وأوراقها طبقة من السواد لم يفلح الهواء ولم تقدر الأمطار على إزالتها . أخرج جريدة وشرع في قراءة عناوينها البارزة لقتل الوقت مفكراً متسائلاً عن الأسباب التي جعلته يقدم على هذا العمل ، وكيف تسللت هذه الفكرة إلى عقله واستحوذت عليه . كان يقرأ جريدة قديمة باللغة الفرنسية تركها صاحبها على مقعد من مقاعد إحدى الحدائق العامة .



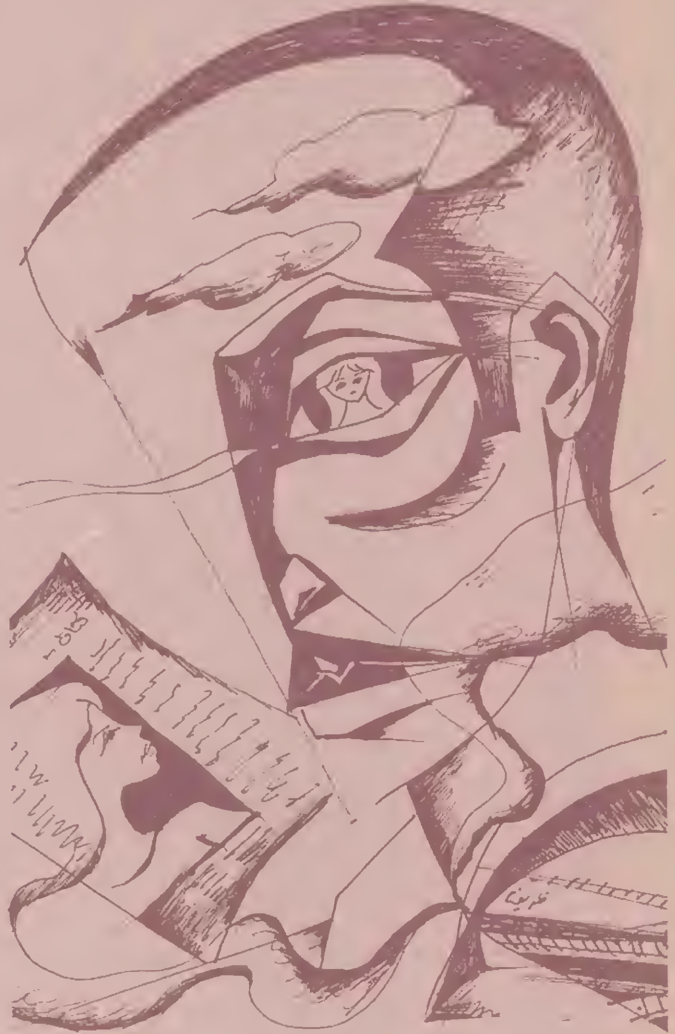
انتهى من قراءتها فطواها ووضعها بجانبه . شعر بالقلق ففتحها ثانية وشرع في قراءة الإعلانات . مرت أمامه سيارات للبيع ، وعمارات ، ومنازل ، وشقق للكراء ، ومغازات ، وساحات ، وكلاب ضائعة يبحث عنها أصحابها وهم مستعدون لتقديم هدايا ثمينة وأموالا كثيرة لمن يجدها أو يدل أصحابها عن الأمكنة الموجودة فيها ، هو ضائع منذ سنوات في هذه المدينة ولم يبحث عنه أحد ، ولم يسأل عنه أحد . لفت انتباهه إعلان صغير : فتاة في العقد الثالث من عمرها ، من عائلة طيبة ، حالتها المالية ممتازة ، تبحث عن زوج في مثل سنها أو في العقد الرابع من عمره ، صاحب وظيفة محترمة ومن عائلة طيبة . أعاد قراءة الإعلان مرة ثانية وثالثة ورابعة . وضع رأسه بين كفيه وفكر طويلاً . امتدت يده إلى جيبه وأخرج ورقة وقلماً وكتب رسالة ذكر فيها اسمه وسنه وحالته المالية والعائلية وعمله وطوى الورقة وأغلق عليها الظرف ورماه في صندوق البريد .

ارتجت الأرض تحت قدميه فشعر بالرهبة والخوف ، وتخيّل أمراً . . ما الذي يمنع الإنسان

بقلم: ساسي حمام

والقطار

من إلقاء نفسه؟ قفزة واحدة ويسقط أمام القطار. يفاجأ السائق بالجسم يسقط أمامه فيحاول كبح جماح القطار، تخطف العجلات الجسم وتهرب به بعيداً، تمزقه أشلاء تتبعثر بجانب السكة، يقف القطار أخيراً، ينزل المسافرون لمعرفة ما



حدث، لا يتحمل بعضهم رؤية المنظر الفظيع فيغمى عليهم ويتعالى الصراخ، وتكثر الجلبة،

فيجري بعضهم إلى قوارير الماء والعطورات على فاقدي الوعي ويحملونهم داخل العربات، يشتم السائق هذه الساعة وهذا اليوم،

ويصب جام غضبه على هذا المعتوه الذي لم يجد غير هذا القطار ليرمي نفسه تحت عجلاته، رغم أن القطارات تمر كامل اليوم من هذا المكان. تأتي بعد دقائق طويلة سيارة الإسعاف، يفتح بابها، ينزل الممرضون، يلمون أشتات الجسم المتناثر، يلفونه بملاءة بيضاء ويضعونه في السيارة وينصرفون. ويبقى المسافرون يتساءلون عن الأسباب التي جعلته يضع حداً لحياته، ثم تمر الأيام والليالي ويبقى الحادث مجرد ذكرى تصارع النسيان.. المنزل الحقير الذي يسكنه والشارع الضيق الذي يمتلئ نهاراً بصياح باعة بقايا اللحوم والخضر والثمار، والنفايات وليلاً بمواء القطاط ونباح الكلاب وصياح السكارى مجرد ذكرى كذلك.

تراجع إلى الوراء وأشاح بوجهه عن القطار، فلمح طيف فتاة على الجانب الآخر من الجسر، لا بد أنها هي، لقد بعثت له برسالة تعلمه فيها أنها قد اختارته لفارق السن رغم الرسائل العديدة التي وصلتها من أشخاص طلبوا يدها وحددت هذا المكان وهذه الساعة للالتقاء ليتعرفا على بعضهما، لا بد أنها هي، إنها هي بدون شك! ولكن كيف سيفاتحها في الأمر؟ ماذا سيقول لها؟ إنه لا يعرفها، ولم يرها في شارع، أو في باب، أو في شرفة، أو في مغازة، ولم يسمع صوتها، ولا يعرف عنها شيئاً، أخرج صورتها واقترب منها، وقف بجانبها، لا يفصلها غير بضع خطوات. نظر إلى الصورة، تأمل الفتاة الواقفة بجانبه، الفرق واضح بين الحقيقة والصورة، ربما تكون الصورة قديمة؟ الشعر المتهدل على الأكتاف يمكن أن يقص، وزنها يمكن أن يزيد ويتضاعف بمرور الأيام والسنوات، ولكن طولها وملامح وجهها وبشرتها لا يمكن أن تتغيّر، همت بالاقتراب منه ولكنها أحجمت، تراجع إلى الوراء قليلاً، وعاد من حيث أتى. ألقى نظرة على الجسر وعلى السكك الحديدية مرة أخرى فرأى القطار يسير بعيداً... بعيداً... مخلفاً وراءه سحابة من الدخان الأسود الكثيف.

قصة قصيرة

بقلم: مصطفى بلوزة

إشارة مرور

ينفخ في صفارته . . يشير للعربات بالمرور . . اليد اليمنى ممدودة مستقيمة في محاذاة الكتف . . اليسرى تنثني وتستقيم في حركة محفوظة رتيبة .

ينفخ في صفارته . . يشير للعربات بالتوقف . . تتوقف العربات . . يطيعه السائقون في تلقائية . . يسخر منه بعضهم . . يتمتم بعضهم بكلمات سباب . . يكتفي آخرون بالنظر إلى يديه وآذانهم تترقب صفارته . . لكن أحداً لا يجرؤ على مخالفة إشارته سواء بالتوقف أو بالسير .

لا أحد يذكر متى جاء لأول مرة إلى هذا المكان . . الكل يقرر أنهم وُجدوا فوجدوه على نفس الحال . . الكل يقرر أنه لم تقع أية حادثة أو ارتبك المرور بهذا المكان . . يعترفون بأنه لم يتخل يوماً أو حتى ساعة عن ممارسة هوايته . . حتى في أشد أيام الصيف حرارة أو في أشد أيام الشتاء برداً . . ثيابه متواضعة . . لا يعرف أحد عنه شيئاً ، ولا أين يبيت ليلته . .

تطوع أحدهم بالفتوى وقال : «كان له ابن مات في حادثة فوهب نفسه لتنظيم المرور» ، تطوع آخر وقال : «إنه كان شرطياً بالمرور ، ولعله فصل لسبب أو لآخر» .

تسعده كلمات الاطراء حين يسمعها . . يفرح حين تصل إلى أذنيه بأنه لا حادثة وقعت في هذا المكان أبداً ، حتى أنه يبتسم . . وتظهر من خلال الابتسامة أسنان صفراء ومغارة بين السنتين الأماميتين .

ازداد عدد العربات وتضخم ، وأصبح يمر من المكان نفسه عدد هائل منها ، ولا حادثة وقعت ، ولا المرور ارتبك ، ما دام الكل يطيع إشاراته . . وكلما ازداد عدد العربات كلما عمل بهمة ونشاط أكثر .

وذات صباح وجد عمالا يحفرون ويضعون الإشارات الضوئية ، ويبنون (كابينة) عند ناصية الشارع . . وبعد أيام جلس بها شرطي المرور . . يحول الإشارات الضوئية من داخل الكابينة . . أحمر . . أصفر . . أخضر .

أصبح الكل لا يعبأ بإشاراته أو بصفارته . . أحس بأنه لم يعد له قيمة . . حزن لذلك . . بدأ يشعر بالإرهاق والتعب . . انحنت قامته وتراخت يداه . . لم يعد يستطيع أن يجعلهما مستقيمتين . . قادته قدماه إلى مقهى قريب . . جلس يراقب العربات . . تسير أو تتوقف حسب الإشارات الضوئية . . لم يعد يتذكره أحد أو يلتفت إليه . . أسند ذقنه على الكفين ، توقفت دمعة عند ركن العينين ، وغاب سنوات للماضي . . تذكر كيف أنه لم يشعر بالتعب يوماً مثلما يشعر الآن ، وكيف قاوم حر الصيف وبرد الشتاء ، وكيف كان يطيعه أصحاب سيارات المرسيدس والفيات والبيجو ، وأنواع العربات الأخرى ، حتى أصحاب عربات (الكارو) . . لم يجرؤ أحد على مخالفة إشاراته وصفارته مرة واحدة . . وإن حدث وتجرأ أحدهم على ذلك ، فسرعان ما يذهب إليه وينهره ، ولا يتركه حتى ينصاع لأوامره . . ويعود المرور إلى الانتظام .



أفاق فجأة على ضوضاء تنبعث من كل آلات التنبيه . . نظر إلى الطريق . . وجد تجمعاً هائلاً من العربات المتداخلة . . طولا وعرضاً وشمالا ويميناً . .

والإشارة الضوئية تعلن الأصفر . . وشرطي الكابينة ترك مكانه ووقف وسط العربات المتداخلة ، يحاول تنظيمها دون جدوى ، وتجمع الكثيرون من المارة وأصحاب المحلات المجاورة يشاركون في الضوضاء والازدحام . . وجد نفسه ينهض وقد انتصبت قامته ولم يشعر بتعب أو إرهاق . . وبلا تردد أخذ طريقه وسط العربات ، راح ينفخ في صفارته ، ويشير ويبعد ويدفع ويلوح بيديه وينفخ في صفارته . . لحظات بدأ أصحاب العربات يستجيبون لإشاراته وصفارته . . وسرعان ما عادت العربات إلى مسارها الطبيعي المنتظم ، وانصرف المارة ، وأصحاب المحلات ، وعاد الهدوء . . وأخذ شرطي الكابينة مكانه بها . . وأدار الإشارات الضوئية . . أحمر . . أصفر أخضر . . ابتسم ، وأخذ طريقه إلى ركن المقهى ، وراح ينظر إلى الطريق .



الإماء الشواعر

لأبي الفرج الأصفهاني

عرض وتحليل : د. مصطفى حسين عناية

عندما كنت أبحث عن بعض المخطوطات في قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية ، وقعت بين يدي مخطوطة مصورة كتبت بخط مغربي ، وعلى الورقة الأولى منها :

« ري الظما فيمن قال الشعر من الإما ، تأليف سيدنا ومولانا العالم العلامة والعمدة الفهّامة ، واحد عصره ، ومفرد دهره أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي تغمده الله برحمته آمين » .

وفي الورقة الثانية يبدأ الناسخ بقوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم ... قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي : إن الوزير ـ أطال الله بقاءه ـ ذاكرني منذ أيام فيمن قال الشعر من الإماء المماليك ... » .

نسبة الكتاب للأصفهاني

والحقيقة أنه في أثناء قراءتي لهذه المخطوطة المصورة ساورني الشك في عنوانها وفي صحة نسبتها لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، فالأسلوب الذي اتبع في تأليفها يبتعد ابتعاداً شديداً عن أسلوب ابن الجوزي ، ويقترب اقتراباً شديداً من الأسلوب الذي ألّف فيه **أبو الفرج الأصفهاني** كتابه المعروف « **الأغاني** » الذي يعتمد أساساً على الرواية ، بل هو الأسلوب نفسه . بالإضافة إلى أن الإماء الشواعر اللائي وردت ترجمتهن في هذه المخطوطة قد كانت حياتهن قبل نهاية القرن الثالث الهجري ، ولم يترجم لقينة واحدة عاشت في القرون التي تلت ، بينما يقول المؤلف في مقدمة كتابه : إن الوزير قد « أمرني أن أجمع له ، وأرفع إليه من أخبارهن في الدولة الأموية والعباسية ... » ونحن نعرف أن وفاة عبد الرحمن بن الجوزي كانت في سنة ٥٩٧ هـ ، أي إنه عاش حتى نهاية القرن السادس الهجري .

وقد رأيت أن هذه المخطوطة ـ بعد أن قرأتها أكثر من مرة ـ هي كتاب « الإماء الشواعر » لأبي الفرج الأصفهاني الذي ورد ذكره في كثير من كتب المؤلفات والتراجم[1] . كما رأيت أنه لا بُدّ من إجراء تحقيق علمي حتى أطمئن إلى ما ذهبت إليه ، وبدأت أولا في البحث عن أسماء مؤلفات أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الذي نسبت إليه المخطوطة ، وقد قرأت ـ فيما قرأت في ذلك ـ الجزء الثامن من كتاب « **مرآة الزمان** »[2] ، الذي ذكر فيه مؤلفه **أبو محمد يوسف المعروف بسبط عبد الرحمن بن الجوزي** ، جميع الكتب التي ألفها عبد الرحمن بن الجوزي ، وقد بلغت ثلاثمائة كتاب ، جلّها في علوم القرآن الكريم والتفسير والحديث والفقه ، وليس بينها كتاب واحد باسم « ري الظما » أو حتى باسم مقارب لهذا الاسم ، ولو كان أبو الفرج ابن الجوزي ألّف مثل هذا الكتاب ، لكان من الأولى أن يذكره سبطه هذا وخاصة أنه كان معاصراً له ، إذ توفي بعده بسبع سنين ، فقد كانت وفاته سنة ٦٠٤ هـ .

ثم أخذت بعد ذلك في تتبع أسماء الشيوخ الذين روى عنهم صاحب هذه المخطوطة ؛ فرأيت أنه يأخذ كثيراً عن : **أحمد بن عبد العزيز الجوهري** ، وعن **أحمد بن جعفر بن برمك الشهير بجحظة** ، وعن **جعفر بن قدامة** ، وعن **أحمد بن عبد الله بن عمار** ، وعن **محمد بن خلف بن المرزبان** ، وعن **عيسى بن الحسين الوراق** ، وعن **إبراهيم بن عرفة وكيل بدعة** ... وهؤلاء الشيوخ جميعهم عاشوا في القرن الرابع الهجري ، ومن غير المعقول أن يأخذ عنهم أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الذي عاش

الإماء الشواعر

في القرن السادس الهجري، بالإضافة إلى أنهم الشيوخ أنفسهم الذين أخذ عنهم أبو الفرج الأصفهاني في تأليف كتابه «الأغاني»، ولم يرد في المخطوطة اسم راوية واحد عاصر ابن الجوزي، أو حتى عاش بعد نهاية القرن الرابع الهجري.

ولفت انتباهي أيضاً أن هؤلاء الشيوخ الذين يأخذ عنهم مؤلف هذا الكتاب يروون كثيراً عن شيوخ ألموا (**بسُرّ من رأى**)؛ أو أقاموا فيها من أمثال **أبي العيناء، وعمر بن شبة، ومحمد بن داود بن الجراح، وهارون بن محمد بن عبد الملك الزيات وابنه ميمون**.

ونحن نعلم أنّ (سرّ من رأى) أصبحت مقرّ الخلفاء منذ عهد **المعتصم**، وفيها عاشت كثير من الإماء اللواتي عشن في قصور الخلفاء واللواتي يترجم لهن صاحب هذه المخطوطة مثل: **عريب وفضل ومحبوبة وبدعة وغيرهن وغيرهن**.

ولفت انتباهي كذلك أن مؤلف هذا الكتاب يذكر كثيراً عبارة «أخبرني عمي **الحسن بن محمد** ...»، والروايات التي يرويها عنه كثيرة إلى حد فاقت عدد المرويات التي يأخذها عن أي شيخ آخر، ويرد اسمه كثيراً في مواطن كثيرة من ترجمة المؤلف للإماء اللاتي كان لهنّ اتصال بالقصر في (سرّ من رأى)، وقد تبينت أن الحسن بن محمد هذا هو عم أبي الفرج الأصفهاني الذي يأخذ عنه كثيراً في كتابه «الأغاني» والذي يرد اسمه كثيراً في الروايات التي تتحدث عن أخبار الشعر والشعراء، ويكاد اسمه يذكر في كل ترجمة ــ تقريباً ــ لكثير من الشعراء والمغنين والمغنيات الذين اتصلوا بالقصور في (سرّ من رأى)، فهو من أبناء (سر من رأى) الذين زاروا **بغداد** طلباً للعلم[٣].

وقد لاحظت أيضاً أن مؤلف هذا الكتاب يأخذ كثيراً عن كتب **جعفر بن قدامة**، وترد في كتابه بين الفينة والفينة عبارة «قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب جعفر بن قدامة»، وهي العبارة نفسها التي تتردد كثيراً في أغاني أبي الفرج الأصفهاني فهو يأخذ كثيراً عن كتب جعفر بن قدامة.

ولاحظت ــ كذلك ــ عبارة ترد أحياناً في ترجمة بعض الإماء الشواعر وهي: «وقد تحدثت عنها في **كتاب القيان ...**»[٤]، وقد ورد هذا الكتاب لأبي الفرج الأصفهاني في معظم كتب المؤلفات والتراجم[٥]، ولم ينسب أي مصدر مثل هذا الكتاب لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.

وعن كتاب القيان يأخذ كثيراً **ابن الساعي** صاحب **كتاب نساء الخلفاء**، فترد عنده كثيراً عبارة «وذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتاب القيان ...».

وقد حرصت بعد ذلك على مراجعة نصوص هذا الكتاب على الكتب التي نقلت عنه من مثل كتاب «**مسالك الأبصار**[٦]» **لابن فضل الله العمري** الذي كان له أهمية خاصة لأنه ينقل عن نسخة هذا الكتاب نفسه، وقد نصّ على ذلك في أكثر من موضع؛ فهو يقول عند حديثه عن «**تيماء**» جارية **خزيمة بن خازم**: «.... وحكت أنها عرضت على خزيمة هي ووصيفة بكر حلوة الوجه، فمال إليها وأقبل كالمعتذر، فأنشد بيتين فأجابته بمثلها[٧] تماماً لما جاء في هذه المخطوطة.

وعند حديثه عن «**مثل**» جارية **إبراهيم بن المدبر**[٨]، يقول: «... وذكرها صاحب كتاب الإماء. قال الأصفهاني: حدثني جعفر بن قدامة قال: حدثني إبراهيم بن المدبر، قال: اشتريت جارية مدنية يقال لها مثل ...».

وهو عندما يتحدث عن «**محبوبة**» جارية **المتوكل**[٩] يقول: «قال أبو الفرج في كتاب الإماء: كانت مولدة شاعرة مغنية متقدمة في الحالين على طبقتها، وكانت حسنة الوجه والغناء أهداها **عبد الله بن طاهر** للمتوكل في جملة أربعمائة منهن قيان وسواذج، فتقدمتهن جميعاً عنده ...» إلخ الخبر... وإذا قرأنا ما جاء في ترجمة محبوبة في هذه المخطوطة نرى الخبر نفسه بالألفاظ نفسها؛ فقد جاء فيه: «... كانت مولدة شاعرة مغنية متقدمة بالحالتين على طبقتها حسنة الوجه والغناء أهداها عبد الله بن طاهر إليه لما ولي الخلافة في جملة أربعمائة قيان وسواذج، فتقدمتهن عنده ...» ويمضي الخبر بنفس الألفاظ والعبارات.

والحقيقة أن قسماً من الجزء السادس من كتاب «مسالك الأبصار» يعدّ تلخيصاً لكتاب «الإماء الشواعر» لأبي الفرج الأصفهاني فصاحبه قد ترجم في هذا الجزء من كتابه لجميع الإماء الشواعر اللواتي ترجم لهن كتاب «الإماء الشواعر» بالترتيب نفسه تقريباً، ويكاد في حديثه عن كل قينة يردد عبارة: «قال الأصفهاني» فهو يقول مثلاً في مقدمة ترجمة لبدعة جارية عريب[١٠]: «قال أبو الفرج الأصفهاني كانت أحسن أهل دهرها وجهاً وغناءً، وقد ذكرت أخبارها في كتاب القيان»، ونقرأ في هذه المخطوطة عند ترجمة المؤلف لبدعة العبارة نفسها، فهو يقول: «... كانت أحسن أهل دهرها وجهاً وغناءً، وقد ذكرتها وأخبارها في كتاب القيان ...».

ثم راجعت بعد ذلك نصوص هذا الكتاب على كتاب «**نساء الخلفاء**» المسمى «**جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء**» الذي اعتمد مؤلفه **ابن الساعي الخازن البغدادي** في تأليفه له اعتماداً كبيراً على كتب أبي الفرج الأصفهاني ومنها كتاب «الإماء الشواعر» وقد رأيت أنه ينقل حرفياً عن هذا الكتاب فهو يقول مثلاً في ترجمته لبدعة جارية عريب: «وحدّث أبو الفرج الأصفهاني عن عرفة وكيل «بدعة» قال: لما قدم **المعتضد** من الشام ومعه وصيف الخادم دخلت عليه بدعة في أول يوم جلس فيه، فقال لها: ...»[١١] إلخ الخبر. ونرى الخبر نفسه في هذه المخطوطة بالألفاظ نفسها إذ يرد فيه: «... وحدثني عرفة قال: لما قدم المعتضد من

الشام ومعه وصيف دخلت إليه بدعة يوم جلس ، فقال لها . . . » إلخ الخبر.

وراجعت أخيراً أخبار عريب وأشعارها التي وردت في هذا الكتاب على أخبارها وأشعارها التي وردت في كتاب «**تاريخ ابن عساكر**»[١٢] ، فوجدت أنه يأخذ عن رواة أخذوا حرفياً عن هذا الكتاب ؛ فقد ورد فيه مثلاً : «أخبرنا **أبو بكر محمد بن الحسين أنا محمد بن محمد بن عبد العزيز أنا أبو الحسن بن الصلت أنا أبو الفرج علي بن الحسين** حدثني عرفة وكيل بدعة قال : دخلت عريب إلى المتوكل ، وقد نهض من علة أصابته وعاد إلى عاداته واصطبح فغنت :

شكراً لانعم من عافاك من سقم
كنت المعافى من الالام والسقم

. . . إلخ الخبر والأبيات[١٣] .

وننظر إلى الخبر والأبيات في هذه المخطوطة فنجد الآتي : حدثني عرفة وكيل بدعة قال : دخلت عريب إلى المتوكل ، وقد أفاق من علة كانت أصابته ، وعاد إلى عادته واصطبح فغنته ، وأنشأت تقول :

شكراً لانعم من عافاك من سقم
دمت المعافى من الالام والسقم

. . . إلخ الخبر والأبيات وهي متطابقة تماماً مع ما ورد في تاريخ ابن عساكر مع اختلاف طفيف في بعض الألفاظ.

وجاء في خبر آخر : «أخبرنا **أبو بكر محمد بن الحسين المقري أنا محمد بن محمد أنا أحمد بن محمد بن الصلت** أنا أبو الفرج قال : نسخت من كتاب جعفر بن قدامة حدثني **أبو عبد الله أحمد بن حمدون** قال وصف للمتوكل **سيذاز بقرمسين** فأمر أن يبنى له قصر ويجعل في صدره ثلاثة آزاج معقودة» . . . . إلخ الخبر[١٤] . ونقرأ الخبر نفسه في هذه المخطوطة : «قال أبو الفرج : نسخت من كتاب جعفر بن قدامة : حدثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون قال : وصف للمتوكل موضع بسيذاز بقرماسين فأمر أن يبنى له قصر ويجعل في صدره ثلاثة أزواج معقودة . . . » إلخ الخبر.

وجميع أخبار عريب وأشعارها التي وردت في تاريخ ابن عساكر منقولة حرفياً عما جاء في هذه المخطوطة ، والحقيقة أن أخبار عريب وأشعارها لم ترد بهذه الصورة إلا في هذين الكتابين فقط.

ورأيت بعد ذلك أنه لا بد من مراجعة نصوص هذا الكتاب على كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني فلاحظت أن الأخبار والأشعار الواردة في الكتابين تكاد تكون متطابقة تماماً وسلسلة الرواة في الكتابين واحدة.

وقد رأيت أن هذه الأمور مجتمعة هي التي دفعتني إلى أن أتيقّن بأن هذا الكتاب هو كتاب «الإماء الشواعر» لأبي الفرج الأصفهاني ، ولعل التشابه في كنية الأصفهاني وكنية عبد الرحمن بن الجوزي هو الذي أوقع ناسخ الكتاب في الخطأ ، فتوهم أن أبا الفرج الذي ورد اسمه في هذا الكتاب هو أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . أمّا بالنسبة للعنوان المكتوب في الصفحة الأولى من المخطوطة فأعتقد أن الناسخ قد وضعه من عنده ، وخيل إليه أنه هو العنوان الأصيل للكتاب ، وذلك إمّا لفقد الورقة الأولى من الكتاب الذي نسخ عنه ، أو لانطماس العنوان الأصلي للكتاب .

دواعي تأليفه

وعندما بدأت في تحقيق هذا الكتاب ، لاحظت أن أبا الفرج الأصفهاني يصرح في مقدمته عن الدافع الذي بعثه على تأليفه ــ كعادته في مقدمات كتبه ويظهر ذلك في مقدمة كتابيه : الأغاني ومقاتل الطالبيين ــ وهو يبيّن لنا أنه ألّف هذا الكتاب تلبية لوزير ذاكره فيمن قال الشعر من الإماء المماليك ، وأمره أن يجمع له ما وقع من أخبارهن في الدولتين ، الأموية والعباسية ، ويبدو أن هذا الوزير الذي ألف هذا الكتاب هو «**الحسن بن محمد المهلبي**» وزير **معز الدولة** ؛ فقد كان الأصفهاني منقطعاً له ، مختصاً به[١٥] ، وكان يختاره في كل شيء مريح ، وكانت صحبته له قبل الوزارة وبعدها إلى أن فرق بينهما[١٦] ، وكان أبو الفرج يؤلف له الكتب مثل كتاب «**مناجيب الخصيان**» ، وقد عمل في خصيين كانا له[١٧] . ويبدو أيضاً أن هذا الوزير هو «الشخصية التي ألّف أبو الفرج لها كتاب الأغاني وأنه الرئيس الذي أشار إليه في مقدمة الكتاب»[١٨] .

ويبدو أنه لم يذكر اسم الوزير هذا لأنه كان «قد مات مغضوباً عليه من معز الدولة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ، ولعله من أجل هذا الغضب نفسه سكت أبو الفرج عن أن يقول في المهلبي شيئاً من الرثاء»[١٩] .

وقد لفت انتباهي في أثناء التحقيق أن أبا الفرج الأصفهاني لا يعنيه أن يكون الخبر الذي يورده صحيحاً أو غير صحيح ؛ فقد أورد أخباراً وأشعاراً نسبها إلى أكثر من شاعرة ، ولعلنا نلاحظ هذا الأمر نفسه في كتابيه : الأغاني **ومقاتل الطالبيين**[٢٠] .

أهمية الكتاب

ويجب أن أشير إلى أن هذا الكتاب يعد وثيقة هامة من وثائق الشعر العباسي ؛ فهو أول كتاب ألّف في طبقات الشاعرات يصل إلينا كاملاً . وقد ترجم المؤلف فيه لنيف وثلاثين شاعرة ، وقد أحصيت الشعر الوارد في هذه المخطوطة فوجدته يبلغ قرابة الستمائة بيت منها أربعمائة بيت للإماء

الإماء الشواعر

الشواعر منها أكثر من خمسين بيتاً انفردت بروايتها ولم يذكرها مصدر آخر سواها ومنها ما يقرب من مائة وخمسين بيتاً لم يسبق هذه المخطوطة مصدر آخر بروايتها، بينما روتها مصادر أخرى لاحقة[21].

ومن القصائد والمقطوعات التي انفرد هذا الكتاب بروايتها قصيدة «**عنان**» التي أرسلتها إلى **جعفر بن يحيى** تسأله أن يسأل أباه أن يكلم الرشيد في آن يشتريها أو يشير عليه بذلك، وتبلغ أبياتها ستة عشر بيتاً ومطلعها:

يا لائمي جهراً ألا تقصر
من ذا على حرّ الهوى يصبر

ومنها مقطوعة «**فضل**» التي مطلعها:

قد تغني لي بنان
اسمعي أو خبرينا

ومنها مقطوعة «عريب» في المتوكل ومطلعها:

سنة وشهر قابلا بسعود
وَجه الخليفة إنه لسعيد

ومنها مقطوعة «فضل» في **سعيد بن حميد** وكانت تعشقه:

نفسي فداؤك طال العهد واتصلت
منك المواعيد والليات والحلف

ومنها مقطوعة «عريب» في **المستعين**:

اسلمي يا دار ذات الـ
ـعز للمعتز دارا

ومن القصائد التي لم يسبق هذا الكتاب أحد بروايتها ثم رواها آخرون بعده قول «عنان» في هجاء **أبي نواس**، وتبدؤها بقولها:

يا نواسي يا نفاية خلق الله قد نلت بي سناء وفخرا

ولم يروها بعده سوى **حمزة الأصفهاني** في ديوان أبي نواس[22].

وقول «عريب» في الخليفة المستعين:

أيها الطارقون بالأسحار
أصبحونا فالعيش في الابتكار

وهي في اثنين وعشرين بيتاً، ولم يروها بعده سوى **ابن عساكر**[23].

ومن المقطوعات قول «عريب» في شفاء المتوكل من علّة أصابته:

حمدنا الذي عافى الخليفة جعفرا
على رغم أشياع الضلالة والكفر

وهي في سبعة أبيات، وقد ذكرها بعده ابن عساكر في تاريخه[24].

ومنها مقطوعة «عريب» أيضاً في قصر بني للمتوكل وتقع في أربعة أبيات ومطلعها:

بالسعد واليمن فأنزل قصر سيذاز
حللته في سعادات وإعزاز

ومنها مقطوعة «**نسيم**» التي تقع في ثلاثة أبيات وقد قالتها عندما غضب عليها مولاها ومطلعها:

غضبت بلا جرم عليّ تجنياً
وأنت الذي تجفو وتهفو وتعذر

ولم يروها بعده سوى ابن عساكر[25].

ومنها مقطوعة «**تيماء**» جارية **خزيمة بن خازم** وقد قالتها في مولاها عندما خرج إلى الشام ومطلعها:

تفديك نفسي من سوء تحاذره
فأنت بهجتها والسمع والبصر

وهي في ثلاثة أبيات، ولم يروها بعده سوى مسالك الأبصار[26].

وصفوة القول في هذا الكتاب إنه المصدر الأساسي لشعر الإماء وما ورد فيه من أشعار الإماء وأخبارهن لا نجده مجموعاً في كتاب سواه إلا أن يكون منقولا عنه أو منسوخاً منه.

الهوامش

(١) انظر في ذلك: معجم الأدباء ١٣/٩٩. الوافي بالوفيات ١/٥٤. وفيات الأعيان ٣/٣٠٨. كشف الظنون ١/١٦١. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي، ص ١٠٤. تاريخ الموسيق العربية لفارمر، ص ١٩٤. تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/٧٠، الأعلام ٥/٩٨.

(٢) مرآة الزمان ٨/٣١٢. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢١٨١ ــ تاريخ.

(٣) انظر ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧/٤١٧.

(٤) ترجمة نبت جارية مخفرانة المخنث في المخطوطة.

(٥) انظر هامش رقم (٢) وقد ذكر السخاوي صاحب كتاب ذم التاريخ في ص ١٠٦، أن كتاب القيان يقع في مجلدين.

(٦) الجزء السادس، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ ــ معارف عامة.

(٧) المصدر السابق.

(٨) مسالك الأبصار ٦/٢٩٨.

(٩) المصدر نفسه ٦/٢٩٢.

(١٠) المصدر نفسه ٦/٢٩٧.

(١١) نساء الخلفاء، ص ٦٥.

(١٢) جـ ٤٨، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٠٤١ ــ تاريخ تيمور.

(١٣) المصدر السابق ٤٨/٣٤٩.

(١٤) المصدر السابق ٤٨/٣٥١.

(١٥) اليتيمة ٢/٢٧٨.

(١٦) معجم الأدباء ١٣/١٠٥.

(١٧) المصدر السابق ١٣/١٠٠.

(١٨) صاحب الأغاني، د. محمد أحمد خلف الله، ص ٩١.

(١٩) المصدر السابق.

(٢٠) انظر: مقدمة كتاب الأغاني، ط. دار الكتب المصرية، ومقاتل الطالبيين شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، ط. القاهرة سنة ١٩٤٩م.

(٢١) الحقيقة أنه لم يرو هذه الأبيات سوى مصدرين وهما ما زالا مخطوطين أحدهما: (مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمري، الجزء السادس. وثانيهما (تاريخ ابن عساكر)، الجزء الثامن والأربعون.

(٢٢) ديوان أبي نواس ١/٨٢، تحقيق إيفالد فاغنر.

(٢٣) ٤٨/٣٥٢.

(٢٤) ٤٨/٣٥٠.

(٢٥) ٢/١٢٢.

(٢٦) ٦/٢٨٥.



أُدَبَاءُ مَغَارِبَةٌ مُعَاصِرُونَ



الأشعري :

محمد الأشعري ، من مواليد **زرهون** سنة (١٩٥٠ م) ، شاعر من شعراء المغرب الشباب ، يتميَّز شعره بعدة خصائص فنية من رقة العاطفة ، وجودة في المبنى الشعري ، وغزارة في الخيال ، من أعماله ديوان (**صهيل الخيل الجريحة**) ، صدر سنة (١٩٧٨ م) ، في ٧٨ صفحة ؛ وديوان (**عينان بسعة الحُلم**) الذي صدر في بيروت سنة (١٩٨٢ م) .



البقالي :

أحمد مفتاح البقالي ، شاعر وكاتب غزير الإنتاج ، دبلوم **المدرسة الوطنية للإدارة العمومية** ، تعددت أعماله من قصة وشعر ؛ **وأهم كتبه** : (**حركة عدم الانحياز**) ، و (**السجن في الأدب العربي**) ، وله **مجموعتان قصصيتان** هما : (**المعطف والريح**) و (**امرأة كالأخريات**) الصادرة سنة (١٩٨١ م) ، كما صدر له مؤخراً ديوان شعر يحمل عنوان (**قطاف المواسم**) ، يقع في (١٣٥) صفحة .



التازي :

محمد عز الدين ، ولد سنة (١٩٤٨ م) ، **بفاس** ، وتلق تعليمه بها مُعرَّباً ثم حصل على البكالوريا سنة (١٩٦٧ م) ، فدبلوم **المدرسة العليا للأساتذة** سنة (١٩٧٠ م) ، وهو أستاذ للغة العربية بالثانوي ، بدأ ينشر نتاجه ابتداءً من سنة (١٩٦٦ م) ، بعدة صحف ومجلات مغربية وشرقية ، **من أعماله** : (**أوصال الشجر المقطوعة**) ، وهي مجموعة قصص صدرت سنة (١٩٧٥ م) ، و (**أبراج المدينة**) وهي رواية صدرت سنة (١٩٧٩ م) ، كما صدر له النداءُ بالأسماء عن دار الآفاق الجديدة ببيروت سنة (١٩٨٢ م) .



ثابت :

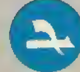
عبد الكريم بن ثابت ، كاتب وأديب مغربي ، ولد **بفاس** سنة (١٩١٧ م) ، قضى ردحاً من حياته بالشرق في الدراسة والتحصيل ، كما كانت مناسبة ملائمة لممارسة العمل الوطني من هناك ، وقد تخرج ابن ثابت من **كلية الآداب بالقاهرة** ، ومن أشهر مؤلفاته على الإطلاق (**حديث مصباح**) . وابن ثابت شاعر وناقد ، له ديوان شعر ، وقصصه ذات طابع اجتماعي ، وأغلبها يُعالج فترة الاستعمار البغيض وما واكبها من آلام وأحزان .



الجراري :

الدكتور عباس الجراري ، من مواليد مدينة الرباط سنة (١٩٣٧ م) ، **دكتوراه الدولة في الآداب** ، يعمل حالياً أستاذاً للتعليم العالي **بجامعة محمد الخامس** ـ كلية الآداب . له مؤلفات عديدة فكرية ، تاريخية ، وأدبية من بينها : (**وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ**) ، وفي **الأدب** له (**موشحات مغربية**) الصادر سنة (١٩٧٣ م) ، وفي **التراث** له (**الثقافة في معركة التغيير**) الصادر

سنة (١٩٧٢ م)، بالإضافة إلى (**في الشعر السياسي**) الصادر سنة (١٩٧٤ م)، ثم دراسة مستفيضة عن (**أبي الربيع سليمان الموحدي**) الصادر في نفس السنة، كما صدر له مؤخراً الجزء الأول من كتابه الممتع (**الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه**).



حاضي :

بوشتي حاضي، من مواليد مدينة **فاس** سنة (١٩٥١ م)، من قصاصي المغرب الشبان، اشتهر بمذكراته التي كان يكتبها في **جريدة «العلم»**، بدأت انطلاقته في عالم القصة منذ سنة (١٩٧٢ م)، ولكن مع ذلك لم تظهر له أول مجموعة قصصية إلا خلال سنة (١٩٧٨ م)، تحت عنوان (**البحث عن لحظة فرح**)، وتحتوي على (١٥) أقصوصة. وفي سنة (١٩٨٠ م)، صدرت له ثاني مجموعة قصصية تحت عنوان (**ثقوب في السماء**)، وهو يعمل حالياً أستاذاً للغة العربية بإحدى ثانويات مدينة فاس، كما يساهم في إعداد حلقات إذاعية ـ ثقافية خاصة بإذاعة فاس الجهوية.



الخوري :

إدريس الخوري، من مواليد **الدار البيضاء** سنة (١٩٣٩ م)، ناقد وقاص، **له عدة مجموعات قصصية** من بينها (**حزن في الرأس والقلب**) الصادرة سنة (١٩٧٣ م)، ثم (**ظلال**) الصادرة في مارس (آذار) سنة (١٩٧٧ م)، و (**البدايات**) الصادرة سنة (١٩٨٠ م)، وأخيراً (**الأيام والليالي**) التي عرفت النور سنة (١٩٨٢ م). وقصص الخوري تصور الواقع الاجتماعي إلى جانب هذا فهو ناقد ينشر باستمرار مقالاته المتنوعة في جريدة تصدر في الدار البيضاء.



الدريبي :

مبارك الدريبي، من مواليد مدينة **القنيطرة** سنة (١٩٣٩ م)، اشتهر بكتابة القصة القصيرة، وله في هذا المجال عدة كتابات في الصحف المغربية والملاحق الثقافية، والمجلات الوطنية والعربية، وقد صدرت له سنة (١٩٧٨ م)، مجموعة قصصية تحت عنوان (**عيون تحت الشمس**) عن **اتحاد كتَّاب العرب بدمشق**، وله مجموعة من الأعمال الأدبية الأخرى التي لم تر النور بعد.



ذمون :

خليل ذمون، كاتب وناقد واقعي، له عدة محاولات قصصية في صحف متنوعة، وهو ناقد سينمائي يتتبع الحركة الفنية باستمرار، وكان إلى القريب معداً لبرنامج فني سينمائي بإذاعة **طنجة** الجهوية.



الرباوي :

محمد علي الرباوي، من الشعراء الشباب بالمغرب الشرقي، ولد في مدينة «**تنجدات**» سنة (١٩٤٩ م)، عضو **اتحاد كتَّاب المغرب**، له عدة أعمال شعرية، وقد صدرت له حتى الآن أربع مجموعات (**البريد يصل غداً**) وهو ديوان مشترك مع الشاعرين «**الطاهر الدحاني**» و «**حسن الأمراني**»، و «**الكهف والظل**»، وقد صدرا معاً سنة (١٩٧٥ م)، ثم «**الطائران والحلم الأبيض**) وهو عمل مشترك أيضاً مع «**مصطفى النجار**» وقد صدر سنة (١٩٧٨ م).



زفزاف :

محمد زفزاف، من كتَّاب المغرب في مجالي القصة والرواية، ولد سنة (١٩٤٥ م)، بمدينة **سوق أربعاء الغرب**، له إنتاج غزير، **من أعماله :** مجموعة قصصية تحت عنوان (**حوار في ليل متأخر**) صدرت سنة (١٩٧٠ م)، وثانية بعنوان (**بيوت واطئة**) صدرت سنة (١٩٧٧ م)، وثالثة بعنوان (**الأقوى**) صدرت سنة (١٩٧٨ م)، ورابعة بعنوان (**محاولة عيش**) صدرت سنة (١٩٨٠ م)، ثم (**الشجرة المقدسة**)، أما **رواياته** فنجد منها (**أرصفة وجدران**)

الصادرة سنة (١٩٧٤م)، و (**المرأة والوردة**) سنة (١٩٧٢م)، ثم (**قبور في الماء**) سنة (١٩٧٨م)، و (**الأفعى والبحر**) سنة (١٩٧٩م)، كما أن له كتاب في النقد يحمل عنوان (**أنطولوجيا الشعر المغربي**).

س

السحيمي :

عبد الجبار السحيمي، كاتب وصحفي من مواليد (١٩٣٩م)، **بالرباط**، يهتم بالشؤون الفكرية، ويبدع في مجالي القصة والمقالة، بالإضافة إلى كونه ناقداً ومحللاً، له مجموعة قصصية تحت عنوان (**الممكن من المستحيل**) التي صدرت سنة (١٩٦٩م)، شغل لمدة عامين مسؤولية السكرتارية العامة لاتحاد كتّاب المغرب. وهو يعمل حالياً مسؤولا ثقافياً في **جريدة «العلم»** التي تصدر بالرباط.

ش

الشرقاوي :

إقبال أحمد الشرقاوي، من مواليد مدينة **مراكش** سنة (١٩٢٧م)، تلقّى تعلماً معرباً، ثم مزدوجاً، والتحق **بكلية بن يوسف** سنة (١٩٤٠م)، وانقطع عن الدراسة بها سنة (١٩٤٥م). لم ينشر في صحيفة أو مجلة ما عدا محاضرة عن الاستشراق نشرها بمجلة «**الإيمان**» المغربية. يكتب في اللغة والأدب والتربية، **وأهم مؤلفاته :**

(**شاعر الحمراء في الغربال**) الصادر سنة (١٩٦٣م)، و (**لعبة الشطرنج**) سنة (١٩٦٩م)، و (**فنون الأفنان**) سنة (١٩٧٠م)، ثم (**مكتبة الجلال السيوطي**) سنة (١٩٧٧م)، و (**نصوص تربوية**) سنة (١٩٧٨م)، أما آخر ما صدر له فهو (**تحقيق كتاب المحاضرات لليوسي**) سنة (١٩٨٢م)، بالاشتراك مع **محمد حجي**.

ص

الصبّاغ :

محمد الصبّاغ، من مواليد مدينة **تطوان** سنة (١٩٢٧م)، تلقّى تعليمه الابتدائي بهذه المدينة، حصل على **دبلوم في علم المكتبات من مدريد** ثم اشتغل رئيساً لخزانة الصحف بتطوان، فملحقاً بديوان وزير الدولة للشؤون الإسلامية، **من أعماله** التي صدرت حتى الآن (**العبير الملتهب**) سنة (١٩٥٣م)، و (**شجرة النار**) سنة (١٩٥٥م)، و (**اللهاث الجريح**) سنة (١٩٥٥م)، أيضاً، (**أنا والقمر**) و (**شلال الأسود**) سنة (١٩٥٦م)، و (**فوارة الظمأ**) سنة (١٩٦٣م)، و (**عنقود ندى**) سنة (١٩٦٤م).

ض

الضبّار :

بوشعيب الضبّار، كاتب وناقد يشتغل بالصحافة منذ مدة، له مجموعة من المقالات، والكتابات الفكرية المجتمعية بالمغرب، شغل عدة مناصب في الصحافة، حيث عمل **رئيساً لتحرير مجلة (أخبار الفن)** الأسبوعية، ويعمل حالياً محرراً بجريدة (**الميثاق الوطني**) التي تصدر بالرباط، ومسؤولا عن ملحقها الأسبوعي الذي يصدر كل يوم أحد، وأشهر أعمدته الصحفية (**كلام على الهواء**).

ط

الطبّال :

عبد الكريم الطبّال، شاعر من مواليد **شفشاون** سنة (١٩٣١م)، ينظم قصائده بطريقة **الشعر الحر**، له عدة قصائد قصيرة وطويلة نشرت أكثرها في مجلة «**أقلام**» **المغربية**، وقد صدر له حتى الآن ديوان (**الطريق إلى الإنسان**) سنة (١٩٧١م)، وديوان ثان بعنوان (**الأشياء المنكسرة**) سنة (١٩٧٤م)، فضلاً عن أعمال أخرى لم تر النور بعد.

ظ

ظريف :

عبد الرحيم ظريف، من شعراء المغرب الشباب الذين بدأت أعمالهم تظهر على الساحة الأدبية، يكتب في الشعر والخاطرة الأدبية، له مجموعة من الكتابات الفنية، وأعماله موجودة بين صفحات الجرائد،

الدوريات ، والمجلات الثقافية ، كما لديه ديوان شعر لم ير النور بعد يحمل عنوان (**لحن وشجن**) ، بقي أن نشير إلى أن ظريف يكتب إنتاجاته تحت اسم مستعار هو «**أبو كوثر**».

ع

العزيز :

عبد السلام العزيز ، من مواليد **تطوان** سنة (١٩٤١م) ، من طلاب **جامعة القرويين بفاس** ، عمل منذ حداثته بالصحافة . أصدر منذ أواخر الستينات عدة أعمال في القصة والمقالة والبحث والترجمة ، كان أولها مجموعة قصص بعنوان (**لهيب الحرمان**) سنة (١٩٦٩م) ، ثم (**حصيد الأيام**) سنة (١٩٧٧م) ، ثم كتاب يضم ثلاث قصص قصيرة بعنوان (**مصير الأيام**) ، فمجموعة قصصية بعنوان (**أوراق الدفلى**) سنة (١٩٨٠م) ، وأخيراً مجموعته الجديدة (**مزامير صغيرة**) سنة (١٩٨٤م) .

غ

غلاب :

عبد الكريم غلاب ، كاتب اجتماعي مغربي ، وأديب مقتدر ، ولد **بفاس** سنة (١٩٢٠م) ، حيث تلقى هناك تعليمه الابتدائي والثانوي ، حائز على **شهادة الإجازة من جامعة القاهرة** ، شغل عدة مناصب في الصحافة ، حيث عمل محرراً بمجلة (**رسالة المغرب**) ، ثم مديراً لجريدة (**العلم**) ، له مؤلفات اجتماعية وأدبية ، كما شغل رئيساً لاتحاد كتّاب المغرب ، **من أعماله** : (**نبضات فكر**) سنة (١٩٦١م) ، وقصة (**سبعة أبواب**) سنة (١٩٦٥م) ، ورواية (**دفنا الماضي**) سنة (١٩٦٦م) ، ثم كتاب (**تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب**) الذي صدر سنة (١٩٧٦م) ، وآخر أعماله مجموعة قصصية بعنوان (**وأخرجها من الجنة**) سنة (١٩٧٧م) .

ف

الفاسي :

جعفر الفاسي ، من شعراء المغرب ، في بداية الاستقلال ، له عدة أعمال أدبية ، شارك في تأليف بعض الكتب الخاصة بعلم التربية ، والمقررات المدرسية ، ومن بينها كتاب (**المطالعة الجديدة**) ، وذلك بمساهمة مؤلفين آخرين .

ق

القمري :

الحسين القمري ، من الأدباء الشبان ، من مواليد **بلدة الناظور** سنة (١٩٤٢م) ، اشتغل معلماً ، ولما حصل على **الإجازة في الحقوق** سنة (١٩٧٦م) ، تحول إلى وظيفة **المحاماة** التي لا زال يمارسها حتى الآن . **ومن أهم أعماله** ديوان شعر يحمل عنوان (**ألف باء**) وهو من منشورات «**رواد القلم**» بمدينة **الدار البيضاء** سنة (١٩٧٥م) . يقع الديوان في (٩٦) صفحة .

ك

الكتاني :

الدكتور جعفر الكتاني ، ولد سنة (١٩٣١م) **بفاس** ، بعد المرحلة الابتدائية التحق **بجامعة القرويين** ، ثم تابع دراسته **ببغداد والقاهرة** ، حصل على **دكتوراه في الدراسات العربية والإسلامية من السوربون** ، عمل أستاذاً للأدب العربي **بجامعة محمد الخامس** ، ثم عميداً ، ثم **عيّن سفيراً للمغرب بدمشق** . له أعمال أدبية عديدة أهمها (**مواقف الأدب العربي**) في جزءين ، وتحقيق كتاب (**المحاضرة في صناعة الشعر لأبي علي الحاتمي**) ، فضلاً عن دراسة تحليلية عن (**إيليا أبي ماضي**) .

ل

لحمداني :

حميد لحمداني ، من مواليد سنة (١٩٥٠م) ، **ببوعرفة عمالة فكيك** ، تلقى تعليماً معرباً ، حصل على **الإجازة في الأدب العربي** سنة (١٩٧٢م) ، وعلى شهادة استكمال الدروس سنة (١٩٧٤م) ، ويعمل حالياً مساعداً **بكلية الآداب بفاس** . بدأ ينشر أعماله اعتباراً

من سنة (١٩٧٣م)، **وأهم أعماله** رواية (**دهاليز الحبس القديم**) الصادرة عن **مطبعة فكيك** سنة (١٩٧٩م).



المكينسي :

أحمد المكينسي، أديب وباحث من مواليد **الرباط** سنة (١٩٥٦م)، تابع دراسته الابتدائية والثانوية **بفاس**، وفيها حصل على شهادة البكالوريا «شعبة الآداب العصرية» سنة (١٩٧٩م)، كما حصل على دبلوم المدرسة الوطنية للإدارة العمومية، مع الإجازة في الحقوق سنة (١٩٨٣م)، له عدة أعمال نشرت في مجلات مغربية وعربية متنوعة كـ«الرسالة»، «الإيمان»، «الإرشاد»، «الفيصل»، «الدوحة»، (عضو في جمعية شباب النهضة الإسلامية)، وفي (جمعية الجيل الصاعد بسلا)، و(مستشار بجمعية حاملي دبلوم الإدارة)، **من أعماله** : (**العقاد أسطورة لن تتكرر**) سنة (١٩٧٨م)، وبحث عن (**الصناعة التقليدية بالمغرب**) سنة (١٩٨٠م)، وآخر عن (**دور الجماعات المحلية في الحياة الاقتصادية**) سنة (١٩٨١م)، وأعمال أخرى لم تر النور بعد.



النهيري :

مصطفى النهيري، من مواليد **الدار البيضاء** سنة (١٩٤٥م)، **ومن جملة كتبه** (**أزمة الفكر العربي**) (١٩٧٢م)، (**محنة العقل المبدع**) (١٩٧٣م)، (**المثقفون والأنثى في الحضارة**) (١٩٧٥م)، في (**الثقافة والفرد والمجتمع**) (١٩٧٦م)، (**الكاتب المتمرد**) (١٩٧٩م)، (**البيان حول وضعية الكتّاب والفنانين والمثقفين**) (١٩٨٠م)، و(**لذة الكتابة عن سقوط الحضارة**) (١٩٨٢م)، ثم (**الثقافة والهوى والاستبداد العظيم**) (١٩٨٤م).



الهرادي :

محمد الهرادي، صدرت له أول مجموعة قصصية في أواخر عام (١٩٨٠م)، عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق (سورية) وهي بعنوان (**اللوز المر**)، وهي محاولة لتأسيس نَفَس ثان للقصة القصيرة بالمغرب.



الورديغي :

عبد الرحيم الورديغي، من مواليد **الرباط** سنة (١٩٣٩م)، يهتم بالكتابة عن تاريخ المغرب الحديث، كما يتطرق لأوجه الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية التي مرت فيها البلاد، **من كتبه** (**الألغاز التاريخية للمغرب المستقل منذ سنة ١٩٥٦م، إلى سنة ١٩٨١م**)، **وآخر كتاب** صدر له بعنوان (**المغرب منذ وفاة الملك محمد الخامس إلى حرب الرمال** «١٩٦١ ـ ١٩٦٣م»)، وفي هذا الكتاب، يتطرق المؤلف للحياة السياسية والنقابية، منذ وفاة الملك محمد الخامس إلى حدود سنة ١٩٦٣م، ثم يتعرض إلى هجرة اليهود، وإلى عدة موضوعات أخرى كانت تهم تاريخ المغرب في تلك الحقبة.



اليابوري :

أحمد اليابوري، من كتّاب القصة القصيرة بالمغرب، له عدة أعمال ودراسات نشرت في مختلف المجلات والصحف المغربية، حائز على دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب، وذلك عن أطروحته حول (**الفن القصصي بالمغرب**)، شغل منصب عميد بالنيابة لكلية الآداب «جامعة محمد بن عبد الله بفاس»، وهو بالإضافة إلى ذلك باحث مختص في **المركز الجامعي للبحث العلمي**، يعمل حالياً رئيساً لاتحاد كتّاب المغرب.



بين الجاحظ.. والتوحيدي

قرأت ، فيما قرأته ، في العدد (٩٠) ذو الحجة ١٤٠٤ هـ ، أيلول (سبتمبر) ١٩٨٤ م ، من المجلة الأثيرة « **الفيصل** » مقالا ، في زاوية (و ... **للحديث شجون**) بقلم **الأستاذ عبد العزيز الرفاعي** ، حاول فيه عقد موازنة بين الشيخين الكبيرين ، في النثر العربي ، **أبي عثمان الجاحظ وأبي حيان التوحيدي** ، ذائداً عن الجاحظ ، مقللاً من شأن التوحيدي مما لم يقصده الكاتب ، على ما أظن ، إلا أن محصلة المقال ، وما احتواه من أفكار ، لم يكن أغلبها معبِّراً عن حقيقة التوحيدي ، مما يستدعي إبداء الرأي توخياً للحق الذي وجدته أثناء قراءتي كتب التوحيدي في زمن مضى .

في البدء أقول إنني متفق مع الكاتب في الأشياء التي ذكرها عن الجاحظ ، بل إنني من المتحمسين لها ؛ أوليس الجاحظ زعيم النثر العربي ، ومبتكر الكثير من سماته الجديدة المنفتحة على الحياة والمجتمع ، الذي كتب بأسلوب قوي وجميل .

بيد أن ما قاله عن التوحيدي أمر يتطلب الحوار والنقاش وصولا إلى الحقيقة ؛ فالتوحيدي (.. في ذاته قمة أدبية ، وصاحب أسلوب متميِّز ...) كما ذكر الكاتب ، لكنه يؤكد أنه لم يستطع اللحاق بالجاحظ (لقصور في أسبابه التي اعتمدها) . غير أن التوحيدي لم يكن يهدف ، في كتاباته ، إلى أن يكون متطابقاً مع الجاحظ في كتاباته ؛ فعلى الرغم من شدة إعجابه به ، مما كان معروفاً عند معاصريه ، إلا أنه كان يريد أن يخط لنفسه طريقة خاصة وأسلوباً متفرداً معبِّراً عن مزاجه وثقافته وعصره وبيئته ...

لقد استوعب التوحيدي خصائص طريقة الجاحظ في الكتابة ، بعد عناء القراءة والدرس ؛ ولعل فيما قاله ، وهو ينقد **أبا الفضل بن العميد** في محاولته الفاشلة تقليد الجاحظ ، خير دليل على دقة فهمه لتلك الخصائص ؛ قال التوحيدي : (... ألا يعلم أبو الفضل أن مذهب الجاحظ مدبر بأشياء لا تلتقي عند كل إنسان ، ولا تجتمع في صدر كلّ أحد : بالطبع والمنشأ والعلم والأصول والعادة والعمر والفراغ والعشق والمنافسة والبلوغ : وهذه مفاتيح قلّما يملكها واحد ، وسواها مغالق قلّما ينفكّ منها واحد) [الإمتاع والمؤانسة ١/٦٦] .

ولقد عبَّر هو عن قوة تأثره بشخصية الجاحظ وكتبه ، في غير موضع من مصنفاته ؛ فقال ، مثلاً ، في **البصائر والذخائر** : (... من كتب شتى حُكيت عن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكناني ، وكتبه هي الدرّ النثير ، والنَّوْرُ المطير ، وكلامه الخمر الصرف ، والسِّحرُ الحلال ..) [البصائر والذخائر ١/٤] . ومثل ذلك كثير .

ولا نستبعد أن يكون التوحيدي قد حاول تقليد الجاحظ ، في أسلوبه ، بل هي حقيقة يسندها الكثير من خصائص المذهب الجاحظي التي نجدها في كتابات التوحيدي ، من ميل إلى التطويل والتكرار والدوران حول المعنى ، وغيرها . وهو نفسه يلزم الكاتب الناشئ بضرورة التقليد ، أول الأمر ، لينطلق ، بعده ، إلى كتابة ما هو منسجم مع مزاجه وثقافته وعصره وبيئته ؛ فلقد قال التوحيدي : (... وينبغي أن تعلم أنّ من أراد خطابة البلغاء على طريقة الأدباء ، .... ، احتاج ، ضرورة ، إلى تقديم العناية بأصول الأساس ، وحفظ فصول هي الأركان ، .... ، فمن أوائل تلك العناية جمع بدد الكلام ، ثم الصبر على دراسة محاسنه ، ثم الرياضة بتأليف ما شاكل كثيراً منه ، أو وقع قريباً إليه ..) [البصائر والذخائر ٣/٤٢٢ ـ ٤٢٣] .

بعد ذلك نجد التوحيدي منطلقاً بارعاً في الكتابة ذا أسلوب مشرق وجذاب ، لا نجده حتى عند الجاحظ الذي عُني بالموضوع أكثر من عنايته بالأسلوب ؛ **فالجاحظ كاتب موضوعي ، والتوحيدي كاتب أسلوب** يعتني به ، دون إغفال للمضامين التي كانت عميقة ورفيعة ، أدباً وفلسفة واجتماعاً وغير ذلك ؛ لقد تمكن التوحيدي من بناء أسلوب خاص به ، بعد مرحلة التقليد .

ثم تساءل الأستاذ الرفاعي : (لماذا ظل أبو حيان شبه مغمور لأحقاب وأحقاب .. ؟ ولماذا لم تشتهر كتبه .. ؟) فعلل ذلك بأن (أبا حيان كان سوداوي المزاج منقبضاً عن الحياة والناس والمجتمع .. تمكنت منه عقد نفسية لم يستطع أن يتخلل منها أو يحلها ، فكان طبيعياً ... أن يبادله الناس انقباضاً بانقباض ..) مما أضرّ به وجعله فقيراً ، كما ذكر الكاتب .

إن في هذا الكلام ، ما لا نستطيع الإقرار به ، فما نجده في مصنفات الرجل من أخبار يؤكد أنه كان ذا علاقات واسعة بالمثقفين والفلاسفة والأدباء ، وهم صفوة المجتمع ، يحاورهم في شؤون المعرفة .. حتى أنه دوّن أغلب هذه المحاورات في **كتاب « المقابسات »** ، كما أن من ثمرات علاقاته ، تأليفه مع **مسكويه** كتاب « **الهوامل والشوامل** » ، الذي

تضمن أسئلة وجهها التوحيدي إلى مسكويه الذي أجاب عنها .. كما أنه كان ميّالا إلى المزاح حاضراً عليه ، في المرحلة الأولى من حياته ، في الأقل ؛ نراه يقول في البصائر والذخائر ١ / ٦٠ : (إياك أن تعاف سماع الأشياء المضروبة بالهزل ، الجارية على السُخف ، فإنك لو أضربتَ عنها جملة لنقص فهمُك ، وتبلّد طبعُك ...) .

أليس في هذا الكلام ما ينقض القول بسوداوية مزاج التوحيدي ؟ . نعم لقد كان كثير الشكوى من زمان لم ينصفه ولم ينصف العقلاء مثله ، في وقت مبكر من حياته ، مما نجده في مصنفاته جميعاً ؛ فلقد كان حساساً من عدم سيادة العدل الاجتماعي ؛ فها هو يجد العقلاء من الأدباء والعلماء والفلاسفة ، وهو منهم ، غارقين في فقر شديد ، لا يحصلون على قوت يومهم إلا بالشقاء والتعب المضني .. بينما يحصل الناقصون ، من السوقة والجهلاء ، على ما يريدون .. !؟ .

لقد عدّ هذه المسألة ملكة المسائل التي توجّه بها إلى مسكويه ، في كتابيها « الهوامل والشوامل » ص ٢١٢ ، بقوله : (حدثني عن مسألة هي ملكة المسائل ، والجواب عنها أمير الأجوبة) ، وهي الشّجا في الحلق ، والقذى في العين ، والغصّة في الصدر ، والوقر في الظهر ، والسل في الجسم ، والحسرة في النفس ، وهذا كله لعظم ما دهم منها ، وابتلي الناس به فيها ، وهي حرمان الفاضل وإدراك الناقص ..) . هذه الفكرة الرهيبة رافقته في حلّه وترحاله ، وأرّقته ، وجعلته يؤثر العزلة ، بعد حين ، بعيداً عن أُناسٍ لم يعرفوا فضله ، ولم يقدروا علمه مما حداه إلى إحراق كتبه إيثاراً بها عن هؤلاء الناس ، ثم إنه لم يجد من يلوذ به ، بعد ذلك ، غير الله تعالى ، فاختار الطريقة الصوفية ، عابداً له ، منقطعاً إليه .. حتى مات .

ولعل من أكثر الأسباب إقناعاً في عدم اهتمام الناس بما خلفه التوحيدي ، الاهتمام المطلوب ، ففي ظني أنها تعود إلى أن كتبه قد حوربت من أعوان **الصاحب بن عباد** ، هذا الوزير البويهي ذو النفوذ والسطوة ، الذي ثلبه التوحيدي وسخر منه ، في كتابه « **مثالب الوزيرين** » مع الوزير **أبي الفضل بن العميد** ؛ ذلك أن النُحس قد ألصق بكتبه ، ولا سيما بالكتاب المذكور . (انظر بغية الوعاة ٢ / ١٩٠) . مما جعل الناس لا يتداولونها ، على نطاق واسع . حتى جاء **ياقوت الحموي** فأفرد له صفحات طويلة من معجمه ، مبدياً تعجبه من عدم ذكره في كتاب ما مع الأدباء ، قال ياقوت : (ولم أرَ أحداً من أهل العلم ذكره في كتاب ، ولا دمجه في ضمن خطاب ، وهذا من العجب العُجاب ..) [**معجم الأدباء ١٥ / ٦**] .

ثم أليس من حق الأديب المبدع ، والكاتب ذي الأسلوب الجميل والقوي ، أن يتطلع إلى الثراء والمجد ؛ أما الثراء فلم يحصل عليه لاختلال قيم المجتمع ، ولعدم جدّه في الحصول عليه ، أما المجد فها هو الرجل مرتبع على إحدى قممه ، منذ قرون ، وسيبقى كذلك ، ما دام في الأرض من يحترم الأدب ويحب الثقافة .. ولم يتضح غرور كالذي قال عنه الأستاذ الرفاعي ، بل كان كثير الميل إلى التواضع ، مع تحبيذه إظهار ضعفه ، دون الرتب العالية إيثاراً للسلامة .

بيد أنه كان كثير الاعتداد بنفسه ، فلقد طلب من **الوزير ابن سعدان** وهو يحدثه في ليالي الإمتاع والمؤانسة ، أن يأذن له بأن يخاطبه بالمفرد (كاف المخاطبة ، وتاء المواجهة) [انظر : **الإمتاع والمؤانسة** ١ / ٢٠] ، بعيداً عن استخدام صيغ التفخيم المتعارف عليها ، آنذاك ، في مخاطبة السلاطين والأمراء والوزراء ، التي لم يكن يُحسنها التوحيدي مما أضعف علاقاته مع عدد من الوزراء الذين اتصل بهم ؛ بل إن بعضهم واجه هذا الكبرياء المشروع بالاحتقار ، كما فعل معه الصاحب بن عباد ، وابن العميد اللذان ثلبهما في « مثالب الوزيرين » ، الذي يُعدُّ آية في الأسلوب الأدبي الساخر الذي أبدع فيه التوحيدي على عكس ما قاله الأستاذ الرفاعي الذي ذكر أنه لا يُحسن غير الهجاء ؛ نعم إن في هذا الكتاب ، من الهجاء ، شيئاً كثيراً ، لكنه لا يمثل جميع ما فيه ، بل إنه يحوي صوراً ساخرة رائعة عبرت عن قدرة التوحيدي على التصوير الساخر .

ولعل الانفعال الذي رافقه ، وهو يكتب هذا الكتاب ، كان وراء كثرة الهجاء ، فلقد كان غَضِباً حَنِقاً على من لم يعرف حقّه ... ولكنه ، عندما تهدأ أعصابه ، وتبرد فورتها ، يأخذ في إبداع الصور المضحكة ، المتسمة بالدقة في التصوير ، وبالميل إلى المبالغة ، مما تُعد من مقومات العمل الأدبي الساخر . ليس هذا فحسب ، بل إنه أبدع مشاهد ساخرة متكونة من صور ساخرة وحوار ودقة في التصوير والرسم .

وعن عقيدة التوحيدي ، يذهب الكاتب إلى أن (الشكوك تدور حول عقيدته وسلامتها من الشوائب) . والرأي هذا هو ترديد لقول قديم جاء به **ابن الجوزي** في (**المنتظم** ٨ / ١٨٥) ، بيد أن جميع من درسوا كتب

الرجل انتهوا إلى صحة إيمانه بالله تعالى ، ابتداءً من ياقوت قديماً ، وانتهاءً بالمرحوم **الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ، والدكتور إحسان عباس ، والدكتور إبراهيم الكيلاني ، والدكتور زكريا إبراهيم ، والدكتور عبد الأمير الأعسم** ، والآخرين ! .. ويبدو أن الأستاذ عبد العزيز الرفاعي لم يطلع على هذه الدراسات ! ... والتهمة هذه ، ربما أُلصقت به لأسباب سياسية أو عنصرية أو شعوبية .

ثم ذكر الكاتب رأي **الدكتور زكي مبارك** الذي (يذهب .. إلى أنه أحد أعضاء **إخوان الصفا** ..) ، ويبدو أنه لم يطلع على ما نقله التوحيدي من كلام شيخه **أبي سليمان المنطقي** في الإمتاع والمؤانسة ٢/٦ ، المليء نقداً وتسفيهاً لآرائهم ؛ ومن المعروف أنّ التوحيدي كان كثير الإيمان بكل ما يقوله أبو سليمان .. والتوحيدي هو الوحيد الذي كشف لنا عن أسماء عدد من أعضاء هذه الجماعة لظروف جعلته يعرفهم ، وهذا دليل آخر على انفتاح التوحيدي على الناس في شبابه ، ولكنه ليس دليلاً على شيء آخر .

وبعدُ ، فإنني أشكر الأستاذ عبد العزيز الرفاعي على إثارته المشكلات التي ناقشتها معه ، آملاً أن أجدَ في صدره رحابة أكاد أثق بوجودها في صدور الأدباء والمثقفين الذين يحبون الحقيقة . وأجدها فرصة طيبة للتعبير عن إعجابي بمجلة « **الفيصل** » منبراً قوياً للثقافة العربية والإنسانية .

فائز طه عمر
العراق ـ جامعة الموصل

تعليق أمالي ابن دريد

لقد قرأت في **العدد (١٠٠)** من مجلة « **الفيصل** » ، ص ١٨٢ ، موضوعاً للسيد **محمد أحمد الدالي** يتضمن تعليقات على أخطاء طفيفة وردت في كتاب (**تعليق أمالي ابن دريد**) وقد ذكر السيد محمد في تعليقه على بيتي **كعب الأشقري** وهما :

لا فضل يرجى عند ذي سعة
ولا يدرّ لمرضع عرق
ولا ترى كف يجاد بها
بعطاء ذي فقر ولا رزق

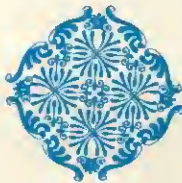
ذكر المعلق أن هذين البيتين فيهما إخلال بالوزن لأنه وقع الجزء الأول من عجز أول هذين البيتين ـ وهو (ولا يدرّ) ـ على متفعلن ، وكذا الجزء الأول من صدر الثاني ـ وهو (ولا ترى) ـ على متفعلن ، وذكر السيد محمد أن هذا غير جائز ، مع أن هذا الزحاف في التفعيلتين جائز لأن (متفاعلن) يجوز فيها الإضمار (أي أن تسكن تاؤها) فتصبح متْفاعلن ، وعندها يجوز أن يسقط ثانيها أي التاء ، وهذا هو (**الوقص**) فتصبح مفاعلن ويسمى موقوصاً . وبما أن الجزء الأول من عجز البيت الأول ، والجزء الأول من صدر الثاني ، قد جاءا على وزن مفاعلن الذي هو نفس وزن متفعلن ، على هذا الأساس يتبيّن أن الزحاف في هذين البيتين جائز ، وعلى هذا أُورد هاهنا مثالا على الوقص في بيت البحر الكامل :

يذبّ ، عن حريمه ، بسيفه
ورمحه ، ونبله ، ويحتمي

تفعيله : مفاعلن مفاعلن مفاعلن
مفاعلن مفاعلن مفاعلن
موقوص موقوص موقوص
موقوص موقوص موقوص

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في بيان الخطأ في التعليق على هذين البيتين ، والكمال لله وحده ، والسلام عليكم .

عامر السيد سليمان
سورية ـ حمص





مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي:

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

د ـ إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي).

هـ ـ عشر جوائز قيمة كل واحدة منها اشتراك مجاني لمدة عام في مجلة «الفيصل» لكل فائز.

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة.. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص.ب (٣) المسابقة).
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج.

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها.

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة.



• الأسئلة •

السؤال الأول:

في أي تاريخ بدأت رحلة مركبة الفضاء «ديسكفري ٥١ ج»، وكم من الأيام استغرقت، وما اسم قائد الرحلة، وما هي الأقمار الصناعية التي أطلقت من هذه المركبة؟

السؤال الثاني:

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية:
تاريخ الأدب الجغرافي عند المسلمين ـ الخطيئة والتكفير.. من البنيوية إلى التشريحية ـ الكفاية في علم الرواية ـ الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء.

السؤال الثالث:

ما السبب في إطلاق اسم «مسرح العرائس» أو «فن الماريونيت» على المسرح الذي تتحرك فيه الدمى بالخيوط.. وما أساسه التاريخي القديم، وفي أي قرن قبل الميلاد ولد هذا النوع من الفن؟

السؤال الرابع:

شاعر عربي له ديوانان مطبوعان هما: «وحي الحرمان»، و«حديث قلب»، فاز أخيراً بأكبر جائزة عالمية هي جائزة وسام باريس، كما فاز بجائزة الدولة التقديرية في بلده.. ما اسم هذا الشاعر.. وأين ولد.. وفي أي عام؟

السؤال الخامس:

في أي عام طارت أول طائرة شراعية بها محرك وتحمل إنساناً، وما اسم العالم الذي كان وراء هذا الإنجاز؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (١٠٥)

الاسم: ------------------------------------

المهنة: ------------------------------------

العنوان: ------------------------------------



● أجوبة مسابقة العدد (٩٨) ●

ج ١ العلماء الثلاثة الذين فازوا بالتساوي **بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية**، عام ١٤٠٥هـ، هم:

★ الدكتور **فاروق أحمد حسن دسوقي (من مصر)**، على كتابه «**القضاء والقدر في الإسلام**».

★ الدكتور **محمد رشاد سالم (من السعودية)**، على تحقيق كتاب «**درء تعارض العقل والنقل**» **لابن تيمية**.

★ الدكتور **مصطفى محمد حلمي سليمان (من مصر)**، على كتبه الثلاثة: «**منهج علماء السنّة والحديث في أصول الدين**»، و«**قواعد المنهج السلفي والنسق الإسلامي من مسائل الألوهية والعلم والإنسان عند شيخ الإسلام ابن تيمية**»، و«**السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية**».

ج ٢ يعود تاريخ علاج الوخز بالإبر، أو «**العلاج بالإبر الصينية**» إلى ما قبل **خمس آلاف سنة**، وذلك بالتجربة والملاحظة. وأول سجل طبي صيني، عثر عليه مكتوباً من ٢٠٦ سنوات قبل الميلاد.. حيث دوِّن فيه أول نجاح عرف للعلاج بالإبر الصينية لأحد أمراء ولاية **وارنق في الصين**.

ج ٣ المصطلحات الكيميائية الآتية تعني:

★ **الحموض النووية**: هي مجموعة المركبات الكيميائية الهامة عند جميع الكائنات الحية، حيث تقوم هذه الحموض بدور هام.. فهي تحمل الصفات الوراثية الخاصة بكل كائن لنقلها من جيل إلى آخر دون تبديل أو تغيير، كما إنها تنظم عمليات الاستقلاب المختلفة التي تجري في الخلية.

★ **الخمائر**: عبارة عن **مركب بروتيني**، أو إنها تحوي ـ بالإضافة إلى البروتين ـ قسماً آخر ذا طبيعة لا بروتينية، يسمى بالجزء الملحق بالخميرة، ويكون هذا الجزء من أحد الفيتامينات المعروفة التي تدخل إلى جسم الكائن الحي، مع الأطعمة المختلفة.

★ **الألبومين**: يتألف الألبومين من **ارتباط الحموض الأمينية بروابط إلكترونية خاصة**، ويعد من أهم البروتينات الداخلة في تركيب بلازما الدم عند الإنسان والحيوانات الفقرية، وتتم عملية اصطناع الألبومين عند الإنسان في الكبد، ومن ثم فإن أي مرض يطرأ على هذا العضو ينعكس على وظيفته في اصطناع هذا البروتين الهام.

★ **التيامين**: اسم المركب الكيميائي، يشكل **الفيتامين (ب١، B1)**، وهو يوجد في تركيب قشور الحبوب كالقمح والشعير والأرز. ولهذا الفيتامين دور حيوي داخل الجسم، يتمثل في عملية تفكك السكر خلال احترافه، لتشكيل الطاقة اللازمة لجميع خلايا الجسم.

ج ٤ مؤلفو الكتب التالية هم:

★ «**كاتب الحي**»: د. **محمد عبد الرحمن الشامخ**.

★ «**ابن حزم خلال ألف عام**»: **أبو عبد الرحمن بن عقل الظاهري**.

★ «**التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية**»: **حسن عبد الله آل الشيخ**.

★ «**معجزات قلب القرآن**»: **هاشم محمد سعيد دفتردار المدني**.

★ «**تنظيم النسل، وموقف الشريعة الإسلامية منه**»: د. **عبد الله بن عبد المحسن الطريقي**.

وجميع هؤلاء المؤلفين سعوديون.

ج ٥ وردت عدة آراء حول تسمية «**سيناء**»:

★ بمعنى «**حجر**»، أي بلاد الأحجار.

★ مشتق من اسم «**تحوت**» القمر المصري الذي كان يعبد في بعض مناطق سيناء.

★ مشتق من اسم «**صفدو**» الإله الذي وجد اسمه منقوشاً على أحجار معبد «**سرابيط الخادم**» بجنوب سيناء.

★ سميت بـ«**محابة**» حسب الآثار الآشورية، واسم «**طنجهت**» بموجب النصوص الهيروغليفية، و«**بياونت**» في نصوص أخرى.

★ سميت بـ«**مدرجات الفيروز**» نسبة إلى سيدة الفيروز الإلهة «**حتحور**».



● نتيجة مسابقة العدد (٩٨) ●

● فازت **بالجائزة الأولى**، وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي، الأخت **منى علي طه**، دمشق ـ **سورية**.

● وفازت **بالجائزة الثانية**، وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي، الأخت **خديجة كامل خالد**، الرياض ـ **المملكة العربية السعودية**.

● وفاز **بالجائزة الثالثة**، وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي، الأخ **صموئيل توفيق فرج الله**، تلا، محافظة المنوفية ـ **مصر**.

وهناك **سبع جوائز**، قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من **المغرب** ـ الناظور، زنقة ابن رشد، الأخ **السراج الحسن محمد**.

● من **اليمن** ـ تعز، الأخت **فتحية أحمد علي مسعود**.

● من **تونس** ـ مدينة تونس ١٠٥٥، ص. ب (١٣١٣)، الأخ **سعيد القيزاني**.

● من **الجزائر** ـ سيدي بلعباس ٢٢، مدرسة شيكر مكي، الأخ **مصطفى مصطفاوي**.

● من **مصر** ـ سوهاج، بريد بندار الكرمانية، أولاد مامن، الأخ **عبد العليم حلمي أحمد إبراهيم**.

● من **المملكة العربية السعودية** ـ جدة، جمرك مطار الملك عبد العزيز الدولي، الأخ **محمد سعيد إبراهيم الغامدي**.

● من **العراق** ـ الرمادي، الأخت **ناهدة إبراهيم حماد الراوي**.

بالإضافة إلى **عشر جوائز**، قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من **البحرين** ـ المنامة ٣٠٥، طريق ٥١٧، الأخ **علاء عبد العزيز عبد علي**.

● من **السودان** ـ أم درمان، حي ود نوباوي، الأخ **ناصر يعقوب خليل**.

● من **عُمان** ـ مطرح، ص. ب (٧٥٥٢)، الأخ **حسن علي حسن جعفر**.

● من **سورية** ـ الرقة، تل أبيض، شريعان، الأخ **إبراهيم حسين الدخيل**.

● من **الأردن** ـ إربد، كفر الماء، مكتب البريد، الأخ **بسام عبد الرحيم محمد حسن**.

● من **لبنان** ـ بر الياس، البقاع، مدرسة وادي الحوارث، الأخ **ياسر عمر كروم**.

● من **المغرب** ـ الدار البيضاء، درب مارتيني، الأخ **الحيمر بوشعيب**.

● من **الأردن** ـ عمّان، القويسمة، الأخت **شريفة حسن محمد**.

● من **الإمارات العربية المتحدة** ـ الشارقة، ص. ب (٥٤٦٥)، الأخ **حسن عباس المهدي**.

● من **الجزائر** ـ سكيكدة، بني بشير، الأخ **فريد بوعفار**.

الحركة الثقافية

في شهر

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا، والله الموفق **

في الوطن العربي

- مؤتمر عالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز في الرياض.
- وفاة الناصر والرفاعي والناعوري ومكاوي.
- كشف أثري في لبنان.
- عضوان سعوديان في منتدى الفكر العربي.
- معارض للكتاب والتراث، ومسابقات ثقافية.
- أسماء الفائزين بجوائز معرض الكتاب العاشر في الكويت.

في العالم

- أسماء الفائزين بجوائز نوبل لهذا العام.
- القرآن الكريم إلى السنهالية.
- مركز للدراسات الإسلامية في بريطانيا.
- ندوة في باريس عن الإسلام وأثره على الآداب الإفريقية.
- وفاة كاتب إيطالي.

السعودية :

●● تاريخ الملك عبد العزيز ●●

يعقد في منتصف هذا الشهر لمدة أربعة أيام **مؤتمر عالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز طيب الله ثراه** ، وذلك تحت رعاية **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض** ، وبمشاركة كل من **جامعة الملك سعود بالرياض ، ودارة الملك عبد العزيز .**

ولعل الهدف الأساسي من عقد هذا المؤتمر الذي دعي لحضوره متخصصون وباحثون من جميع أنحاء العالم يزيد عددهم على المائة هو تقديم تجربة النظام السياسي الذي أقامه الملك عبد العزيز وطوره أبناؤه من بعده إلى العالم الإسلامي والعالم بأسره من أجل الاقتداء والاعتبار ، كما يهدف إلى تذكير العلماء والمفكرين بمسؤوليتهم العلمية تجاه إنجازات الملك عبد العزيز وإطلاع الناشئة على هذه الفترة ، والكشف عن ملامح التغير التي واكبت الأحداث السياسية والاقتصادية في البلاد .

هذا وستلقى في هذا المؤتمر عدة أبحاث منها «**الصحافة في عهد الملك عبد العزيز**» ، وموضوعات أخرى تتعلق بالتاريخ .

يحضر المؤتمر الذي قد طرحت فكرته منذ ثلاث سنوات مندوبون عن الصحافة العالمية ومراسلي وكالات الأنباء وأجهزة الإعلام .

وبمناسبة هذا المؤتمر ، ستقام :

★ مداولات علمية يشارك فيها نخبة من المفكرين والمثقفين .

★ معارض للكتب التي تناولت تاريخ الملك عبد العزيز في شتى اللغات ، والأشياء الخاصة بالملك عبد العزيز والموجودة في الدارة من صور وملابس وسلاح وغيرها .

★ كما سيتم إصدار طابع تذكاري بالمناسبة ونشر كتيبات عن جوانب من حياة الملك عبد العزيز ، كما سيصدر كتاب ببيليوجرافي يضم عناوين المؤلفات والأبحاث التي تناولت تاريخه .

●● وفاة الشيخ الناصر ●●

انتقل إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ (صالح بن علي الناصر) رئيس قسم الفقه بكلية الشريعة بالرياض ، عن عمر يقارب الثالثة والستين ، حيث كان من مواليد عام ١٣٤٥ هـ .

كان رحمه الله معروفاً بعلمه وسعة أفقه ، وكان حريصاً على خدمة الإسلام وذلك بنشاطاته البارزة في الدعوة والإرشاد ، حيث كان يشارك في برامج التوعية الإسلامية ، وهو أحد أعضاء **مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة** ، ومن المشاركين في البرامج الدينية التي تخدم المسلمين مثل برنامج «**نور على الدرب**» .

أما عن شهاداته ، فقد حصل في عام ١٣٧٣ هـ ، على شهادة **كلية الشريعة بمكة المكرمة** ، وعين بعدها مدرساً في المعاهد العلمية ، وحصل على الدبلوم العالي من **معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة** ــ قسم الدراسات القانونية ، وذلك في عام ١٩٥٩ م .

كما حصل على دبلوم عال في الخدمة الاجتماعية الخاصة بشؤون المكفوفين من جمهورية مصر العربية .

وفي عام ١٣٩٥ هـ ، عُيِّن أستاذاً مشاركاً بكلية الشريعة ــ قسم الفقه ــ ورئيساً له .

وكان ضمن وفد من الجامعة قام بزيارة إلى المراكز والجمعيات الإسلامية في كل من **لندن وجنيف وبلجيكا** عام ١٣٩٨ هـ ، بهدف الدعوة والتوجيه .

وبحكم عمله الأكاديمي ، فقد أشرف على العديد من الرسائل ، كما شارك في مناقشة عدد آخر من الرسائل .

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته ، وألهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .



★ جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ★

●● مسابقة ثقافية ●●

أعلن **نادي الطائف الأدبي** عن **مسابقته الثقافية السنوية لهذا العام** ، التي تشمل :

★ القصة القصيرة .

★ الشعر .

★ البحث والمقالة .

★ الرسم والنحت .

وذلك ضمن شروط محددة لعل من أهمها أن يلتزم كل عمل بالتقاليد الاجتماعية والجدية ، وألا يكون قد قدم في مسابقة أخرى ، على أن آخر موعد لقبول المشاركات نهاية **شهر ربيع الأول من هذا العام ١٤٠٦ هـ .**

●● معرض للكتاب الأمني ●●

أقام المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض معرضاً للكتاب الأمني العربي ، وذلك بمشاركة عدد من دور النشر العربية والمحلية حيث عرضت فيه عدة عناوين تتناول مختلف المجالات الأمنية وما يتعلق بالجريمة والتربية والتشريع الجنائي الإسلامي .

الجدير بالذكر أن المعرض قد أقيم خلال شهر صفر الماضي من هذا العام واستمر لمدة خمسة أيام .

●● متحف شخصي للتراث الحضاري ●●

أفتتح في جدة متحف عبد الرؤوف حسن خليل للتراث الإنساني والحضاري .

وهو متحف بدأ بتجميعه منذ عام ١٣٧٢ هـ ،

مما جعله يحتوي على عدد من الأجنحة منها :

★ جناح خاص بالتراث العربي السعودي من ملابس وحرف تقليدية .

★ بيت للشعر .

★ بيت للتراث الإسلامي .

★ بيت للتراث العالمي .

★ معرض للتراث العام .

هذا وقد زينت الواجهات الخارجية لأجنحة المتحف بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية المحفورة على الجرانيت والرخام بأنماط الخط العربي .

أما عن القطع الأثرية ، فهناك جناح خاص بها ، حيث يحتوي المتحف على ما يقارب من ١٣٥٠٠ قطعة أثرية نادرة .

الجدير بالذكر أن المتحف يقع في حي الأندلس بجدة ، بشارع فرسان الحق .

مسابقة ثقافية

أعلن **نادي أبها الأدبي** عن **مسابقته الثقافية الحادية عشرة** بإعداد **(دراسة أدبية عن الحركة الأدبية في المملكة خلال السنوات العشر الماضية ١٣٩٥ ـ ١٤٠٥ هـ)** فيما لا يقل عن ثلاثين ورقة فولسكاب وذلك في أحد المجالات التالية :

★ الشعر .

★ القصة والرواية .

★ النقد .

وذلك ضمن شروط محددة أهمها أن يكون الموضوع جديداً ولم يسبق نشره ، على أن آخر موعد لاستلام النصوص **نهاية شهر جمادى الثانية ١٤٠٦ هـ** ، القادم . هذا وقد وضعت جوائز للفائزين بالمسابقة .

الأردن

وفاة الرفاعي

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشاعر

كلمة

الشباب في عصر الاتصالات

اختلف إيقاع الحياة مع الثورة التكنولوجية الهائلة في مجال الاتصالات . فقد تغيّر مفهوم البعد والقرب والمسافات بصورة ملموسة ، مع زيادة الاعتماد على النقل الجوي ، وتهاوت الحدود الجغرافية أمام الحقيقة الجديدة التي تقول إن العالم أصبح قرية .

وقديماً كان الطموح لا يتجاوز القرية ، ازداد فأصبح في إطار دولة ، والآن أصبح العالم كله خريطة ينسج عليها الشباب خيوط طموحاتهم . وتنوعت دوافع السفر بين السياحة والعمل والدراسة وتحطيم الملل ، وتحققت مقولة الشاعر :

وما بلد الإنسان إلا الموافق وما أهله الأهلون إلا الأصادق

وماذا يعني ذلك كله بالنسبة للشباب ؟ .

إنه يعني أكثر من معنى ومغزى ؛ ففي المقام الأول هناك الثقافة العالمية التي زحفت إلى الثقافة المحلية وتلاقحت معها ، واندمجت في ثناياها ، وعلى حسب قوة جدران وصلادة الثقافة المحلية أو ضعفها يكون التأثر الذي يبلغ حد الغزو الثقافي والفكري ، بل **وغسيل المخ** في بعض الأحوال .

إن النقطة الهامة والخطرة في مضمار الثقافة العالمية إنما تتجسد في الكم الهائل من المعلومات والرسائل الإعلامية التي تتوافد وتتدافع في فيضانات عارمة ليل نهار عبر محطات الإذاعة والتلفاز والصحف وأفلام الفيديو وأشرطة التسجيل السمعية ، ويتعرض لها الشباب في كل مكان ، وبطبيعة إمكانات خطوط الدفاع الثقافية لدى الشباب ، لا يمكنها التصدي النشط لكل ما يرد ، وليس في استطاعته أن يحقق الكثير من الآفاق التي تبدو ملامحها أمامه ، فيزداد الشعور **بالإحباط والقلق ، وهذا هو مرض العصر الذي يعتصر مزيداً من الشباب كل يوم .**

وإذا كان الشباب في الدول المتطورة قد نشأ وترعرع في نفس البيئة التي أفرزت وسائل الاتصال ، فإن ذلك يكسبه مناعة أكبر وقدرة أعظم على التأقلم مع معطياتها ، ولكن المشكلة تتفاقم بالنسبة لشباب الدول النامية ، الذي يملك فكراً نابهاً وطموحاً إنسانياً وطاقة هائلة ، ولكنه لا يجد مما يرى إلا النادر ، فتحدث الهزات النفسية أحياناً ، وتتجسد في الرغبة في الهجرة إلى الدول الصناعية ، حتى على حساب تراثه وتاريخه ، والنزعة إلى تقليد شباب هذه الدول مع الشقة الهائلة التي تفرق بينهما .

ومن الناحية الفكرية نجد أن شباب اليوم هو الجيل الذي أطلق عليه **جيل التلفزيون** ، الذي نما ووجد هذا الصندوق السحري في بيته ، فاعتمده مصدراً للمعرفة وحجة في تقديم الفكر ومرجعاً أساسياً يحتكم إليه لتقويم ثقافته ، والنتيجة إن حجم المعلومات الشفهية الأفقية المصورة يتزايد على حساب المعلومات المنطقية التي يكتسبها الشاب عبر تجربة القراءة والتجربة والملاحظة الشخصية والأخذ عن الكبار . هذه هي الناحية الرأسية في الثقافة . من هنا تنتشر الضحالة من فرط تكرار المعلومات الجاهزة ومن طول تعوّد العقل على التلقي السلبي دون محاولة نشطة للتعامل مع المعلومة وتصنيعها داخلياً .

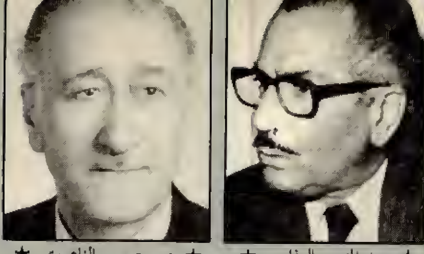
إن الشاب هو عصب كل أمة وهيكلها الأساسي ، وهو الأمل والحركة ، هو الانطلاق والحيوية ، وهو الدرع الواقي وحامي الأمة ، ولا ينبغي أن تضيع منه سنوات الشباب وهو يتعايش مع الثقافة الواحدة Mass Culture ، ويتناسى جذوره وتراثه ، ويتنكر لدعامته الضاربة في تربة بلاده ، ويمضي مسلوب الإرادة وراء التقليد والبحث عن مثل عليا وراء سراب الصور التي يشرف على صنعها أصحاب المصالح من وراء طرحها .

فايق فهيم

الرياض ـ جامعة الملك سعود



في الوطن العربي



★ عبد المنعم الرفاعي ★ ★ د. عيسى الناعوري ★

الأردني عبد المنعم الرفاعي رئيس وزراء الأردن الأسبق وذلك **إثر نوبة قلبية مفاجئة.**

كان رحمه الله معروفاً بمناصبه السياسية التي تولاها في الأردن حيث شكل الحكومة مرتين، الأولى عام ١٩٦٩م، والثانية عام ١٩٧٠م، وقد تقلد عدة مناصب هامة في الديوان الملكي الأردني.

وقد كان شاعراً وأديباً، له مشاركات عديدة في مجال الشعر والأدب، حيث كان بين الفينة والأخرى تنشر له الصحافة الأردنية والعربية شيئاً من شعره وآثاره الأدبية.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته.

●● وفاة الناعوري ●●

توفي الأديب الأردني المعروف (الدكتور عيسى الناعوري)، الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني عن ٦٧ عاماً، حيث كان من مواليد عام ١٩١٨م، في قرية «**ناعور**» قرب العاصمة الأردنية عَمَّان.

وكان قد عمل في تدريس العربية وآدابها خمس عشرة سنة ـ بعد تخرجه من الدراسة الثانوية **بالمدرسة الإكليركية في القدس** ـ، وذلك في مدارس أهلية في **فلسطين والأردن**، ثم عمل سكرتيراً ومفتشاً لإدارة **مدارس الاتحاد الكاثوليكي في الأردن** لمدة ثلاث سنوات من عام ١٩٤٩ إلى ١٩٥٢م.

وبعد ذلك عمل موظفاً في **وزارة التربية والتعليم** إحدى وعشرين سنة، من عام ١٩٥٤ إلى ١٩٧٥م، وبعدها شغل منصب الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني.

أما حياته الأدبية، فقد أصدر **مجلة (القلم الجديد)** في عمان وذلك عام ١٩٥٢م، وصدر منها أكثر من عشرة أعداد.

أما عن مؤلفاته، فله أكثر من خمسين كتاباً مطبوعاً، ونحو **أربعين كتاباً لم تطبع بعد**، وتشمل كتبه المطبوعة القصة القصيرة، والرواية، والشعر، والنقد العربي، والبحث، والدراسة، والتراجم، والسير، والأدب، وأدب الأطفال والأحداث، والترجمة عن اللغات الغربية وغيرها، والكتب المدرسية، وله مؤلفات باللغتين الإيطالية والإنجليزية، وله الكثير من الأعمال المترجمة إلى عدد من اللغات الغربية لا سيما الإيطالية، والإسبانية، والفرنسية، والإنجليزية، وكذا اللغات الروسية، والمجرية، والرومانية، وظهرت حوله رسائل جامعية في إيطاليا والاتحاد السوفياتي.

أما الألقاب والمناصب الأخرى التي تولاها والأوسمة التي نالها أو شغلها، فإنها تزيد على خمسة عشر لقباً، ومنصباً، ووساماً، لكن أهمها نيله **الدكتوراه الفخرية من جامعة باليرمو الإيطاليا** عام ١٩٧٦م، إذ كان ثالث عربي يحصل عليها بعد **طه حسين وحسن عثمان**، كما نال **الدكتوراه الفخرية من الأكاديمية العالمية للفنون والثقافة في الصين الوطنية** وذلك في عام ١٩٨١م، بالإضافة إلى كونه عضواً مراسلاً، أو عضو شرف في العديد من المراكز الثقافية والمجامع العربية والعالمية (**انظر آخر لقاء معه في العدد رقم ١٠٤ من مجلة «الفيصل»**).

●● سعوديان في منتدى الفكر ●●

تم اختيار الكاتبين السعوديين:

★ الأديب عبد الله الجفري.

★ والدكتور فهد العرابي الحارثي.

ليكونا عضوين جديدين في منتدى الفكر العربي الذي يتخذ من عَمَّان مقرًا له، ويرأس إدارته الأمير الحسن ولي العهد الأردني، ويضم بين أعضائه عدداً من المفكرين والكتّاب البارزين في الوطن العربي.

المعروف أن الدكتور الحارثي يعمل أستاذاً مساعداً بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض ومشرفاً عاماً على تحرير مجلة «اليمامة» الأسبوعية التي تصدر في الرياض، وهو كاتب بارز، له كتابات في المجلات والصحف المحلية العربية.

أما الأديب عبد الله الجفري، فهو كاتب معروف في الوطن العربي بكتاباته القصصية والروائية، وبكتاباته الاجتماعية في الصحف والمجلات العربية، خاصة في مجلة «المجلة» و«الشرق الأوسط». من مؤلفاته:

- ★ حياة جائعة ـ مجموعة قصصية.
- ★ الجدار الآخر ـ مجموعة قصصية.
- ★ الظمأ ـ مجموعة قصصية.
- ★ جزء من حلم ـ رواية.

وله من الكتب:

- ★ لحظات.
- ★ خواطر وتأملات.
- ★ حوار وصدى.
- ★ نبض.
- ★ حوار في الحزن الدافئ.

والجدير بالذكر أن الأستاذ الجفري قد فاز بجائزة الإبداع العربي الممنوحة من قبل المنظمة العربية للعلوم والثقافة والفنون التابعة لجامعة الدول العربية.

●● جمعية جغرافية ●●

بهدف توثيق عرى العلاقات بين الجغرافيين الأردنيين، والإسهام في البحوث الجغرافية العلمية والتركيز على جغرافية **الأردن وفلسطين**، وإحياء التراث العربي الإسلامي، **فقد تم في الأردن الترخيص بإنشاء «جمعية جغرافية أردنية»** طلب في تأسيسها شخصيات تمثل الجامعات الأردنية والمركز الجغرافي ووزارة التربية والتعليم، وبذلك فقد تكونت لها هيئة تأسيسية تغلب عليها الناحية الأكاديمية.

مصر

●● وفاة سعد مكاوي ●●

انتقل إلى رحمة الله تعالى الكاتب


★ عبد الله الجفري ★


★ د. فهد الحارثي ★


★ سعد مكاوي ★

العربي المصري **سعد مكاوي** عن ٦٩ عاماً قضى معظمها في خدمة الأدب، حيث كان من مواليد عام ١٩١٦م، في **قرية الدلاتون ـ مركز شبين الكوم** التي ظلت تظهر في أعماله طوال عمره الأدبي.

حصل سعد مكاوي على البكالوريا عام ١٩٣٣م، ثم سافر إلى **فرنسا** ليدرس الطب هناك في **مونبيلييه** لكنه سرعان ما تركها إلى **باريس** حيث درس علم النفس، وبعد أن عاد إلى وطنه التحق بكلية الآداب قسم اللغة الفرنسية وآدابها وأكمل دراسته بها.

وكانت له رغبة في الصحافة والكتابة. ففي أوائل الأربعينات انضم إلى أسرة تحرير جريدة «**المصري**»، وكان من أوائل الذين خصوا الروايات العالمية، ونشروها في الصحف، كما بدأ ينشر قصصه القصيرة في تلك الجريدة وذلك بدءً من عام ١٩٤٧م. وظل يعمل بها حتى إغلاقها عام ١٩٥٣م. وقد تنقل بعد ذلك بين الصحف المصرية، فعمل في مجلة «**آخر ساعة**»، ثم في جريدة «**الشعب**»، ثم في «**الجمهورية**» وكانت آخر الصحف التي عمل بها، حيث نشر بعض رواياته في حلقات. وفي أوائل الثمانينات **عين مكاوي رئيساً للجنة القصة بالمجلس الأعلى للثقافة**، وأحيل على المعاش وهو يشغل منصب **رئيس هيئة المسرح**.

من أعماله القصصية:

★ قافلة الحياة.
★ نساء من خزف.
★ قهوة المجاذيب.
★ مخالب وأنياب.
★ راهبة من الزمالك.
★ الماء العكر.
★ مجمع الشياطين.
★ شهيرة.
★ الزمن الوغد.
★ أبواب الليل.
★ القمر المشوي.
★ رجل من طين.
★ الرقص على العشب الأخضر.
★ الفجر يزور الحديقة.
★ على حافة النهر الميت.
★ الرجل والطريق.
★ السائرون نياماً.
★ الكرباج.

وله من المسرحيات:

★ الميت والحي.
★ الحلم يدخل القرية.
★ الهدية.

ومن مؤلفاته الأخرى:

★ ترجمة رواية «جرمينال» لزولا.
★ كتاب «صياد الوحوش الناعمة» (لم يصدر بعد).

في دائرة الضوء

● **الكتاب:** الجاحظ.

● **المؤلف:** د. وديعة طه النجم.

ضمن سلسلة «الموسوعة الصغيرة» صدر قبل فترة في بغداد كتاب «الجاحظ»، تأليف الدكتورة وديعة طه النجم.

وقد استعرضت المؤلفة في كتابها حياة الجاحظ ونشأته. كما جاءت على أحواله وعلاقاته مع رجال زمانه من حاكمين وغيرهم. وتناولت آثاره التي تركها تقارب المائة والستين مؤلفاً ودراسة ورسالة، إلا أنها وقفت عند ثلاثة منها، للتعرف من خلالها على جوانب شخصيته الأدبية والعلمية. وهذه الثلاثة هي: كتاب «**الحيوان**»، وكتاب «**البيان والتبيين**»، وكتاب «**البخلاء**».

على أن المؤلفة جمعت ما قيل عن الجاحظ، وما نقله الرواة، أو كتبه الكاتبون عنه، بأسلوب جزل سلس فيه اللمحة الجادة، والطرفة الممتعة.

«كتب الجاحظ في كل فن وفي كل باب، ولم يكد يدع موضوعاً عرفه دون أن يتناوله بشيء من القول مختصراً أو مطولا، جاداً أو هازلا. وليس هناك موضوع أو حكاية أو خبر عنده لا يستحق أن يكتب فيه، أو أن يسجل بصورة من الصور.. فحفلت كتاباته لا بعناصر ثقافته وشخصيته فحسب، بل جاءت معلمة للعصر الذي حظي بأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ».

وعن الجاحظ.. يقول المرزباني:

«وروى أصحابنا أن الجاحظ صار إلى منزل بعض إخوانه فاستأذن عليه، فخرج إليه غلام عجمي فقال: من أنت؟ قال: الجاحظ.. فدخل الغلام إلى صاحب الدار فقال: الجاحد.. على الباب!».

قد تكون هذه الحكاية من باب المعابثات والمداعبات التي كان الرواة يتبادلونها معه، وينسبونها إليه لشهرته عندهم بروح الفكاهة، بل هم يذهبون إلى القول إنه نسي كنيته بضعة أيام فجاء إلى أهله يسألهم عنها، فقالوا له: تكنى بأبي عثمان.

أما مؤلفة «الجاحظ» الدكتورة وديعة طه النجم، فهي تحمل «**الليسانس**» **اللغة العربية وآدابها** بامتياز، من **كلية الآداب في بغداد** عام ١٩٥٣م، إلى جانب «**الدكتوراه**» في الأدب العربي وتاريخه من جامعة لندن عام ١٩٥٨م.. وتمارس الآن التدريس في **جامعتي بغداد والكويت**.

صاد ـ بغداد




★ محمد مزالي ★


★ أحمد البوعياشي ★

★ كتاب «للحب سبعة أقنعة» (لم يصدر بعد).

★ كما قدم كتاباً عن خمسة موسيقيين غربيين عنوانه «لو كان العلم ملكاً لنا».

تونس

مجلة «الفكر»

احتفالا بمرور ثلاثين عاماً على صدور **مجلة «الفكر» التونسية**، التي أسسها السيد **محمد مزالي** ويرأس تحريرها السيد **البشير بن سلامة**، أقامت **وزارة الشؤون الثقافية التونسية مهرجاناً فكرياً** حضره نخبة من المفكرين والكتّاب العرب والأجانب من بينهم:

★ المستشرق الفرنسي **جاك بيرك**.

★ **أحمد خالد**.

★ **عامر غديرة**.

★ **عبد العزيز قاسم**.

★ **أبو يعرب المرزوقي**.

★ **البشير بن سلامة**.

★ **الدكتور محمد الطالبي**.

وبحضور السيد محمد مزالي مؤسس المجلة.

ومن نشاطات المهرجان المهمة، المجلس الأدبي الذي عقده المدعوون والذي أداره الدكتور الطالبي رئيس اللجنة الثقافية القومية، وقد دار هذا المجلس أو الحوار حول «**الأصالة والمعاصرة**».

لبنان

كشف أثري

اكتشف خبراء الآثار في لبنان مدينة أثرية في صيدا يعود تاريخها **إلى القسم الأول من العصور الرومانية**، وقد جاء هذا الاكتشاف إثر حفريات حصلت في قطعة أرض، وتم نقل تربتها بواسطة الشاحنات ورميت في النفايات، ومن ضمنها قطع أثرية دلت على هذا الاكتشاف، إذ تم البحث في هذه الأرض المحفورة، فعثر على مدافن قديمة عليها كتابات رومانية، وأوان فخارية، وقاعدة ترمز إلى إمبراطور روماني بثياب فضفاضة، بالإضافة إلى قدم تمثال لحيوان قديم منقرض.

المغرب

وفاة المؤرخ البوعياشي

انتقل إلى رحمة الله تعالى **القاضي أحمد عبد السلام البوعياشي** عن عمر يناهز ٦٨ سنة، وقد عمل في ميدان القضاء بطنجة، وبعد إحالته على التقاعد عمل محامياً بمدينة الحسيمة بالريف وفيها توفي، وهو من مواليد ١٩١٧م، من تآليفه المطبوعة:

★ الريف بعد الفتح الإسلامي.

★ الثائر المهزوم (رواية).

★ حرب الريف التحريرية ومراحل النضال – في جزءين – وهو الكتاب الذي نال به جائزة المغرب.

ويعد القاضي البوعياشي من أوائل المؤرخين المعاصرين الذين اهتموا بتاريخ منطقة الريف بلد المجاهد المعروف **محمد عبد الكريم الخطابي**.

الإمارات العربية

معرض للكتاب

أقيم المعرض الرابع للكتاب المعاصر في دولة الإمارات العربية المتحدة تحت إشراف **الدائرة الثقافية في الشارقة** على أرض المعارض، وذلك خلال الفترة من ٢٢ صفر ١٤٠٦هـ، وسيستمر إلى الرابع من هذا الشهر.

شارك في المعرض أكثر من عشر دول عربية و ١٧٢ داراً للنشر بأكثر من ١٥٠ ألف كتاب باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.

هذا، وقد تقرر أن يصاحب المعرض معرض للفنون التشكيلية، وندوة فكرية يشارك فيها نخبة من المفكرين والأدباء.

الجزائر

وفاة الهمشري

نعت وزارة الشؤون الدينية الجزائرية **الدكتور مصطفى عبد الله سالم الهمشري** أستاذ علوم الحديث الشريف **بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بمدينة قسنطينة**، الذي توفي يوم الثلاثاء الثاني من محرم ١٤٠٦هـ – ١٧/٩/١٩٨٥م، إثر نوبة صحية مفاجئة نقل على إثرها إلى مستشفى قسنطينة حيث انتقل هناك إلى جوار ربه. ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه **بجمهورية مصر العربية** في الرابع من محرم حيث ووري مثواه الأخير، وكان الفقيد من العلماء المبرزين الذين ساهموا بإثراء علوم الفقه والحديث الشريف. رحم الله الفقيد، وألهم ذويه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

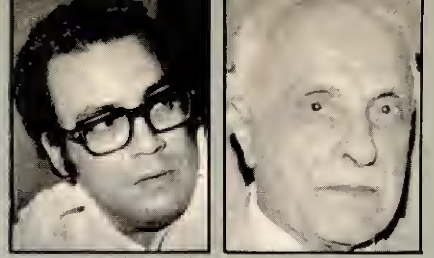
عمان

معرض للتراث العماني

أقيم في العاصمة العُمانية (مسقط) معرض للتراث العُماني، وذلك تحت إشراف وتنظيم **وزارة التراث القومي والثقافة العُمانية** واستمر أسبوعاً، وذلك خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٥م، وقد اشتمل على:

★ جناح خاص برحلة **السفينة (سحار)** من ميناء مسقط إلى ميناء **كانتون بالصين**، ورحلة **السفينة (سلطانة)** من مسقط إلى **نيويورك** مروراً **بزنجبار والمملكة المتحدة**.

★ جناح لمطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة، حيث ضم بعض المخطوطات النادرة، وبعض الصناعات الحرفية التقليدية العُمانية،



★ د. عمر فروخ ★ ★ د. جابر عصفور ★

والتحف الأثرية ، وبعض المكتشفات الأثرية التي تم اكتشافها أخيراً .

★ كما ضم المعرض أجنحة أخرى .

هذا ، وقد حضره العديد من المسؤولين ، حيث جاء افتتاحه في إطار الاستعدادات للاحتفال **بالعيد الوطني الخامس عشر لعُمان .**

الكويت :

جوائز معرض الكتاب العاشر

في العشرين من هذا الشهر «ربيع الأول ١٤٠٦ هـ» **يقام في الكويت احتفال لتوزيع جوائز معرض الكتاب العربي العاشر** على الفائزين وهم :

★ **السيد سعيد الصايغ والدكتور رشدي فتوح عبد الفتاح** عن كتابيهما «القلب في الصحة والمرض، وأساسيات في علم الفسيولوجيا» ، وقد فازا **بجائزة أحسن كتاب مؤلف في مجال العلوم .**

★ **الدكتور عمر فروخ والدكتور جابر عصفور** ، وذلك عن كتابيهما «تاريخ الأدب العربي ، جـ ٦ ، والمرايا المتجاورة» ، حيث فازا **بجائزة أحسن كتاب مؤلف في الفنون والآداب والإنسانيات .**

★ **وفاز بجائزة أحسن كتاب مترجم إلى اللغة العربية في مجال الفنون والآداب والإنسانيات** ، كتاب **«حكمة الغرب»** ، ترجمة **الدكتور فؤاد زكريا .**

★ أما جوائز التأليف عن الكويت والطفل العربي والترجمة عن العلوم ، فقد حجبت لعدم رقي الإنتاج إلى مستوى الجائزة .

الجدير بالذكر أن قيمة الجائزة الواحدة ثلاثة آلاف دينار كويتي ، وشهادة تقدير ، وميدالية ذهبية ، إضافة إلى ألف دينار لدار النشر التي صدرت عنها الكتب الفائزة وهي على النحو التالي ، وعلى حسب ترتيب الكتب :

★ **دار العلم للملايين ببيروت** (القلب في الصحة والمرض) .

★ **دار جامعة الكويت** (أساسيات في علم الفسيولوجيا) .

★ **دار العلم للملايين ببيروت** (تاريخ الأدب العربي ، جـ ٦) .

★ **الهيئة المصرية العامة للكتاب** (المرايا المتجاورة) .

★ **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت** (حكمة الغرب) .

★ ★ ★



محاضرات

● «الذكاء الاصطناعي ـ وجهة نظر عربية» ، محاضرة ألقاها الدكتور نبيل علي بكلية الهندسة ـ جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

● «مفهوم المصلحة في التشريع الإسلامي» ، محاضرة ألقاها الدكتور محمد عمر الزبير بالبنك الإسلامي للتنمية بجدة .

● «الإيدز» ، محاضرة ألقاها الدكتور حرب عطا الحربي بالكلية المتوسطة بالرياض .

● «العلم ولغز السرطان» ، محاضرة ألقتها الدكتورة آمال عبد الحميد صالح بكلية تربية البنات بجدة .

● «الإنسان في عصر المادية» ، محاضرة ألقاها الشيخ صالح بن سعد اللحيدان بمركز الإعداد المهني بالرياض .

● «الإبداع ... والنماذج الغازية» ، محاضرة ألقاها الدكتور نذير العظمة بنادي جدة الأدبي .

● «الإسلام في شبه القارة الهندية» ، محاضرة ألقاها الدكتور سيد رضوان علي بكلية أصول الدين بالرياض .

● «صحافة الأديب المعاصر» ، محاضرة ألقاها الدكتور ماجد الكيلاني بالنادي الأدبي بالمدينة المنورة .

● «أضواء أثرية على عمارة المساجد» ، محاضرة ألقاها الدكتور محمد عبد الستار بكلية آداب جامعة الملك سعود .

● «مذنب هالي» ، محاضرة ألقاها الدكتور صالح حامد بكلية العلوم بجامعة الملك سعود بالرياض .

● «دراسة المأثورات الشعبية من خلال وجهة النظر العربية» ، محاضرة ألقاها صفوت كمال في مسقط ـ عُمان .

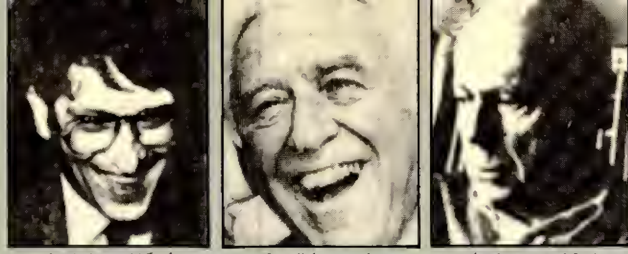
● «المدرسة العامرية في اليمن ١٤٨٩ ـ ١٥١٧ م» ، محاضرة ألقتها الدكتورة سلمى الراضي بقاعة المركز الثقافي العراقي بلندن .

● «المسلمون وأهل الكتاب بين آيات الوحي ووقائع التاريخ» ، محاضرة ألقاها الشيخ محمد الغزالي في المركز الثقافي الإسلامي بالجزائر العاصمة .

● «عقبة بن نافع ووحدة المغرب الكبير» ، محاضرة ألقاها الدكتور مراد رمّاح من تونس في المركز الثقافي الإسلامي بالجزائر العاصمة .

● «الثورة الجزائرية في مجلة الفكر التونسية» ، محاضرة ألقاها الدكتور محمد صالح الجابري في متحف الجهاد بمدينة الجزائر .





★ كلود سيمون ★ ★ موديجلياني ★ ★ كلاوس فون ★

السويد :

الفائزون بجوائز نوبل

منحت أكاديمية العلوم في السويد جوائز نوبل في مجال الأدب والاقتصاد والفيزياء والكيمياء والطب لهذا العام ١٩٨٥م ، لكل من :

★ **الفرنسي «كلود سيمون»** ، حيث **حصل على جائزة نوبل للأدب** ، وهو يبلغ من العمر ٧٢ عاماً ، حيث ولد في **مدغشقر** عام ١٩١٣م ، ويقيم حالياً في **منطقتي بربينيان وباريس** .

ويعد سيمون واحداً من أكبر كتّاب الأدب الفرنسي المعاصر ، وهو واحد من أهم مؤرخي هذا الأدب ، ويحرص في رواياته على وصف الظروف الإنسانية ، ولهذا قررت الأكاديمية منحه الجائزة لهذا العام للمبرر الأخير ، **ومن أعماله :**

- الريح ــ رواية ، نشرها عام ١٩٥٧م .
- الأعشاب ــ رواية ، نشرها عام ١٩٥٨م .
- الطريق ــ رواية ، نشرها عام ١٩٦١م .
- القصر ــ رواية ، نشرها عام ١٩٦٢م .
- التاريخ ــ رواية ، نشرها عام ١٩٦٧م .
- معركة فرساي ــ رواية ، نشرها عام ١٩٦٩م .

★ **الأميركي «فرانكو موديجلياني»** ، حيث **فاز بجائزة نوبل للاقتصاد** لهذا العام ١٩٨٥م ، ويبلغ من العمر ٦٧ عاماً ، ويعمل **بمعهد التكنولوجيا في ولاية ماساشوستيس بالولايات المتحدة** .

وقد حصل على الجائزة لقيامه بوضع وتطوير فرضية دورة الحياة الخاصة بالادخار المنزلي ، إلى جانب صياغة نظريات **موديجلياني وميللر** بشأن تقييم الشركات وتكاليف رأس المال .

★ **وحصل على الجائزة الخاصة بالفيزياء والكيمياء لهذا العام أميريكيان وألماني غربي** ، **حيث فاز الألماني الغربي «كلاوس فون ـ كليتسينج ـ ٤٢ سنة» بجائزة نوبل في الفيزياء** ، ويعمل في معهد **ماكس بلانك في شتوتجارت** ، وتم تكريمه لاكتشافه ظاهرة جديدة في **(فيزياء الكمية لقياس المقاومة الكهربية)** .

كما حصل الأميريكيان **(هربرت هاوبتمان ٧٨ عاماً وجيروم كارل)** على **جائزة نوبل في الكيمياء** ، يعمل الأول في **جامعة بوفالو بولاية نيويورك** منذ عام ١٩٧٠م ، أما الثاني فيعمل **بوزارة الصحة الأميريكية** منذ عام ١٩٣٩م .

★ **أما جائزة نوبل في الطب** ، فقد منحت **لهيئة طبية مكوّنة من عدد من الأطباء الروس والأميريكان** .

فرنسا :

الإسلام والآداب الإفريقية

عقدت في باريس خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٥م ، ندوة عن **«تأثير الإسلام في الآداب الإفريقية»** ، وذلك تحت إشراف وتنظيم **«رابطة دراسة الآداب الإفريقية»** برئاسة الصحفي **كلود ووتييه** ، واشترك فيها أساتذة جامعات وكتّاب قصة من أوروبا وإفريقيا والولايات المتحدة .

هذا ، وقد تم في هذه الندوة محاولة الكشف عن تأثير الإسلام في مؤلفي القصص الإفريقية والغربية المعاصرة باللغتين الفرنسية والإنجليزية ، حيث كان الاتجاه إلى إبراز وتحليل بصمات الدين الإسلامي القوية وتأثيره في نفوس المؤلفين ، وذلك من خلال أمثلة أخذت من قصص كتبت خلال الثلاثين سنة الماضية .

الجدير بالذكر أنه قد قدم أكثر من عشرين بحثاً خلال هذه الندوة ، وستنشر عن طريق الرابطة المذكورة .

متحف لبيكاسو

أعد قصر من القرن السابع عشر الميلادي ، ليكون **متحفاً تجمع فيه أعمال أحد كبار فناني القرن العشرين الميلادي** ، الإسباني **«بابلو بيكاسو»** ، حيث حوّل **فندق ساليه** ، **في حي ماريه** ليكون أكبر متحف لبيكاسو في العالم ، إذ يضم بين جدرانه اللوحات التالية :

٢٠٣ لوحات عادية .

١٥٨ لوحة منحوتة .

١٦ لوحة ملصقة .

٨٨ سيراميك .

١٥٠٠ رسم .

١٦٠٠ رشمة .

إضافة إلى هذه اللوحات الخاصة ، هناك مقتنيات الفنان لأعمال الفنانين الآخرين وعددها «٥٠ عملاً» ، من الفنانين : **نان ، وكورو ، وسيزان ، ورينوار ، وموديلياني ، وماتيس ، وميرو ، وبلتيس** ، وغيرهم .

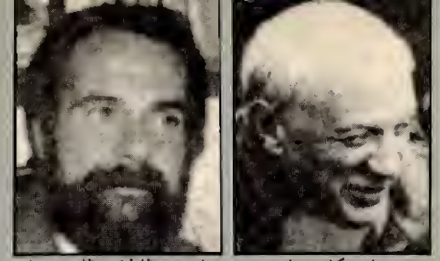
جائزة أندريه مورو

منحت **جمعية أصدقاء الكاتب الفرنسي الشهير أندريه مورو** أول جائزة أدبية تحمل اسم الكاتب المذكور إلى الروائي المعاصر **جوزيف كيسل** عن رواياته الأخيرة **(المراسلة)** وقيمة الجائزة عشرة آلاف فرنك .

والجدير بالذكر أن الكاتب أندريه مورو توفي عام ١٩٦٧م ، وكان عضواً في **الأكاديمية الفرنسية** ، اهتم بكتابة الروايات التاريخية والسير الذاتية أشهرها : **حياة فيكتور هيجو** ، وحياة **بلزاك** .

وفاة الروائية سيمون سينوبه

توفيت بباريس يوم ٣٠/٩/١٩٨٥م ، بمرض



★ عبد اللطيف اللعبي ★ ★ بيكاسو ★

السرطان الروائية المعروفة **سيمون سينوبيه** عن سن يناهز ٦٤ عاماً، فقد ولدت بألمانيا بتاريخ ٢٨ مارس (آذار) عام **١٩٢١** م، من إنتاجها:

- الحنين إلى الوطن لم يعد كسابقه، **١٩٧٥** م.
- وفي اليوم التالي كانت باسمة، **١٩٧٩** م.
- وداعاً فولوديا، **١٩٨٥** م.

●● أحدث الكتب ●●

● **«العربية والسواحلية في جمهورية زائير»**، تأليف **الدكتور عدنان حداد**، صدر ضمن سلسلة **«دراسات إسلامية»** عن **دار سيديس الفرنسية**.

● **«خرافات لافونتين شرقية المنبع»**، تأليف **الدكتور عدنان حداد**، صدر عن **دار سيديس الفرنسية**.

● **«الجزائر والمرأة والعلم»**، تأليف الجزائرية **أحلام مستغنمي**، صدر في **الأسواق الفرنسية**.

● **«خطاب على التلة العربية»**، **مجموعة شعرية** للشاعر المغربي **عبد اللطيف اللعبي**، صدرت عن **دار لامارتين الباريسية للنشر**.

إيطاليا

●● وفاة كالفينو ●●

توفي الكاتب الإيطالي «إيطالو كالفينو» عن عمر يناهز الثانية والستين، فقد ولد عام **١٩٢٣** م، **في جزيرة كوبا**.

كان في حياته يتميّز بغزارة الإنتاج، ومع إنه كذلك إلا أن المشهور من أعماله روايته الموسومة بـ **«طريق أعشاش العنكبوت»** التي قدمها للقارئ وهو في الرابعة والعشرين من عمره،

رسائل جامعية

●● **«مصادر المياه في منطقة حوض النفود الرسوبي الكبير»**، موضوع **رسالة ماجستير**، نوقشت **بكلية العلوم الاجتماعية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض**، تقدم بها السيد **فوزان بن عبد الرحمن الفوزان**.

●● **«قاموس منهجي للغة العربية ومجموعة قصص ودراسات أدبية»**، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بكلية اللغة العربية التابعة لجامعة باكستان**، تقدم بها السيد **شوقي خير الله**.

●● **«القصة في الشعر اللبناني العربي الحديث»**، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت في **الجامعة اليسوعية ببيروت**، تقدم بها السيد **فؤاد صالح السيد**.

●● **«عقد الأمان في الشريعة الإسلامية»**، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بجامعة أم القرى بمكة المكرمة**، تقدم بها السيد **سعد سعيد القحطاني**.

●● **«تحضير واستنتاج خواص التركيب الفراغي للمواد التي توقف السموم بوجه عام**، وتلك المسببة للأمراض السرطانية على وجه خاص»، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بجامعة (بافالو) بنيويورك**، تقدمت بها الباحثة **هالة سلطان سيف العيسى**.

●● **«البحث البلاغي والنقدي في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني»**، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض**، تقدم بها السيد **محمد بن سليمان العيقل**.

●● **«التبشير في العراق ـ وسائله، أهدافه»**، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية الشريعة بجامعة بغداد**، تقدمت بها السيدة **سلامة حسين كاظم**.

●● **«دراسة حديثة عن تطور الجنين في الأرانب تحت شروط بيئية وغذائية مختلفة»**، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية الطب البيطري بجامعة البعث في سورية**، تقدم بها السيد **منير البشعان**.

●● **«الفصل والتقتير الكمي والشبه الكمي»**، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية العلوم بجامعة الملك عبد العزيز بجدة**، تقدمت بها السيدة **فوزية محمد النويصر**.

●● **«موانع النكاح المؤقتة»**، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة**، تقدم بها السيد **منصور بن محمد النعمان**.

●● **«طبيعة النظام القضائي الجزائري ومدى فعاليته في مراقبة الإدارة»**، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بجامعة الجزائر**، تقدم بها السيد **ماحي هنني**.

●● **«الثورة الجزائرية في جريدة الأهرام القاهرية من أول أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٥٤ م، إلى سبتمبر (أيلول) عام ١٩٥٥ م»**، موضوع **رسالة لنيل الدراسات المعمّقة** نوقشت **بمعهد الدراسات التاريخية والآثار بجامعة الجزائر**، تقدم بها السيد **محمد حسني محمود هنيدي**.


★ الشيخ أبو الحسن الندوي ★ ★ د. عبد الله التركي ★



بالإضافة إلى ثلاثة أعمال كانت مجموعة تحت اسم «**أجدادنا**».

بالإضافة إلى التأليف، فقد كان مشاركاً في النشر، وفي عام ١٩٥٩م، أسس مع «**إيليو فيتوريني**» **المجلة الأدبية** «إيل مينابو» التي لعبت دوراً فاعلاً في الأوساط الثقافية في مرحلة الستينات.

سري لانكا :

القرآن الكريم إلى السنهالية

اهتماماً بكتاب الله الكريم، وخدمة للدين الإسلامي ومن يعتنقه، فقد **تمت ترجمة القرآن الكريم من اللغة العربية إلى اللغة السنهالية** التي تعتبر اللغة الرئيسية للشعب السري لانكي.

وبهذه المناسبة، فقد أصدرت الحكومة السري لانكية طابعاً بريدياً خاصاً.

ألمانيا :

سوري.. وجائزة ألمانية

حصل الشاعر والأديب السوري الدكتور أحمد عادل قره شولي على «**جائزة مدينة لايبزس الفنية للأدب**»، في ألمانيا الديمقراطية، وذلك في احتفال كبير، حضره **الدكتور (مولر)** محافظ المدينة الذي سلمه الجائزة.

والدكتور عادل من مواليد دمشق عام ١٩٣٦م، وقد كتب الشعر والدراسات المسرحية، ونشر في الصحف والدوريات العربية منذ الستينات، ويعمل أستاذاً محاضراً في إحدى الجامعات. له من الأعمال «**موال الغربة**»، وباللغة الألمانية «**عناق خطوط الطول**» ديوان شعر.

جائزة جوته وجول مان

منحت جائزة جوته لهذا العام ١٩٨٥م، للروائي الألماني الغربي «جول مان»، الذي يبلغ من العمر السادسة والسبعين، وهو ابن الروائي والكاتب الألماني الكبير **توماس مان**.

المعروف أن هذه الجائزة تمنح كل عامين بمدينة **فرانكفورت**، وذلك خلال الاحتفال بمولد الشاعر الألماني **جوته** صاحب «فاوست»، و«الأنساب المختارة»، و«الديوان الشرقي»، وتبلغ قيمة الجائزة حوالي ١٥٠ ألف مارك ألماني.

اليابان :

معرض فلسطيني

أقيم بمدينة «تاكيدا» اليابانية المعرض الفلسطيني التشكيلي والثقافي، وذلك تحت إشراف وتنظيم ٢١ منظمة يابانية **ومنظمة التحرير الفلسطينية**، حيث تم فيه:

★ عرض ٥٠ صورة تمثل مختلف صور الحياة والأماكن التاريخية في فلسطين.

★ عرض ٢٠٠ ملصق تبرز الكفاح الفلسطيني.

★ عرض ٤٠٠ كتاب بمختلف اللغات، تتحدث جميعها عن القضية الفلسطينية.

★ عرض ٨٠ لوحة فنية تظهر المخيمات الفلسطينية، قام برسمها أطفال المخيمات من اللاجئين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة وفي **الأردن وسورية ولبنان**.

★ عرض ٢٥٠ قطعة فنية من المشغولات اليدوية الفلسطينية.

الجدير بالذكر أن المعرض أقيم خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٨٥م.

بريطانيا :

مركز للدراسات الإسلامية

تم في جامعة أكسفورد في بريطانيا افتتاح **مركز للدراسات الإسلامية** تابع للجامعة، ويهدف أساساً لخدمة الإسلام والمسلمين خاصة طلاب الدراسات العليا والباحثين في مجال الدراسات الإسلامية.

ويعد هذا **المركز الأول** من نوعه **في جامعة غربية، ويرأسه مجلس أمناء من المسلمين** ويعتبر كجهاز مستقل برئاسة **فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ويضم في عضويته كلاً من:**

★ **أمير الشارقة سلطان القاسمي.**

★ **مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية معالي الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي.**

★ **الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبد الله عمر نصيف.**

أحدث الكتب

● «**الحاسبات الإلكترونية**»، كتاب مترجم عن الإنجليزية، صدرت ترجمته عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر بالتعاون مع «منوار لندن»**، وذلك ضمن سلسلة «**مكتبتي الأولى**».

● «**زوال إسرائيل ـ حتمية قرآنية**»، تأليف **الشيخ أسعد التميمي**، صدر عن **المعهد الإسلامي بلندن**.

● «**فلسطين والشعر العربي الحديث**»، تأليف **خالد سليمان**، صدر عن **مطبعة (زد) في لندن**. والكتاب عبارة عن أطروحة قيمة تقدم بها المؤلف إلى **معهد**



★ د. عبد الله عمر نصيف ★

الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن.

أمريكا :

●● أحدث الكتب ●●

● «حوادث الانقراض في العصر الرباعي : ثورة ما قبل التاريخ»، تأليف بول مارتن وريتشارد كلاين، صدر عن مطبعة جامعة أريزونا.

● «الحلقات واكتشافاتها، من زمن جاليليو وحتى فوياجور»، تأليف جيمس إليوت وريتشارد كير، صدر عن مطبعة معهد ماساشوسيتس التكنولوجي.

● «الحلقات الكوكبية»، تأليف ريتشارد جرينبرغ وأندريه براهيتش بإشراف ميلدريد ماتيوس، صدر عن مطبعة جامعة أريزونا.

الصين :

●● معرض تشكيلي فرنسي ●●

أقيم في بكين العاصمة الصينية خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) من هذا العام، معرض ضم العديد من لوحات كبار الفنانين التشكيليين الفرنسيين ما بين عامي ١٨٧٠ و ١٩٢٠م، وذلك تحت عنوان «الفن الفرنسي المعاصر». وقد ضم أعمالا متعددة لفنانين برزوا على الساحة خلال خمسين سنة مضت منهم : مونييه، ورينوار، ومانييه. وسواهم.

البرازيل :

●● أحدث الكتب ●●

● «حرب نهاية العالم»، رواية تأليف ماريو فارجاس ليوزا، صدرت في البرازيل.

أخبار الغد

السعودية :

●● كتب جديدة ●●

● «أوراق عاشق»، ديوان شعر للشاعر الدكتور أحمد عبد الرحمن الشرقاوي، سيصدر في طبعة ثانية عن الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة.

● «أخيراً ضاعت تجاديفي»، مجموعة قصصية للقاصة نجوى مؤمنة، ستصدر في جدة.

لبنان :

●● كتب جديدة ●●

● «عروش الجمر»، للشاعر اللبناني محمد فرحات، سيصدر في بيروت.

أسبانيا :

●● مركز إسلامي بمدريد ●●

سيتم خلال الربيع القادم إنشاء مركز إسلامي بالعاصمة الإسبانية على قطعة أرض كانت بلدية مدريد قد منحتها للدول العربية عام ١٩٧٦م، لإقامة المشروع عليها.. وسوف يضم المشروع :

★ مسجداً كبيراً لخدمة المسلمين، حيث سيتسع لحوالي ١٥٠٠ مصل، بالإضافة إلى مسجد آخر شمالي المدينة.

★ مكتبة، ستضم العديد من الكتب العربية وغير العربية.

★ مركزاً ثقافياً.

★ مدرسة لتعليم اللغة العربية.

فرنسا :

●● الفكر العربي ـ تاريخاً وكتابة ●●

ذلك هو موضوع بحوث ومناقشات ستعقد في المعهد الدولي للفلسفة في باريس في العام المقبل، وذلك بمشاركة فلاسفة ومفكرين عرب وغربيين منهم :

★ المؤرخ الفرنسي ميشال دوسرتو.

★ والمؤرخ العربي عبد الكبير الخطيبي.

★ وجاك حسون.

وذلك بالإضافة إلى آخرين.

من المواضيع التي من المحتمل طرحها في المناقشات موضوع «الازدواج اللغوي»، إلى جانب بعض المواضيع التي تتعلق بمسيرة الفكر العربي والعقل العربي في المراحل التاريخية المختلفة، وكيفية تعامله مع التحديات التي كانت تفرضها ضرورات واقعه الحضاري أبداً.

كتب وردت الى المجلة



« وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شانه ان يفتح أمام القارئ آفاقاً أوسع وأرحب وأبعد مدى ».

تاريخ الحوادث والأحوال النبوية

تأليف **الدكتور محمد بن علوي المالكي الحسني**، ويضم مختصراً عن حياة **الرسول صلى الله عليه وسلم** مع استعراض أهم الحوادث التي وقعت. يقع الكتاب في (١٦٠) صفحة من القطع المتوسط، وصدر ضمن **سلسلة « العلم والمعرفة للشباب »** التي تصدرها **دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة**.

همسات الشلال

الديوان الشعري الرابع للأديب الشاعر **الدكتور عيسى الناعوري**، ويضم بواكير أعماله الشعرية التي نشرت في الفترة من عام ١٩٤٠ م، إلى عام ١٩٤٧ م. يقع الكتاب في (١٤٠) صفحة من القطع الصغير، وتولت مطبعة الشرق بعمّان نشره.

سيدتي الحامل

الطبعة الثانية من كتاب **« سيدتي الحامل » للدكتور عبد الله حسين باسلامة**. ويعتبر الكتاب دليلاً ومرشداً قيّماً للحامل بما يحويه من معلومات عن فترات الحمل والولادة والرضاعة، وقد استحدثت بعض فصوله في هذه الطبعة بما استجد من معلومات في مجال أمراض النساء والولادة. صدر الكتاب ضمن **مطبوعات تهامة ـ جدة**. يقع الكتاب في (٢٢٨) صفحة من القطع المتوسط.

سلسلة « من عيون الشعر »

بدأت **دار الرشيد للنشر والتوزيع بالرياض** في إصدار سلسلة باسم **« من عيون الشعر »**، تقدم من خلالها مختارات من الشعر العربي في موضوعات شعرية مختلفة، بحيث يتناول كل عدد من أعدادها موضوعاً شعرياً بعينه. وقد صدر منها الأعداد التالية :

(١) المعلقات العشر : يعتبر باكورة السلسلة، يضم المعلقات العشر مع مقدمة وجيزة عن السلسلة وشعراء المعلقات. يقع الكتاب في (١٥٠) صفحة من القطع المتوسط.

(٢) اللاميات : يضم هذا العدد أشهر القصائد اللامية في الشعر العربي قديمه وحديثه، التي امتازت بجودتها ورصانتها وسمو مضامينها. أعده وحققه **الدكتور محمد إبراهيم نصر**.

(٣) المراثي : قُدم من خلاله مختارات لأجود وأصدق ما قيل في المراثي على امتداد العصور مع مقدمة عن شعر المراثي وخاتمة تناولت دراسة وتحليل شعر المراثي في الشعر العربي. تحقيق **الدكتور محمد إبراهيم نصر**.

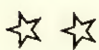
(٤) الشافعي .. شعره وأدبه : يضم هذا العدد ديوان الإمام الشافعي مقسماً إلى ستة موضوعات شعرية، مع دراسة فنية تبدأ بإلقاء الضوء على ظروف عصره ونشأته وأثرهما في تكوين شخصيته الأدبية. يقع الكتاب في (٢٧٢) صفحة من القطع المتوسط.

الغرر في سير المؤرخين وأخبارهم

تأليف **الدكتورة فاطمة هدى نجا**. يضم الكتاب دراسة في سير بعض أعلام المؤرخين العرب، استهلتها المؤلفة بتتبع مسيرة وتطور علم التاريخ العربي واتجاهات المؤرخين العرب، وكيفية الرواية عندهم. وقد اختصت هذا الكتاب بدراسة حياة وأعمال كل من : **ابن إسحاق، الطبري، المسعودي والحموي**. يقع الكتاب في (٣٥٦) صفحة من القطع المتوسط. صدر عن **مكتبة الجامعة اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع**.

آيات الرحمن في جهاد الأفغان

تأليف **الدكتور عبد الله عزام**.. وهي الطبعة الرابعة من الكتاب. يروي المؤلف من خلاله ـ وعن شهود عيان ـ بعض المشاهد والأحداث الجليلة التي صاحبت الحرب الأفغانية ضد القوات الروسية المعتدية، التي تعكس بوضوح الروح الإيمانية لدى المقاتل الأفغاني المسلم، كما تتجلى من خلالها بشائر النصر الإلهي. يقع الكتاب في (٢٠٢) من الصفحات من القطع الصغير. صدر عن **دار المجتمع للنشر والتوزيع**.



من كتاب هذا العدد



د. مصطفى حسين عناية

★ من مواليد قلقيلية ــ فلسطين، عام ١٩٤٥م.

★ دكتوراه في اللغة العربية وآدابها.

★ عمل في حقل التدريس في الأردن وليبيا والجزائر.

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية في أبها ــ عسير ــ المملكة العربية السعودية.

★ له عدد من الأعمال المحققة والمؤلفة.

د. عبد الله محمد الشعلان

★ من مواليد عام ١٩٤٨م، بالرياض ــ المملكة العربية السعودية.

★ دكتوراه هندسة كهربائية وإلكترونيات ــ جامعة مانشستر (بريطانيا).

★ يجيد الإنجليزية، وشيئاً من الفرنسية.

★ عمل مساعد تدريس لمدة عامين بعد التخرج من البكالوريوس.

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً ــ قسم الهندسة الكهربائية ــ جامعة الملك سعود بالرياض.

★ شارك في عدد من المؤتمرات والندوات الهندسية.

★ له عدد من البحوث في مجال تخصصه، إلى جانب مساهمته في مشروعين مقدمين لمركز العلوم والتكنولوجيا بالرياض.





د. عبد العزيز المقالح

★ من مواليد المنطقة الوسطى ــ محافظة إب ــ اليمن، عام ١٩٣٩م.

★ دكتوراه ــ كلية الآداب ــ جامعة عين شمس.

★ يعمل حالياً مديراً لجامعة صنعاء، ورئيساً لمركز الدراسات، وأستاذاً بكلية الآداب.

★ له سبعة دواوين شعرية، وعشرون كتاباً في النقد والدراسات.

★ شارك في عدد كبير من المؤتمرات الأدبية والثقافية.

★ له اهتمام بتطور الفنون عامة.

د. أحمد كامل عبد الرحيم

★ من مواليد الشرقية ــ مصر، عام ١٩٣٧م.

★ دكتوراه في الأدب الألماني.

★ يجيد الألمانية والإنجليزية.



★ عمل مدرساً للغة الألمانية.

★ يعمل حالياً مدرساً للأدب الألماني في كلية الآداب جامعة عين شمس.

★ له إلى جانب رسالة الدكتوراه بعض البحوث.

د. عواطف فيصل بياري

★ من مواليد عام ١٣٦٧هـ ــ مكة المكرمة ــ المملكة العربية السعودية.

★ دكتوراه اجتماع.

★ عملت رئيسة لمركز الإرشاد والتوجيه التربوي بجامعة الملك عبد العزيز، فمساعدة المشرف العام على مقر الطالبات، فعميدة قسم الطالبات.

★ تعمل حالياً أستاذاً مساعداً بجامعة أم القرى في مكة المكرمة.

★ لها بعض الأعمال تأليفاً واشتراكاً، إلى جانب عدد من الأبحاث العلمية.



●● «بومباي» .. عاصمة ولاية «مهاراشترا» بالهند .. أهم مركز تجاري ومالي . وهي الميناء الرئيسي للهند على البحر العربي ، وهي سابع أكبر مدينة في العالم ، وهي أيضاً من أكثر المدن ازدحاماً . طالع ص (٤) .



●● جمهورية «جواتيمالا» هي الدولة الوحيدة بين دول العالم التي لايزال يعمل فيها المصورون المتجولون في الأسواق وفي القرى .. مستخدمين الكاميرات القديمة ، والغرف المظلمة ، والستائر الخلفية ، والملابس ، والكراسي القابلة للطي .. ! . طالع ص (١٢) .

●● لقد جعلت «الأمم المتحدة» من عام ١٩٨٥م ، عاماً دولياً للشباب . ومجلة «الفيصل» تبادر من جانبها بالمشاركة في هذا العام بندوة العدد : «الشباب .. المشكلات والحلول» ، للتعرف على آراء رجال الفلسفة والأدب واللغة والصحافة وعلم النفس ، في قضايا الشباب . طالع ص (١٠٧) .

ـدد ●● في هذا العدد ●●

●● «الفيصل» تلتقي مع الدكتور «نوري جعفر»، أستاذ التربية وعلم النفس في جامعة بغداد، في حوار عن التكنولوجيا والثقافة المعاصرة، وعن الترابط بين التطور العلمي النظري والتكنولوجي، وبين التطور الاجتماعي. طالع ص (٣٥).

●● تحتفل فرنسا هذه السنة بمرور مائة عام على وفاة الكاتب الفرنسي «فيكتور هيجو» الذي طرق كل أبواب الأدب والفن.. فهو شاعر يتذوق شعره الكبار والصغار، وروائي، وكاتب مسرحي، أرست مسرحيته «هرناني» قواعد الدراما الرومانسية. طالع ص (٥٩).

●● حادثة مريعة تعد أكبر كارثة تكنولوجية في التاريخ.. راح ضحيتها أكثر من عشرة آلاف شخص، وأصيب فيها أكثر من مائة ألف شخص، بعاهات دائمة، بينها العمى، والعقم، وأمراض الكبد والكليتين، والشلل. طالع ص (١٠٢).

الفيصل

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 105 - NINTH YEAR - NOV./DEC. 1985.

العدد (١٠٥) ـ ربيع الأول ١٤٠٦ هـ ـ السنة التاسعة ـ تشرين الثاني (نوفمبر) / كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥م.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To:

AL-FAISAL MAGAZINE

P.O.BOX 3

RIYADH 11411-Saudi Arabia

Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATH SJ

المراسلات:

مجلة الفيصل ـ ص.ب (٣)

الرياض ١١٤١١، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧

تلكس: ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج.ع. اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠ قرشاً	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

● أسعار الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

شركة الطباعة العربية السعودية ذ.م.م

ص.ب ٦٤٦٣ الرياض ١١٤٤٢ ☎ المكتب ٤٦٣٣٤٥٢ المطابع ٤٦٥٨٩٩٠

●● لعبة الأمم ●●

